في أزمة الذكورة

ليني باين

مكتبة دار الكلمة
LOGOS
نشر - توزيع
لدينا حلم

أزمة في الذكورة

إلى ذكرى كارل ستيرن Karl Stern – الطبيب، والعالم، والفيلسوف، وصاحب القلب الكبير- بالتقدير والإمتنان لكتابه "الهروب من المرأة"، والذى جاء كملاك معضد، مؤكداً لى أننى لست بمفردي فيما تعلمته وما كتبته. وأننى أتمنى بل وأصلى أيضًا أن يجد هذا الكتاب الكلاسيكى العظيم طريقه لاعادة طباعته مرة اخري .. وأيضًا لذكرى روح السيدة التي صرفت حياتها في تعضيد الأخرين ومن بينهم أنا شخصياً: العمَّة مارى رهودا هيجبيرج .

المكتبة النفسية

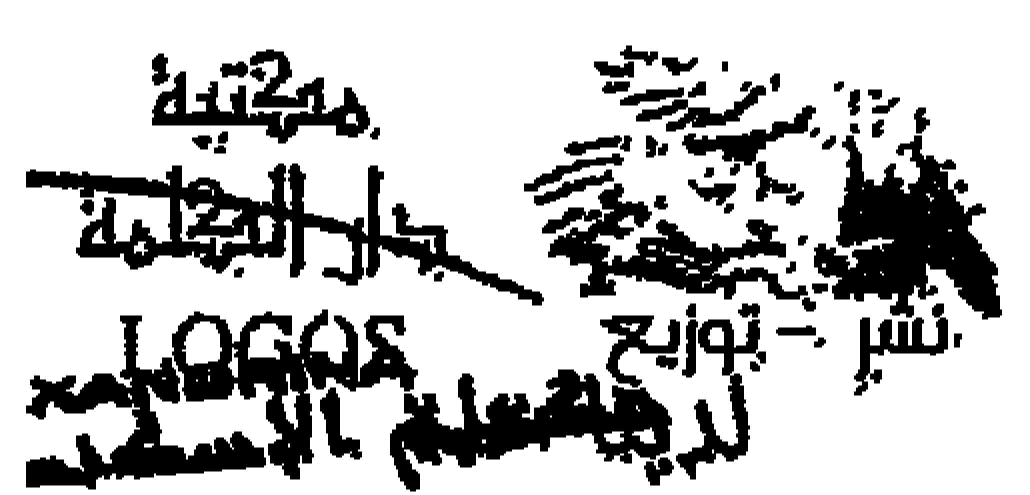
ليني بابين

في أزمة الذكورة

ترجمة: جون بُشرى

القاهرة - مصر

٢٠١٠



يُسعدنا أن نسمع منك. رجاءً أرسل تعليقاتك حول هذا الكتاب والتي ستنال كل عناية على kids@el-kalema.com شكرًا لك.

مكتبة دار الكلمة Logos
☎ ٠٢٠٢٥٧٩٨٤١٤ ‏ ٠٢٠١٦١٣٧٣٢٩٨
٠٢٠١٨٦٥٤٨٣٨٨ ‏ ٠٢٠١٨٢٤٥٦٦٤٤
sales@el-kalema.com www.el-kalema.com

Originally published in the U.S.A. under the title:
Crisis In Masculinity
by Baker Books،
a division of Baker Publishing Group،
Gra nd Rapids، Michigan 49516، U.S.A.

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الطباعة والتنضيد: دار يوسف كمال للطباعة
☎ ٠٢ ٢٤٨٢٧٠٧٤

الفهرسة بدار الكتب المصرية
باين، ليني.
أزمة في الذكورة/ لبني باين؛ ترجمة جون بُشرى- القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
١٩٢ ص؛ ٢٢ سم. - (المكتبة النفسية)
تدمك ٨ ٢٠٤ ٣٨٤ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الذكورة (علم النفس/ مشورة مسيحية)
أ- بشرى، جون (مترجم)
ب- العنوان ١٥٥،٣٣

رقم الإيداع : ٢١٥٨٧ / ٢٠١٠
ISBN :978- 977- 384 -204-8

المحتويات

تقديم

إنَّ الدافع الحقيقي وراء كتابة هذا الكتاب هو إكتشافي أنه يوجد أعداد كبيرة من الرجال غير واثقين في ذكورتهم، بدرجة أو بأخرى. وقد كتبت في كتاب "الصورة المكسورة: استعادة اكتمال الشخصية خلال الصلاة الشافية"* عن موضوع الذكورة المكبوتة أو غير المُؤَكَّدةِ كما يَظْهرُ في الإضطراب العصبي لدى المثليين. لكن الإضراب العصبي لدى المثليين هو فقط أحد الطرق التي تظهر بها هذه المشكلة المتعددة الوجوه والمنتشرة على نطاق واسع وهي مشكلة في الهوية الذكورية. وهدفي في هذا الكتاب هو إظهار المشكلة كما تظهر في الأشكال الأخرى وكيف أن معاناة هؤلاء الأشخاص من الممكن أن تُشفي خلال الصلاة من أجل الاكتمال الشخصي. وهذا هو الغرض الرئيسي من هذا الكتاب، وهو الحاجة لأن نتعلم كيف نصلي من أجل هذا الشفاء المؤكد، والنتائج الإيجابية لمثل هذه الصلوات عظيمة جدًا.

بالإضافة لذلك، سأشير إلى بعض الأسباب— النفسية، والتاريخية، والفلسفية—لهذا الداءِ الثقافيَ

* صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب عن مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩.

المُتزايدِ، الوباء المتعدد الأبعاد، والذى أدعوه "أزمة في الذكورة". وفي النهاية سأفحص طبيعة الذكورة نفسها، من خلال بعض جذورها النفسية والفلسفية واللاهوتية. وبالطبع سوف أضع في الاعتبار، الأنوثة أيضًا، لأنه من المستحيل اعتبار إحداهما دون الأخرى. كما جاء في الأسطورة التي ذكرت في محاورة أفلاطون، أن الذكر والانثى مرتبطان ببعضهما في الأصل وهما متلازمين حتى النهاية.

فيما كنت أتحدث، مؤخرًا، مع مجموعة عن المشكلة النفسية للذكورة المكبوتة وغيرِ المؤكدة لدى الرجال، تمت مقاطعتي من قِبل سيدة تُلوِّح بيدها بقلق تطلب الإذن لسماعها وصرخت قائله "أنا لا أعتقد بأنه يوجد أحد يعرف ما هي الذكورة". إنها على درجة كبيرة من الصواب. فقد مرَّ زمن طويل في التاريخ عندما كان الكاتب أو المحاضر بحاجة لتوضيح أنه عندما نتحدث عن الذكر والأنثى ليس بالضروري أن نتحدث عن الخصائص الحيوية للرجل والمرأة. ضمن تضاريس العقل والقلب الرجل والمرأة هما قطبان مُكملان بشكل حيوي أو سمات للنفس الإنسانية. إنهما "مجموعة" الصفات التي خُلقت لتُعرف وتُقبل؛ وهما أيضًا قوى كامنة: طاقات أو قدرات تُغرس كسمات حيوية. وأيًا كانت المُسميات فإنهما يُفهمان بأنهما الذكر والأنثى داخل الرجل وداخل المرأة وهما في حاجة إلى الاعتراف بها، وتأكيدها، بشكل متوازن.

الكثير مما يُدعى مرض أو اضطراب عاطفي اليوم هو فقط أن الذكورة أو الأنوثة غير مؤكدة وغير متوازنة ضمن الشخصية. وكلمة فقط هنا كما قال سي. إس. لويس، كلمة خطرة، وهي كذلك في هذه الحالة فإذا لم يستطع أحد التعرف على الكارثة المُحتملة فإن عدم توازن الذكورة والأنوثة يمكن أن يسيطر، سواء

على صحة الفرد، أو المجتمع، أو الحضارة بأكملها. في النهاية، نحتاج لأن نُضيف مع كارل ستيرن Karl Stern بأن الجنس، مثل "كل حقيقة تجريبية" له ما بعد" فإن الذكر والأنثى تجاوزا تمامًا الأبعاد النفسية، الجنس هو جزء حيوي من الشخصية ومن حقيقة الذات فهو في النهاية نابع من الله.

حالة الرجل الذي انفصل عن صفاته وهويته الذكورية كانت في وقت ما نادرة كحالة مرضية، وأصبحت حالة نُقابلها الآن وسوف نراها كثيرًا بعد ذلك. يتأكد الرجال من ذكورتهم بواسطة آبائهم ورجال المجتمع السابقين لهم في النضج، وهم الأزواج والآباء والقادة. وفي حيازة آمنة لهويتهم الجنسية، فإن الغالبية العظمى من الرجال هربوا بقلوبهم من القفص، إن جاز التعبير، الذي وضعوا فيه وتحرروا من التقييدات المفرطة لمرحلة الطفولة، أو الإفتتان بالذات بمرحلة المراهقة أو الكمالية perfectionism بمرحلة سن الرشد والتي صرفتت دون جدوى في البحث عن قبول الذات (أو حتى تأكيد الآباء). الآن، الذي كان فيه العامل النفسي المنشأ الاستثنائي أصبح، بكل أسف، السمة السائدة للثقافة على مستوى كبير. قليل جدًا من الرجال في الحقيقة واثقين بشكل كافٍ في ذكورتهم اليوم، والكثيرين منهم منفصلين بشكل مرضي عن ذكوريتهم تمامًا.

برغم أن الجزء الأكبر من هذا الكتاب يتكلم عن شفاء الرجال، إلا أنني أود طمئنة القارئة المرأة بأنني لم أتجاهلها. لقد خلق الله الإنسان ذكرًا وأنثى، على صورته (تك ١: ٢٦- ٢٧). فالمرأة، حتى وإن كانت هويتها النوعية والجنسية أنثى متألقة، إلا أنها رجل لديه رحم. واليوم، غالبًا ما تحتاج نساء فرديات للتحرر من أفكار الجنس الواحد والتي تغطي على

هويتهن الجنسية، أو حتى تمنعهم من قبول أو المُكاملة مع أنثى غير مؤكدة. وفي مثل هذه الحالات، هناك حاجة للتواصل مع الأنثى بدلاً من الذكر (انظر قصة جودي ص ١٤٢ – ١٥٠). ولكن لكي تكتمل شخصيتها ليس فقط لابد من تأكيد أنوثتها، ولكن الذكر الذي بداخلها من الضروري أن يُعرف، ويوازن، بل ومن الضروري أن يُعزز.

إنَّ الأزمة الرئيسية اليوم، على أي حال، هي مع الرجال. عندما يُشفي الرجال سيتبعهن طبيعًا شفاء النساء. وهناك سبب مهم لذلك، ألا وهو الأب (أو بديل الأب) والذي يؤكد الهوية الجنسية للأبناء والبنات ولأن—الهوية الجنسية جزء حيوي في الشخصية نفسها—كأشخاص. الذكورة، كما سنرى، ليست شئ يمكن للإنسان أن يتعلمه، ولكن بالأحرى صفة يمكن أن تُختبر أو تواجه. الرجولة الداخلية يتم استدعاؤها وظهورها بواسطة الرجولة الخارجية، وهي بتلك الطريقة صفة تحتاج لأن تؤكد وأن تنمو بشكلٍ كافٍ في الابن.

والنتيجة التلقائية والجدّية لعجز الرجل في تأكيد ذكورته أنه سيعاني من تقدير منخفض للذات. وسيكون غير قادر على قبول ذاته. والرجال الذين لا يستطيعون قبول ذواتهم يفقدون بدرجة أو بأخرى القدرة على أن يكونوا آباء، أو أزواج، أو قادة. باختصار، فعلى الأقل جزء من شخصياتهم يبقى غير ناضج ويزداد لديهم السلبية ويصبحون ليس لديهم القدرة الخلاقة على إحداث التغيرات الضرورية التي تلزمهم وعائلاتهم للخروج والحماية من مستنقعات الحياة الحتمية. ومع أن القوة موجودة بداخلهم للقيام بذلك، والسمات الذكورية وعطاياها موجودة، لكنهم لم "يؤكدوها" لتحيا.

كلنا نعرف قصة الجميلة النائمة وقدرة الأمير التي أعادها للحياة بقبلة واحدة. وهذه صورة رائعة للقوة التي يجب أن يؤكد بها الأب الأنوثة في ابنته، وللقوة المستمرة للأمير الشجاع في حياتها لتقدير وتأكيد الجمال والهبات الأنثوية فيها[١].

ولكن في أيامنا نفتقر للصور المُبدعة التي نحتاجها للتعبير عما يحدث للفتى الشاب عندما يمنحه أباه عاشقه ويبارك في حياته بالكلمة المناسبة وإيماءة ذكورته المتأصلة. الشجرة المطمئنة لقوة الذكورة تكمن في حماية ورعاية الأب لهشاشة الذكورة داخل ابنه. وهي بصورة رئيسية وطبيعية تمامًا وبهذه الطريقة تُذاق وأنقل الذكورة.

بالرغم من أن حب الأم وتعضيدها لابنها أو ابنتها مهم جدًا، إلا أنها لا تستطيع في النهاية إخبار ابنها بأنه رجل، ولإبنتها التي هي في الحقيقة امرأة. هناك عدة أسباب لذلك، والتي توضح لماذا الأب (أو بديل الأب) هو الذي يؤكد للأبناء والبنات هويتهم الجنسية وكينونتهم كأشخاص. وأهم تلك الأسباب هو أننا في سن البلوغ والمراهقة نستمع للصوت الذكوري. فهو الأقوى، حب الرجل وتأكيده يأتي من خلال هذا الصوت الذي يقتعنا بأننا حقًا وأخيرًا منفصلين عن أمهاتنا. فكلنا ولدنا غير عالمين ذواتنا كمنفصلين عنها. ونحن شعرنا بأننا موجودين من خلال حبها أو حب الأم البديلة الصالحة، فعيناها، كما عشعشنا بين ذراعيها، تصبحان الحبل السري، والقناة المُنشطة للحب خلال يتم تأكيد إحساسنا بالوجود، وبدأنا ندرك بأننا كنا كيانات منفصلة وجديرة بحكم حقنا الشخصي. وبطريقة أخرى، بدأنا ببطئ في تنفيذ المهمة الصعبة لفصل هويتنا عن هويتها.

الأزمة في الذكورة تتضمن في الحقيقة بأن هذا الإفتراق وتأكيد الهوية لا يحدثان اليوم. نحن لا نخرج من سن البلوغ والمراهقة ونحن مؤكدين كأشخاص. أشار علماء النفس منذ أمد طويل إلى أن الانتقال من فترة الرضاعة إلى النضج يتضمن العديد من مراحل التطور النفسي، وعندما نفتقد أحد هذه المراحل تحدث المشكلة. خطوة قبول الذات عادة ما تأتي مباشرة بعد سن البلوغ. والمفتاح لهذه المرحلة، على المستوى الإنساني العادي، يكمن في الحب وتأكيد من أب كامل. وكما أن للأم دور حيوي وفعَّال جدًا في الشهور الأولى من الحياة، يكون للأب نفس الدور في هذه الفترة التالية. ومهما يكون التكامل في الأم نفسيًا وروحيًا، فهي لا تستطيع سد الفجوة التي يتركها فقدان دور الأب.

ليس من الضروري أن يكون الأب غائب بشكل حرفي لكي يفتقد من حياة الطفل. فنحن جميعًا نعرف الأب الذي ينهمك بشدة في عمله وليس لديه وقت ليقضيه مع أطفاله. وهناك آخرون موجودون، ولكنهم غير مُحببين، أو بعيدين عن أطفالهم، أو ضعفاء أو غير مؤكدين ذواتهم الذكورية ـــ ولذلك فهم غير قادرين على تعضيد نسلهم. وهنا تجدر الإشارة الي نقطة أخرى، وهي أنه بالرغم من هذا التمزق بين الأبوين والطفل فهما ليسا بالضرورة المسئولان عن ذلك. فهناك العديد من الآباء أو الأمهات المتكاملين الذين يرغبون في التواجد في حياة أبنائهم المراهقين، ولكنهم فقدوا منهم بسبب الثقافة التي تشجعهم كصغار علي النظر إلى أقرانهم فقط ليحصلوا على التأكيد والقبول.

ونحن لا نستطيع أن ننقل للجيل التالي ما لا نملكه. فالآباء غير المؤكدين لا يستطيعون تأكيد أبنائهم

وبناتهم كرجال ونساء وبالتالي كأشخاص. وحتى يؤدي الرجال مرة أخرى دورهم بهذه القدرة الحيوية، والنساء سَيُواصلنَ مُحَاوَلَة سَدّ الفراغ دون جدوى، وسَيُواصلنَ تَفعيل المِهم وتشويشِهم.

باختصار، هناك كمية كبيرة من التشوش الجنسي بين أعداد كبير من الرجال اليوم. وعندما يُشفِي الرجال، سوف ينفتح الممر المؤدي لكمال المرأة. إذًا، إن لم يبدأ الرجال بإيجاد ذواتهم كرجال، بطريقة ما فإن نفس التشويش الجنسي، وعلى نفس المقياس، سيغمر الحقل الباطن للنساء أيضًا.

لقد بدأت هذا الكتاب بقصة ريتشارد، وهي إحدى أكثر الحالات خطورةً وتعقيدًا، فهي توضح الألم الذي يتعرض له شاب موهوب عندما ينفصل عن جزء حيوي من ذاته. وتوضح قصته أيضًا البهجة المدهشة أيضًا التي تمنحها له الذكورة المتكاملة، والتي تمكنه من أن يجد ذاته.

١

عندما يسير الإنسان جنبًا إلى جنب مع ذاته

هناك منطقة معينة داخل كل إنسان التي فيها ومن خلالها يعمل الله. لهذه المنطقة يتحدث؛ ومن خلالها يعمل. وعندما يكتشف الإنسان المنطقة الإلهية الخاصة به، فانه يكون قد وضع يده علي الطريق المؤدي إلى قوة الحياة.

جون جاينور بانكس John Gaynor Banks
المعلم والتلميذ

إنه شيء لم أفعله من قبل ــــ وهو أن أخرج إلى الجانب الآخر من الحياة وانظر إلى حياة الإنسان كما لو أنه ما كان حيًا. هل يفعل الجميع كذلك في عالمك، يا بيبالد Piebald؟

س.س.لويس
Perelandra ثلاثية في الفضاء

فيما كنت أتناول طعام الإفطار، حدثني جون تليفونيًا، الصديق المُقرّب والشريك. لقد كان صوته المبتهج عادةً قد اختفي بسبب المحنة والقلق الشديد الذي أحسه تجاه زميل له. الليلة الماضية علم

أن ريتشارد كان في حاجة ماسة لصلاة الشفاء. لقد كانت مشاكل ريتشارد كبيرة جدًا بالنسبة لجون لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أنٍ يحدث مثل هذا لريتشارد. فقد كان ريتشارد معروفًا في المجال الاجتماعي كفنان لطيف الذي يشعُّ إيمانه علي أعماله الفنية واجتماعيًا كان يُنظر إليه كزوج نموذجي، وأب، وعضو كنيسته المثالي أيضًا. وكما سبق وذكرنا، كان من الواضح جدًا من النبرة التي تحدث بها جون أن ريتشارد يحتاج لمساعدة فورية وشفاء سريع.

كانت البداية بالنسبة لجون الليلة الماضية، عندما إعترف ريتشارد له لأول مرة، كأحد أخلص أصدقائه بكل الأشياء غير الإنسانية، بل وحتى الشيطانية، التي كان يمر بها في حياته. لقد أخبر جون عن الإلزام المُظلم الذي أبعده ليلاً إلى شوارع المدينة الكبيرة، حيث قام بأفعال مُظلمة، وحتى إجرامية على حدٍ سواء. كانت هناك قوة إلزامية تدفعه إلى إدمان الخلاعة. هذا بالإضافة إلى أنه كان معتاد التردد على أسواق الخلاعة وهو يبحث عن لقاءات مع شواذ جنسيًا. وفي البيت تركزت مشاكله حول علاقته الجنسية مع زوجته. وبالرغم من حبه الشديد لها، إلا أن زوجته أحست بالتشوش بسبب إنعدامه للرغبة تجاهها، وفي نفس الوقت كانت تشعر أنها مُغتصبة ومجروحة أثناء علاقتهما الجنسية (الزوجية). وكم قاومت بشدة رغبته بوضع مرايا حول سريرهما.

وفي هذه الأثناء، في حياته الخفيّة كان ريتشارد يسكر بشدة. فكان يشرب لدرجة الغياب عن الوعي والتقيأ. وفيٍ مثل هذه الحالات كان أحيانًا يتجرَّد من ملابسه كاشفًا عورته علنًا. وفي ذات مرة حاول أن إغتصاب فتاة مراهقة. وبعد هروبه بصعوبة بالغة من محاولة لقتله، وفي حالة أخرى اقترب من الانتحار،

وانضم إلى مُدمني خمور مجهولين. وبعدها إنضمَّ إلى منظمة بلا كحوليات "A.A." وكان انضمامه لها هو الجولة الأولى نحو الأفضل في حياته، فقد مكنته تلك المنظمة من الإقلاع عن الكحوليات. ولكنه أدرك أنه الآن تحت سيطرة الخلاعة والشذوذ الجنسي، أكثر من أي وقت مضى. كما أخبرني لاحقًا: "إشارة خطر أكبر من التي أحسستها من قبل بدأت في التلاشي. وأنا أعلم أنه يوجد خلل أو نقص ما داخل نفسي، وهذا الخلل تسبب في تعميق الفجوة وبعدها الضيقة، وأنا أعلم أنني لا أستطيع أن أتحملهما معًا لفترة طويلة".

لقد ظهر هذا "الخلل" وانعكاساته في إدمانه للإباحية والشذوذ الجنسي بسرعة بعد أن وصل ريتشارد لصلاة الشفاء. لم تكن مشكلته الأساسية أنه مزدوج الجنس (أخنث) بالمعنى المعروف لهذا المصطلح (وهو الشخص الذي ينجذب إلى ويمارس الجنس مع الرجال والنساء، على حد سواء) أو حتى أنه "شاذ جنسيًا". ولكن المشكلة كانت تتمركز في حقيقة بأنه كان منفصلاً عن ذكورته وتبعًا لذلك عن ذاتة الحقيقيه. إن المفهوم التقليدي والأفضل لكلمة خنثي (مزدوج الجنس)[1]، هو أن الرجل في معناه العام ثنائي الجنس، بمعني أنه يحمل بداخله العناصر الأساسية للذكر والأنثي. وفي السرد اليهودي عن خلقة الإنسان يذكر أنه قبل أن تؤخذ حواء من جسد آدم خلق آدم (ذكرًا وأنثي) علي صورة الله (تك ١:٢٧). والإثنان، معًا، يمثلان صورة الله (وضع الزواج، في التقليد اليهودي—المسيحي، هو تعويض رمزي، الطبيعة ذات القطبين للإنسان). وبالنسبة لريتشارد فان إنفصاله عن ذكورته بدأ، كما سنرى لاحقًا، عندما كان بعمر ثلاثة سنوات فقط.

وكان هذا الانفصال مثل إنعزال عن جزء مهم من هويته الجنسية، بكل دلائلها البدئية archetypal

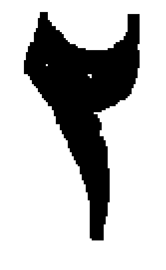
symbols القوية في عقله الباطن وفي قلبه. فان انفصال ريتشارد عن ذكورته يعني، نفسيًا، أنه كان منفصلًا عن القوة التي تمكنه من إدراك وقبول نفسه كرجل. فتصوره الداخلي عن نفسه للأسف كان مفقودًا. ومثل المسافة بين الأسنان المبتسمة، كانت هناك فجوة مظلمة في إدراكه لنفسه. وليس بداخل قلبه أيَّة صور له تُظهره كرجل وكشخص بحكم حقه الشخصي. ومثل هذه الصور بما أنها رمزية، فهي أيضًا أكثر واقعية، وهي بالتأكيد موجودة ولكن معامل الأمان داخل هويته الجنسية لم يلاحظها أبدًا. لقد كان بداخل ريتشارد فراغ غريب، وهذا الفراغ حاول ريتشارد كثيرًا أن يملأه بحياة غير صحيَّة من نسج خياله. وهذه الحياة الخيالية، تمامًا مثل الصورة التي حفرت في داخل نفسه غير السوية تقدم صورًا رمزية للتشويش الجنسي الذي يعاني منه.

لم يكن هناك أي طريق لريتشارد كي يحيا حياته من خلال ذلك المركز الموجود بداخله والذي يدعو المسيح ليسكن فيه، لأنه كان رجلًا عاش طويلًا غائبًا تامًا عن نفسه. وبدلًا من الانتقال من ذلك المحور، عاش خارج قلبه بإحساس طفل مذنب بموجب قانون لن يستطيع أبدًا أن يوفيه، وبتمركز ذاته حول قلقه كمراهق علي كل شبر في نفسه، وبكمالية الفنان الذي يسعي بلا أمل لإثبات قيمته الشخصية مرارًا وتكرارًا. لقد انقسمت حياته، وسار حقًا جنبًا إلى جنب مع ذاته.

بدرجة أو بأخرى فإن عدد لا يُحصى من الرجال يشاركون ريتشارد في هذه القصة الداخلية المؤلمة. منهم من يتصرف فيها كدون جوان (زير نساء)، الذي يغوي النساء بالقوة، ومنهم من يعيش كمخادع ومتبجح إلزامي لكي يثبت ذاته؛ وثالث قد يصاب بالخوف المزمن كخطوة للخروج ويقود الآخرين بقدرته علي

القيادة وتقرير أو تمثيل الحقيقة كما دعيت لأجله. وآخر قد ينغمس في مستنقع الوحدة والجمود والسلبية. وسوف يعاني من نمو الإحساس الأنثوي بقوة. كل لغير المؤكدين لذكوريتهم مُحاصرين بالفشل في قبول ذواتهم. وهم في جولة ما لا توجد لديهم القدرة الكافية لتأكيد ذريتهم في هوياتهم الجنسية والشخصية.

في ذلك اليوم الأول الذي إلتقيت فيه ريتشارد لم يكن مدركًا مشكلته. فقد كان يعرف فقط أنه منقسم من الداخل، وبأن مشاكله من النوع الأكثر خطورة، وبشكل تدريجي روى لي قصته كاملة.



رجل في أزمة
قصة ريتشارد

قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ (مت ١٠:٧)

بدت عينا ريتشارد أكثر اظلامًا في وجهه الشاحب عندما فتحت البابَ لتحيته عند زيارته الأولى لي. وكان الخوفُ مِما عاناه في حياتِهِ، ومما سيواجهه في الساعاتِ المقبلةِ ظاهرًا في تعبيراتِ كلِ بوصةٍ مِن قسمات وجهه! لكنه ما لبث أن استرد أنفاسه سريعًا، وقبل أن ينطق بالأمورِ التي كانت تُرهق قلبه، أخذت يده في يديّ وتوسّلت طالبًا حضورِ اللهِ القدّوس الكثير الغفران.

أنه ذلك التوسّل للحضورِ الإلهي الذي يجعل الصلاةَ مِن أجل شِفاء النفس تختلف عن جلسات علم النفس والأشكال الأخرى مِن جلسات المشورة. بهذه الطريقة، انتقلنا إلى إدراك الملكوت السري الذي نحيا به كمسيحيين ونتحرك فيه ونوجد. حتى وإن كنا نعيش في المملكة المنظورة، فالملك نفسه يسهر على رعيته. بدأ ريتشارد يجد ذاته، وأدرك أنه مِن الممكن لهذه الذات الحقيقية أن تتحرر مِن أسر نفسهُ الخاطئة التي كانت تُحكم قبضتها على أفعاله، وكان دوري هو أن أدعو ريتشارد الحقيقي إلى محضرِ الربِ، وأن

أكون الأداة التي بِها يُطلق الروحُ القدّس هذه النفس مِن أسرها.

وبينما هدّأنا أنفسنا في محضرِ اللهِ، صليت ـــ كعادتي دائِمًا ـــ بهذه الكيفية، فقلت: "يا رب، أشكرك لأنك حاضر الآن معنا، من فضلك أنزع مِن عقلِ ريتشارد وذاكرته هذه الأمور التي نُصلي مِن أجلِها، واعطني، يا رب، الآذان لأسمع ما تقوله، والأعيّن التي ترى ما أنت تراه، والفم لأنطق بما تقوله. نحن نشكرك مسبقًا، يا رب، مِن أجل شِفاء عبدك وتطهيره".

بهذه الطريقة يُصبح الإخبار بالقصةِ ليس فقط جزءًا مِن شِفائه، بل أيضًا كشفها وإظهارِها الحقيقي، لأننا لا نستطيع بدون معونة الله أن نبدأ في سرد قصة حياتنا الحقيقية. كانت كلمات ريتشارد التي كتبها بعد ذلك عن الوقت الذي قضيناه معًا، تشرح وتوضح ما الذي يُمكن أن يحدث عندما "تستمع" لقصتنا الحقيقية في محضرِ الحقِ ذاته، فيقول: "لقد شعرت كأن كل وقت ذكرت فيه خطوة أخرى في الطريقِ المُروّع المنحدر نحو الأسفل، وكأنها بمثابة إلقاء بلوى أو حجر في بركةٍ عميقة راكدة ـــ لكن انظر، ها قد اختفت.

الجلسات الأولية لوضع الأيادي

تحوّل الوقتُ الذي نقضيه معًا في محضرِ اللهِ إلى "مكتب كرسي اعتراف" وإن كان بشكل غير رسمي، إذ كان احتياج ريتشارد لأن يعترف بهذه الأمور التي شغلت حيزًا في عقله الواعي احتياجًا شديدًا وملحًا. حيث أنه قبل أن يبدأ في التنقيب بعيدًا في ماضيه، بدأنا بالاعتراف وطلب الغفران عن هذه الخطايا التي كان هو واعيًا جدًا بما تسببه له مِن آلام مُبرحة.

ولكي يهدأ ويستعيد سلامه، بدأتُ هذه الصلاة ـــ

بينما أضع يدي عليه ـــ مِن أجل تحرير عقله وشِفائه، تحرير عقله مِن الظلمةِ التي كانت تضغط عليه والتي أمسكت بتلابيبه في أطر قهرية، فدعونا المسيح الشافي بأن يسطع بنوره فيبدل هذه الظلمة إلى نور وإشراق. بهذه الطريقةِ بدأ يتخلى بكل حرية عن هذه الخطايا، الواحدة تلو الأخرى، وعن هذه الضغوط الإلزامية التي كان يخجل منها جدًا. ولكي يُشارك مِن أعماق قلبه وفكره في هذا التخلي عن الخطية، طلبت منه أن يتخيل ـــ بينما يُغمض عينيه ـــ السيد المسيح يموت على الصليبِ حاملاً هذه الخطايا عينها وهذه الأمراض علي نفسه، ولكي يشترك جسدهُ في هذا التخلي، مُعضدًا نفسه وروحه، سألته أن يقوم بمدّ يديه وراحتيها إلى أعلى باتجاه ذاك الذي يراه بعيني قلبه، وقد فعل هذا بفرحٍ، وبدون أدنى تحفظ، وهكذا رأينا كل أمر مظلم أتى على ذكره واعترف به، إذ به ينساب في جسد المسيح! وبعدها أعلنت غفران إلهنا التام، وسألت الروح القدّس مرة ثانية، أن يدخل ويملأ بنوره كل المساحات المظلمة في نفسِ ريتشارد التي كانت تسكنها وتعشعش فيها هذه الخطايا وتلك الضغوط الإلزامية.

بعد ذلك، وفيما كان ريتشارد يكتب شيئًا من هذا الاعتراف التمهيدي، عبّر عما حدث بقوله: "صلّت ليني معي، ودخلنا إلى محضرِ اللهِ، واعترفت له بكلِ شيءٍ.... وهو بدوره حمل كل هذه الخطايا، ورش دمه عليها كلها، وهكذا أزاحها عني".

مِن الأمور التي انكشفت، أثناء هذا الاعتراف الأولي، اهتمامه البالغ بعلاقته الجنسية مع زوجته، فأخبرني بأنه كان قد طلب مِنها أن يكون هناك العديد مِن المرايا حول فراشهما، ولكنها رفضت مثل هذا الطلب ـــ ومع أنه لم يكن قادرًا لأن يعترف لها بذلك ـــ لكنه كان

بحاجة لهذه المرايا ليتمكن مِن ممارسةِ العلاقة الحميمة معها. مِن هنا أدركت أن ريتشارد كان عاجزًا جنسيًا، وأنه اعترف قائلاً: "كان عليّ أن أتظاهر بأني رجل آخر لأضاجع زوجتي". لقد احتاج ريتشارد إلى نوع مِن الخيالات الإباحية في ذهنه، وإلى أن يرى صورة نفسه في المرآة حتى يتمكن مِن ممارسة الجنس مع زوجته.

أدركت بذلك ما يمكن أن نجده في ذاكرة ريتشارد، ولاسيما ما كان محجوبًا. ومِن ناحية أخرى: قصة شاب يعاني مِن نقص في رجولته وفي بحث مضني بشأنها، وعرفت أيضًا أن هذه الذكريات ستكشف الجراح خلف هذا الانفصام المؤلم مِن شخصيته، لكن قبل التوجه إلى الصلاةِ طلبًا لشفاء ذاكرته، سألته أن يروي لي قصته مِن بداية طفولته. وبسؤال عرضي مِن جانبي، اتضحت الصورة التالية مِن حياتهِ.

ماضي ريتشارد

نشأ ريتشارد في بيئةٍ محافظة في الغرب الأوسط، وكان والده يصطحبه هو وأخاه الأصغر إلى كنيسةٍ معمدانية ومدارس الأحد بها. كان والده، كما يصفه ريتشارد، "شخصية محترمة صارمة" متقد الذهن، وقليل الكلام، وكان يملك إرادة لا تكل لقهر كل ما يواجهه مِن عقباتٍ في طريق نجاح مادي معقول. طمح ذات مرة أن يعمل مدربًا لكرة القدم، لكن ما لبثت طموحاته أن تدمرت بهروبه مع أم ريتشارد قبل أن يُنهي دراسته الجامعية، والتحق بعدها بشركة تجارية ليكسب قوته وإعالة أسرته. وتدرج في السلم الوظيفي بهذه الشركة حتى وصل أخيرًا إلى سكرتير تنفيذي. وإن كان ريتشارد اعتقد أن أباه قد دفع الكثير مِن أجل هذا المنصب، لأنه في السنوات العشر الأولى

مِن الزواج، عاش مع أم ريتشارد في منزل والديها، لأنهما لم يتمكنا مِن شراء بيت خاص بهما. والمؤسف أن ريتشارد تحدث عن طموحات أبيه المنحرفة، فقال: "إنه لم يستكمل دراسته بالمدرسة ولم يقم أبدًا بعمل مدرب كرة القدم، ولم يكن ابناه أبدًا رياضيين، ويحضرني أن أبي كان يجلس محدقًا عينيه في التلفاز ليشاهد مباراة ما، ويطيل التفكير ويحرق سيجارة وينفث دخانها في الهواء".

أمَّا أم ريتشارد، فانحدرت مِن أسرة ثرية ذات مركز اجتماعي مرموق، وقد اشتغل العديد مِن أقاربها في الأجيال السابقة بالفن والسياسة. إلا أنه برغم صيت هذه الأسرة وشهرة أفرادها؛ فشلوا جميعًا في حياتهم الشخصية والمهنية بعد أن أحرزوا نجاحًا ماديًا وأدبيًا، إذ حصلوا على المال والمكانة الاجتماعية. فإحدى أفراد هذه الأسرة انتهت حياتها وهي وحيدة، ومفلسة، ومدمنة خمور، بعد نجاحها العالمي كفنانة. بينما أنهى البعض منهم حياتهم في إدمان دواء مخدر. وبالنسبة لأم ريتشارد، فقد ورثت سمات فنية مرهفة، بالإضافة إلى طبيعة الانتحار التي صاحبت أسرتها. وبنبرة تتسم بالكرب، روى ريتشارد كيف عاشت أمه حياة الترف دون أن يكون لها المصادر التي تمكنها مِن ذلك، فقال: "إنها نادرًا ما كانت تقوم بإعداد الطعام، وأعمال النظافة كانت تسندها للخادمات، وكانت تبكي في كل أعياد الكريسماس لأنها لم تكن تملك معطفًا جديدًا مِن الفرو". وطيلة السنوات العشرة الأخيرة مِن حياتها لازمت الفراش إذ كانت تعاني مِن داء الفاليوم، ومِن ارتفاع في ضغط الدم، حتى صارت شيئًا فشيئًا مشوشة وغير متماسكة، فلم تعد قادرة على القيادة، ولا حتى أن تكتب اسمها، أو أن تكمل كتابة جملة، وتم تشخيص حالتها على أنها تعاني مِن مرض عقلي.

في سنوات طفولة ريتشارد وأيام شبابه الأولى، كان أبوه يحتسي الخمر بشراهة، وعندما كبر الولد، أدرك أن ميل أبيه ونزعته إلى التأمل في الفشل وفترات الإحباط في ظروفه الحياتية، ألقت بظلالها على العائلة بأكملها. وفي مثل هذه الظروف السلبية، بشكل عام، لم يقدم الأب أية إشارة توحي باستمتاعه بعلاقته الزوجية مع أم ريتشارد، هذا وقد أوصى الأب أبناءه بعدم استعجال زواجهم كلما أمكنهم ذلك لأنه—كما يقول—إن الإثارة لا تستمر إلا لوقت قصير. يبدو أن إدمانه على الخمر كان منذ صغره، قد نجم عن خيبة أمل في نفسه وفي زواجه.

تذكّر ريتشارد إحدى الأمسيات التي جعلته يرى فيها أباه وهو يخرج مِن سيارة العائلة مخمورًا ومرتميًا على الأرض، بينما تصرخ فيه الأم لينهض، مراعاة لمشاعر الأبناء—وتختلط عندها مشاعر الضحك بالبكاء، أو الضحك إلى حد البكاء—لما وصلت إليه حالة زوجها، وهي تحاول أن تسحبه وتجره إلى الداخل! وقال ريتشارد: "كنت أنظر إلى أبي نظرة يملأها الخجل، وبعدها أنسل إلى غرفة نومه، بينما قامت أمي بصب الخمر".

بينما كان ريتشارد يجتّر ذكرياته القديمة، تذكر أمرًا مرعبًا بحق حدث له بينما كان في الرابعة مِن عمره، حيث قام صبي يكبره في العمر باغتصابه! ولم يستطع ريتشارد أن يُخبر أحدًا بهذا الأمر، إلى أن اكتشف أخوه الأكبر—بطريقة ما هذا الأمر—وساعد على إبعاد ذلك الصبي، وإنما بعد أن اعتدى على ريتشارد عدة مرات، وكم كان الاختراق الشرجي—كما يذكر ريتشارد—"مرعبًا وبغيضًا". كانت هذه الذاكرة مكبوتة على مدى ستة أشهر قبل أن يتقابل معي، وعندما كان ريتشارد وزوجته يقومان

بحقن طفلهما بحقنة شرجية، بدأ هذا الموقف يراوده في عقله الواعي، وروى ريتشارد أنه عندما كان لم يزل طفلاً صغيرًا، كانت تنتابه أحاسيس أنه "مشوه، ومخصّى، وضعيف، وغريب، ومنحرف". وأدرك أنه منذ أن وقع عليه هذا الاعتداء الجنسي، فقد ترك في أعقابه جرحًا عميقًا، وصدمة لا شفاء منها ولا حل لها، وخلفت ورائها صورة شخصية جريحة للغاية، وإحساس فظيع بالذنب [بسبب المشاركة في الفعل ولو على كره منه]، وكان بإمكان هذا أن يصيبه—كضحية—بمخاوف مِن أنه شاذ جنسيًا، وهذا ما كان يحدث في الغالب... ومِن هنا كان مِن الممكن أن يؤدي به الأمر إلى شذوذ علني.

بل كانت هناك ذكريات أخرى تعمل في داخله، والتي كانت في حاجة مماثلة إلى الشفاء، ولعل بعضها كانت قد تأصّلت جذورها في ضمير ريتشارد مِن جراء قهر شذوذ جنسي آخر. على سبيل المثال، كانت لديه ذكريات عن أمه وهي نائمة بملابس شبه عارية [ولعلها كانت مخمورة] في وقت النهار! وتذكّر ريتشارد موقفًا آخر عندما دعا صديقًا له في البيت، وهاله منظر أمه وهي نائمة في وضع مخزي، وأعضائها التناسلية مكشوفة. يستخدم الشيطان مثل هذه الأحداث، وخاصة إذا تورط الأب أو الأم، مثلما يستخدم الوسائل الإباحية. تكشف الصدفة العقل غير الناضج روحيًا، والذي لا يستطيع مقاومة الضغوط الشيطانية، والتي تأتيه في شكل إغراء، أو تجربة، أو اتهام. كنت أعلم أن جميع هذه الذكريات تحتاج إلى صلاة شِفاء.

وبينما تتقدم قصة ريتشارد، أصبح واضحًا جدًا أن مشاعره وإحساسه بكونه "مشوهًا، ومخصيًا، وضعيفًا، وغريبًا، ومنحرفًا"، كانت تتقوى وتزداد

رسوخًا مع غيبة الأب الذي ظل بعيدًا، وإفراط الأم في تدليل ابنها، فقد كان ريتشارد بالنسبة لها؛ عاجزًا ونرجسيًا، ومكتئبًا، وسلبيًا إلى حد بعيد!

وهكذا؛ بعدما شعر بعدم الأمان في المرات الأولى التي استطاع فيها أن يسترجع بعض ذكرياته، بدأ ريتشارد في سن مبكرة في المدرسة، صراعًا بطوليًا —وأن لم يكن ناجحًا— ليحرر نفسه من هوية أمه الجنسية. نجح أساسًا في تشكيل نماذج للكفاح الشديد لإشباع ذاته أو لتأكيد نفسه كذكر، وبحمية شديدة قادته إلى زيادة الإنجاز ليعوّض النقص الذي كان يشعر به في نفسه، فكان يسهر في استذكار دروسه إلى ما بعد منتصف الليل، ليحصل على الدرجات النهائية في كل المواد. كما انضم إلى كل النوادي المتاحة، وكان أول مَن يتطوع للقيام بالأعمال الصعبة. وقد نالت جهود ريتشارد ونشاطاته الدءوبة استحسان الأب ورضاه، حتى عُرف ريتشارد بصاحب الإنجازات الكثيرة والتنافس المتزايد.

أما فترة مراهقته —كما تصفها كلماته— فكانت "كئيبة". اكتشف في تلك الفترة أنه يملك بعض القدرات الرياضية، ويروي أن والده أنهض ذهنه بالقول، "لكي تلعب كرة القدم، ينبغي أن تتوافر لك مقومات اللعبة مِن جسم ذا حجم معين وسرعة معينة، وما شابه، والحق أنه لم يكن لديّ أي مِن هذه المقومات، فأصبت بالإحباط. وتوجهت بعد ذلك إلى فريق كرة السلة الخاص بالكنيسة، وكانت النتيجة إخفاقي التام، بعدها عكفت على استذكار دروسي بكل كد واجتهاد مِن ذي قبل، في محاولة مني أن أتفوق في شيء ما. لكن رغم أدنى نجاح حققته، كان هناك نوع مِن الخلل الذي طالما سبب لي ضغطًا! ونحو ذلك الوقت، اكتشف ريتشارد موهبته الفنية، التي حازت

على إعجاب الناس ومديحهم، لكن لا الموهبة ولا المدح جعله يشعر بحال أفضل عن نفسه كرجل.

كان لدى ريتشارد في تلك الأيام، مشكلة مروعة مع العادة السرية ــ التي استمرت معه بعض الوقت، لكن بدرجات متفاوتة مِن الشدة، وكانت الخيالات التي تصاحب هذه العادة تلي الشذوذ الجنسي في طبيعتها، كأن يتمثل أمامه مشهد شاب يافع رياضي وسيم الشكل ــ وليس فتاة جذابة فاتنة ــ يقوم بإثارته. بدأ الخلل الذي بداخله يتعمق إلى أن أصبح فجوة، ثم ممرًا ضيقًا، فيقول: "بدوت مِن الخارج شهيرًا، وابن الكنيسة، وطالبًا سعيدًا له العديد مِن الصداقات والمواعيد مع الفتيات. أما صديقتي التي استمرت معي طيلة عام فكانت ملكة جمال [وكذلك كانت أم ريتشارد ملكة جمال]، وكان الجميع يعرفون كم سيكون مستقبلي باهرًا. أما من الداخل، فكل ما عرفته أني كنت أسعى دون توقف لأشعر أنني رجل قوي، أخذت دروسًا في كمال الأجسام، حتى صرت أتمتع ببنية جيدة، وبدأت أجري لمسافات طويلة قبل الذهاب إلى المدرسة..." ورغم كل هذا، لم يشعر ريتشارد بشيء أفضل عن نفسه كرجل! إلى أن سمعته يقول: "في أي موعد لي مع فتاة، لم أكن أفعل معها أكثر من قبلة ساخنة، لأنني كنت مرتعبًا إذا ضاجعتها وعرفت أنني لست كفءً جنسيًا!"

عند هذه النقطة قاطعته لأشرح له ما أصبحت أسميه "الإكراه على أكل لحم بشري"، لأن هذا ما كان يعتمل في خيالات ريتشارد الجنسية الشاذة. فعندما يُخبرني أحدهم بأن هناك رغبة شديدة تنتابه تجاه رجل آخر، أسأله على التو "ما الذي يعجبك فيه بالتحديد؟" وتختلف الإجابات بالطبع... لكن في مثل حالات ريتشارد؛ فالذي يعجبهم في الرجل الآخر هو سماته

هو الشخصية، غير الثابتة فيهه، هذه السمات التي هي بحق ذاته المنفصل عنها" فلا يستطيع بأي شكل من الأشكال أن يراها، وبالتالي لا يستطيع أن يقبلها كجزء من كيانه، فيسلط الضوء عليها في شخص آخر.

بعد أن يحدد المريض نواحي إعجابه في الرجل الأخر، أسأله: "هل تعلم لماذا يقوم أكلوا لحوم البشر بأكل الناس؟" وإذ يهز رأسه سلبًا ـــ وبدرجات متفاوتة من الدهشة من مريض لأخر ـــ أسرع لأخبره بما قاله لي أحد المبشرين، وهو "أن أكلي لحوم البشر يأكلون لحم من يعجبهم فقط، ويأكلون لحمهم ليحصلوا على صفاتهم". أما الذين ينجحون في التظاهر بالخبل والجنون، لا ينتهي بهم الأمر بالذبح ووضعهم في قدر للطبخ".

كان ريتشارد يرى في خيالاته الجنسية، الشكل المثالي الذي كان يفتقده، والذي كان يكمن بالنسبة له في الفحولة [الرجولة] الجنسية من النوع الرياضي. فكان ينظر إلى الآخرين ويعجب فيهم بما كان يفتقده في نفسه، أي رجولة/ ذكورة حزينة غير مؤكدة، ولذا لم يستطيع ان يدركها وأن يقبلها. إن النشاط الجنسي الشاذ، غالبًا ما يكون الطريق المنحرف الذي يحاول أن يتبناه المرء لنفسه ـــ كالطريق الخاطيء لأكلي لحوم البشر ـــ أي السمات التي يفتقدها في شخصيته. إنها في الواقع شكل من أشكال حب الذات، أو النرجسية.

في الثامنة من عمره، سلَّم ريتشارد حياته وكرسها ليسوع المسيح، وكان يأمل في أن ذلك سيزيح عنه ـــ وبطريقة سحرية ـــ الشعور بعدم الأمان، ويحرره من العادة السرية. ألزم نفسه بالقيام بخدمات مسيحية للشباب لمدة عامين، وانخرط فيها إلى حد التعب والإرهاق إلى حد أنه لم يعد يشعر بعدم الأمان، ولم

يكن لديه وقت حتى ليفكر في ممارسة العادة السرية. لكن لم يلبث بعد حماسه يخمد، فيقول: "خشيت أني كنت ألهي نفسي بعيدًا عن مواطن ضعفي وعيوبي، بدلًا من مواجهتها. لكن إلى أين يتجه المرء بعيدًا عن المسيح؟ عندما قللت من كل الأنشطة، وجدت كل دوافع الشذوذ الجنسي، والرغبة في التحرش بامرأة، والتلهف على شرب الخمر، وجدت أن كل هذا يهدىء من الألم الروحي.. كل هذا كان ينتظرني كوحش كاسر". كان ريتشارد يسأل نفسه بشكل متواصل: "ألست مسيحيًا، ألا يستطيع المسيح أن يقهر هذه الشهوات الجامحة ويتغلب عليها؟"

كان عليه أن يكتشف في خبرة حضور الله المذهلة، كيف يمكن أن يشفي المسيح بسرعة وأكثر مما يتصور، مثل هذا الصدع الداخلي، كما عرف ذلك من قبل. واستمر في غضون ذلك الوقت في سرد قصة معاناته بكل أمانة، قدر المستطاع.

في السنة الأخيرة لريتشارد في الكلية، جاءه صديق رياضي وفنان، يحكي له عن مشكلات عاطفية منحرفة، فبدأ ريتشارد يجرى معه جلسة مشورة ليريحه ويهدي من روعه، حتى انتهت تلك الليلة بممارستهما الجنس معًا، وقال: "لم أكن أعلم أن هذا كان سيسبب لي يأسًا وإحباطا، لكن هذا ما حدث... ولم نكن نفكر أبدًا أن هذا يمكن أن يحدث مرة أخرى، لكنه حدث، ولعدة مرات، وأخيرا اعترفنا بالأمر لبعض المؤمنين، الذين لم يكن اشمئزازهم وتقززهم مما حدث، إلا دافعًا وحافزًا لنا على أن نتوقف".

بعد هذه التجربة أدرك ريتشارد إن الزواج سيكون الحل. ولعله ظن وهو يقوم بعمله المسيحي، أنه قد كبح جماح شهواته الجنسية، لكنها لم تلبث أن خرجت

بكثرة في أول مواجهه جنسية أتيحت له. ومرة أخرى، لكن هذه المرة،عندما وقع في حب فتاة التي تزوجها بعدئذ، وفي غمرة توقعه "للحل القادم"، تمكن من التخلص من العادة السرية، ومن النظر إلى الصور الخليعة والمناظر الجنسية الشاذة.

أما الجزء التالي من القصة، فهو يختص بحياته الزوجية، وهو الجزء الذي كان سرده أكثر صعوبة على نفسيه ريتشارد، بسبب حبه المتفاني لزوجته وتقديره الكبير لها.

يقول ريتشارد: "تزوجت من امرأة مؤمنة جميلة وساحرة، أحببتها ولازلت. لكن في ليلة زواجنا انكشف الصدع الذي بداخلي، فعندما تجردنا من ملابسنا، كنت أشعر بالخوف، وينتابني رعب من أن ينكشف أمر نقص الرغبة الطبيعية لدى .. بدأت أتخيل رجلًا فحولًا مكتمل الرجولة، وذلك لأتمكن من ممارسة الجنس معها بنجاح". وذات مرة أخبرني أنه يبحث عن صور عارية لتكون ماثلة في ذهنه وهو يتجه إلى الفراش. وقال: "كنت في حاجة إلى مرآة في غرفة نومنا، لأنظر إلى أنفسنا أثناء ممارسة الجنس، وهكذا أمارسه كما لو كان بشكل غير مباشر".

لم يستطع أن يخبر زوجته أنه كان عليه أن يتظاهر بأنه رجل آخر ليتمكن من مضاجعتها، لكن سرعان ما ظهر إحساسه بالذنب في هذه الناحية، إذ لم يستطع التمادي في هذا التظاهر الذي بدا له بمثابة عمل خائن جبان في حق زوجته. ووجد أن أفضل علاج هو كوكتيل مانهاتن مضاعف، وهكذا بدأ الدخول في دائرة شريرة فاسدة، إذ أدّى به شعوره بعدم كفايته كرجل، وإحساسه بضعفه، إلى مشاهدة الأفلام الإباحية، كعامل مساعد ومحفز لممارسة الجنس مع زوجته، تلي ذلك تعاطيه

الكحوليات ليخفف من إحساسه بالذنب، وتلاه إحساس أخر بالذنب بسبب سوء استخدام الخمر.... وهذا أدى بدوره إلى إحساس أعمق بالضعف وعدم الكفاءة.

في السنوات الأولى من زواجه، بدأت هذه الدائرة تنحدر إلى أسفل. كانت مهنته بطبيعتها تنافسية إلى حد كبير ولا يمكن التنبوء بها، وفي هذه أيضًا كان يريد أن يؤكد ذاته كرجل. وبعد سنوات من الكفاح لمواجهة متطلبات المهنة، بالإضافة إلى مولد ابنه، بدأ ريتشارد يمارس خيالاته الجنسية خارج نطاق الزواج، فأدمن الكحوليات. وذات مرة، نزع ملابسة، وحاول اغتصاب فتاة صغيرة. وبدأ يتمادى في الشرب لعدة أيام، حتى صار وجهه شاحبًا، وبدأ يتقيأ، ثم سعى وراء لقاءات جنسية شاذة في الكباريهات وأماكن الدعارة، حتى كاد يفقد حياته بجريمة قتل أوشك أن يرتكبها ــــ في تعاسته وشقائه ــــ في حق نفسه! بدأت تتزعزع ــــ في غضون ذلك أساسات زواجه... ولكن بطريقة ما، نجح في الحفاظ على سمعته المهنية والاجتماعية.

بعد محاوله الانتحار، عاد ريتشارد إلى إدمان الكحول، لعله يجد فيها مساعدة، ووجدها بالفعل، فيقول: "إن إدمانها كان بمثابة الانطلاق قبالة الطريق السريع والتوجة ببطء لنوال المساعدة، علي دراجة بسرعة ١٠٠ ميل/ ساعة وقاربت علي التلف، الأمر الذي يوحي بالاعتدال ومواجهة الواقع الذي كان أكثر قوة وسعادة من أية خبرة عرفتها حتى الآن". لا يزال ريتشارد يعرف نفسه أنه رجل يعاني من مشكلات عويصة، ولكن لمدة عام ونصف كان قانعًا أن يصنفها تحت "إدمان الكحوليات"، لأنه شعر بالأمان في أوقات صحوه ويقظته، وتحسن زواجه لفترة، كما بدأ يستمتع بعمله، وأيضًا يواجه مشكلات كل يوم بيومه.

ليتخلص المرء من إدمان الخمر، عليه أن يكسر حاجز الإنكار، الدرس الذي تعلمه ريتشارد جيدا في إدمان الكحوليات، تعلم الآن أن يكون أمينًا جدًا مع نفسه، وأن الهروب من مشكلاته، ستكون ببساطه "شكلا من أشكال إدمان المخدرات". لذلك اكتسب شجاعة ليواجه إحساسه الداخلي بالوحدة، وأن يكون مهيأ للتساؤلات المخيفة التي في قلبه، بدلًا من الهرب، واجهها ريتشارد الواحد تلو الأخرى، وبدا يسائل نفسه عدة أسئلة: "إن كان تعاطى الكحوليات في الأساس، هو مرض نفسي، فهل كان شربي الخمر خطية أم مرضًا؟ وماذا سأفعل إن كان الشذوذ الجنسي صفة بيولوجية محددة؟"

خلال ذلك الوقت، تم تشخيص أمه بأنها مريضة عقليًا، فسأل نفسه: "هل يمكن أن يكون مقدرًا لي أن أنهي حياتي مثلها، ومثل أسلافها؟ هل يمكن أن أكون مبتكرًا وناجحًا في وقت، وفي وقت آخر أقضي علي حياتي منتحرًا؟ هل هذا هو معني أن تكون جهنم مصيري؟"ومن بين تساؤلاته الأخرى: "لماذا أعاني الكثير من القلق تجاه المستقبل؟ هل سيأتي الوقت الذي أستمتع فيه بالناس، بدلاً من أن أستعبد نفسي لأقنعهم بأنني ناجح؟ هل أنا ممسوس بالأكتئاب؟ هل إدمان المخدرات عامل مساعد على طول الطريق؟ لماذا أخشي أن أسرد خبراتي في الشذوذ الجنسي للمدمنين؟ لماذا لا أستطيع أن أخبر أحد وأحكي له بقصتي كاملة؟".

عرف ريتشارد أن مشكلته الجنسية لم تجد طريقها إلى الحل، بل كانت في الواقع تزداد سوءًا، وعرف أيضًا أن إدمان المخدرات، ليس خطية، وإنما مرض، وكان يخشى أن يتم تشخيص شذوذه الجنسي علي أنه مشكلة بيولوجية، وعندها لن يكون هناك أمل له أو

لزواجه؛ بل عرف أيضًا ان إدمان المخدرات وليس الكنيسة، هو الذي حال بينة وبين الانتحار. ويقول: "لم أكن أعرف إلى أين أذهب لأجد جوابًا علي أسئلتي، لكن كان هناك فرح خاص، إذ استطعت أخيرًا أن أثير مثل هذه التساؤلات، وأعتقد أن هذه كانت أولى خطوات الاعتراف". وبعدها قال ريتشارد: "لم أعد أحتسي الخمر بمعزل عن تلك الأسئلة، لكنني كنت أواجهها وأعد نفسي لاستمتع بالحياة أيًا كانت النتائج".

واجه ريتشارد بأمانة حقيقية أن أجساد الذكورة هي التي كانت تثيره دائمًا كما واجه أيضًا حقيقة أن علاقته الجنسية بزوجته، كانت كما يصفها بكلماته: "وهمًا سطحيًا، لكنة صمم علي الاستمرار معها، لأنه أحبها حبًا جمًا، ولذا عاد ثانية إلى المجلات الخليعة والأفلام الإباحية ليستطيع أن يمارس معها العلاقة الجنسية، مبررًا أن أفعالة هذه لن تكون مؤذية نسبيًا طالما ظل يقظا.

أما الصدع الذي بداخله، فقد أتسع، ويقول: "بدت في الأفق إشارات خطر أكبر بكثير مما شعرت بها من قبل، وكأنها صفارات إنذار بدأت تنطلق لتنذر بخطر محقق".. فكانت عودته إلى الإباحية من جديد، بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، فبدأ ريتشارد ينزلق من خلال الحسرة التي بداخل نفسه، إلى جحيم بلا قرار، غير قادر أن يمد يده إلى الخارج ليمسك بأي شيء صلب. عرف أنه لم يكن قادرًا بعد أن يعيش كذبة كبيرة ... لم يعد قادرًا على خداع زوجتة بعد... فكان علية أن يصارحها بأنه لم يعد يستطيع ممارسة الجنس معها كرجل، وأنه لم يعد قادرًا أن يتحمل ضغوط مسئوليته كرب البيت؛ لكنة رفض أن يفعل ذلك، لأنه أحب أسرته وأصدقاءه المؤمنين، ولم يجرؤ على أن يخسرهم.

وفي يأسه، ظن أن الله قد أبغضه منذ البداية، وجعل عليه علامة، كعيسو، ليُسبب له عذابًا نفسيًا، بسبب فساده وانحرافه .

وأخيرًا أصبح ريتشارد قادرًا أن يحكي قصته

عند هذا الحد من اليأس، فوجيء ريتشارد بحبل نجاة يُلقي إليه في صورة جون صديقي، و يعتبر ريتشارد ذلك بأنه بداية الجزء "الغامض" من قصته، فيقول:

"تقابلت مع أخ مؤمن، وفي إحدى الأمسيات، احتسينا القهوة سويًا، وإذ تفرست في وجهه قليلاً أدركت أنه من الممكن أن أخبره بكل ما سبق أن فعلت وشعرت به ... وكانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أختبر فيها مثل هذا الشعور، وأعتقد أنها كانت نعمة الله. وإذ أقدمت على سرد قصتي له، تجاوب معي بمحبة كبيرة، ومشاعر فياضة وطول أناة والأكثر أهمية من ذلك، أن هذا التوقيت بالذات وكان نوعًا من الإنذار الإلهي... وهذا ما بدا علي وجهه، وأخيرًا اخبرني أن الله سيكسر ذلك الوحش الكاسر، بداخلي وسيشفيني— وأن كل ما أحتاج إليه هو روح الله القدس.

وبعد ذلك مباشرة، أرسله جون إليَّ لأصلي لأجله صلاة شفاء. فكر ريتشارد برهة، وقال إنه أمر جدير بالملاحظة، أن أسرد قصتي مرة أخرى في بضع ساعات قليلة!

كنا مستعدين في ذلك الوقت أن نصلي من أجل شفاء ذاكرة ريتشارد، ولكي يتمكن من إدراك رجولته ويقبلها ويندمج فيها، الأمر الذي كان يعاني من نقص شديد فيه، كما نصلي من أجل شفاء إرادته وعزيمته كرجل. ليست هذه الصلاة بالأمر الهين، لأن الله يشجعنا أن نصلي صلوات تشمل الحياة بأكملها، بل

والعالم الذي نحيا فيه.

شفاء الذكريات

شفاء الذكريات هو غفران الخطية الموجودة في أعماق القلب [أعماق العقل أو اللاوعي]. صاغ هذه العبارة أجنيس سانفورد Agnes Sanford في وقت لم تكن تُتلى فيه صلوات الشفاء ضمن الاعترافات الرسمية الكنيسة إلا في نطاق ضيق جدًا، لأن حق غفران الله للخطية بالإضافة إلى كل الحقائق الروحية العظمى عن ملكوت الله، قد اعتبرت أمورًا مجردة، فأصبح قادة الإرساليات متشبعين بالدراسات النفسية الحديثة، إلى حد حجب إدراك قوة الله التي تستطيع، بل وينبغي أن تصل إلى المرضى والمتألمين وتنسكب عليهم. وغالبًا لا يزال نفس الحال في الخدمة. ولكن أجنيس سانفورد عبّر بوضوح عما ينبغي أن يكون حين قال:

> الحقيقة إن أي جرح في النفس يكون عميقًا جدًا لدرجة أنه لا يمكن شفاؤه بسعينا الذاتي، كما أن صلواتنا تتصل حتمًا وترتبط بإدراك غير واعي لخطية ما، سواء كانت خطايانا نحن، أو ردود أفعالنا المحزنة تجاه خطايا الآخرين.
>
> إن العلاج الذي يشفي هذه الجراح العميقة، قد يُسمى غفران الخطايا، أو قد يُسمى شفاء الذكريات، وأيًا كانت التسمية، فهناك جراح عميقة جدًا في الكثيرين منا، لدرجة أنه لا يمكن شفاؤنا منها إلا بواسطة شخص آخر يمكن أن "نكشف له عن أحزاننا وإخفاقاتنا"، وهو وحده الذي يقدر أن يشفينا.

على أن "الوساطة" التي أعنيها هنا، ليست وساطة

لتحليل المشكلة، أو للتعاطف معها، أو لمحاولة جعل الإنسان يشعر بطريقة أفضل عن نفسه، إنما هي وساطة كهنوتية تجلب المسيح الشافي إلى الذاكرة، وساطة تعين المريض ليعترف بخطيته، أو ليغفر للشخص الذي أخطأ في حقه، وتعلن [بطريقة يستطيع أن يستقبلها القلب] غفران الله.

أدرك داوود الملك هذا الشفاء بشكل جيد جدًا فاستطاع أن يقول:

أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي (مز ٣٢:٥)

هناك ثلاثة حواجز رئيسية تحول دون النضوج وكمال الشخصية اللذين دُعينا لهما، الحاجزان الأولان هما الفشل في الغفران للآخرين، والفشل في نوال الغفران لأنفسنا، وهذا ما نشير إليه بشفاء الذكريات. وغالبًا ما تحدث هذه الإخفاقات في لحظات معينة، ومن ثم تجدها في ذكريات محددة، ونتخلص منها بالصلاة التي نمارس فيها حضور المسيح معنا، غافرًا لنا خطايانا، ويعيننا أن نغفر للآخرين الذين أخطاوا إلينا. وأحيانًا نكون بحاجة إلى إمكانية خاصة بها نغفر لظروف بعينها كانت منذ زمن بعيد، أو حتى مدة عمر كامل، سببًا في إيذائنا وإصابتنا بجروح عميقة غائرة!

أحيانًا تذهب الذكريات ـــ التي تحتاج إلى شفاء ـــ بعيدًا إلى الوراء، قبل أن نتمكن من تذكر أي شيء في العقل الواعي. ومع ذلك، لماذا يشفيني الله من جرح أستطيع أن أتذكره، وليس من جرح حدث قبل أن أولد أو أثناء ولادتي، أو في الشهور الأولى من عمري؟ نعلم عن اختبار، أن ربنا ليس فقط يقدر، لكنه يفرح ويسر بأن يجتث هذه الجراح و يقتلعها من جذورها، بغض النظر عن العمر والمرحلة التي حدثت فيها.

أما العائق الثالث الكبير الذي يقف حائلا دون الشفاء الداخلي، هو الفشل في قبول أنفسنا، وهذا في الواقع هو العنوان الرئيسي لهذا الكتاب. فالرجال غير الواثقين من رجولتهم لا يستطيعون قبول أنفسهم. وهذا العائق يرتبط في طبيعته بالوضع الجسماني كما يرتبط بدرجات مختلفة من عدم النضوج، كما يتعلق بأنماط سلوكية مرضية تجاه الله، والنفس، والآخرين، أنماط تكونت في عالم لا يتوافر فيه الحب والنور دائمًا، لتأكيد هويتنا كأشخاص. أحيانًا تترك هذه الأنماط السلوكية المرضية بصماتها في نفوسنا من خلال اختبارات الألم الذهني والعاطفي. على أن مثل هذه العوائق لا تُمهد على الفور أو بطريقة تلقائية، لأننا مطالبون — بعد شفاء الرب — أن نتحكم في أنماط سلوكنا الحياتية ونغيرها.

القاسم المشترك في كل هذه النماذج هو كل الكلمات السلبية من كراهية النفس، والمرارة، وعدم الغفران- كل أكاذيب العالم، والجسد، والشيطان التي تلح في آذاننا بشكل مستمر، إلى أن نقوم بتحديها ودحضها. وإذ يتحتم بعد ذلك إستبدال السلبي بالإيجابي، فلا بد أن تحل محل هذه التي دحضناها، نعمة الشفاء وكلام الحياة المرسل من قبل الرب، ومن هنا يأتي شفاء الإرادة، لأن الإصغاء يعني الطاعة، فبينما نتعلم الإصغاء للرب، تتشكل أنماط سلوكية جديدة ومتناسقة- أنماط معجزيه الصُنع- ترفعنا فوق مستوى عقليتنا القديمة [وأيضًا عقلية العصر]، وتمكننا كرجال ونساء ذوى قوة روحية وسلطان به نكسر النماذج القديمة التي تكدر حياتنا وحياة الذين يطلبون مساعدتنا.

بإيجاز؛ عندما نفشل في قبول أنفسنا، فإن الحاجة هي إلى عملية شفاء وتعليم، وهذه لا تستغرق وقتًا طويلًا، لكن شفاء الذكريات، أي التخلص من العائقين

الأولين، هو أمر فوري، كما أختبره المرنم، ففي لحظة ننال الغفران ونتحرر مِن الشعور بالذنب ومِن ظلمة الخطية.

قوة الذاكرة

في الصلاة من أجل شفاء الذكريات، فإن قوة الذاكرة التي تجعل الماضي حاضرًا أمر فائق. ذلك أن يسوع، الشخص اللا محدود، والذي هو خارج نطاق الزمن والذي أمامه تكون كل الأوقات والأزمنة حاضرةً، يدخل فيما هو بالنسبة لنا، حدثًا ماضيًا، والذي يُعرف فقط عند استعادة أحداث الماضي، بالرغم من أننا نختبر نتائجه في الوقت الحاضر. هنا يأتي تسلسل الماضي والحاضر والمستقبل وتعاقبهم، ويأتوا معًا بطريقة معبّرة زاخرة بالمعاني مع الله الأزلي.

ولأن ما هو أبدي فينا لا يخضع للزمن ولا يتقيد به، فلا شك أنه أمر له بريقه. وإن كانت خبرتنا للماضي والحاضر وكأنها شيء واحد، فلعله شعور مُسبق بأسلوب معرفة الزمن الأرضي، الذي سنختبره عندما لا نعود نتقيد بالأبعاد والأحجام والزمن.

يصف جورج ريتشي George Ritchie في كتابه "العودة من الغد *Return from Tomorrow*، يصف اختبارًا مماثلاً عندما رأى كل مدة عمره على الأرض مضغوطة في فترة واحدة! حدث هذا عندما كان مشرفًا على الموت، وهو يعاني من التهاب رئوي مضاعف [والواقع إنه تم إعلان وفاته إلا أنه عاد للحياة بعد ذلك]، وهنا — عند هذه النقطة، وجد نفسه - كما يروي — في محضر المسيح، فيقول:

> عندما أقول أن المسيح عَرَف كل شيء عني، فإني أقصد أن هذه كانت ببساطة حقيقة يمكن

رؤيتها وإدراكها، لأنه في تلك الغرفة جنبًا إلى جنب مع نور حضوره المشرق، دخل أيضًا إلى كل حدث من أحداث حياتي بجملتها ـــ في وقت واحد، كل ما حدث لي من أمور معاصره وأحداث حالية، كان في تلك اللحظة على مسمع ومرأى منه.

يعود بنا دكتور ريتشي ـــ وهو طبيب نفسي متمرس في ولاية فيرجينيا ـــ إلى الوراء لأكثر من سبعة وعشرين سنة، ليصف لنا خبرته بالتفصيل في محضر ذاك الذي أحبه بشكل يفوق التخيل، ذاك الذي عرف عني "كل قصد، وكل فكر وعمل أناني منذ اليوم الذي وُلدت فيه ـــ وأحبني وقبلني كما أنا". ومع أن الأحداث في شفاء الذكريات تتكون من حلقات متسلسلة، لكن خبرة المرء خلال هذه الأحداث، غالبًا ما تكون بالتفصيل وبجِدة مماثلة.

دور الروح القدس وعمله في شِفاء الذكريات

العمل الأساسي الذي يميز شفاء الذكريات عن عِلم المناهج النفسية، هو عمل الروح القدس الذي يشير إلى محضر ربنا الذي هو حقًا موجود، والذي يدخل بروحه كما لو كان إلى أظلم مرتفعات وجودنا ... وإذ تتكشف ذاكرتنا في حضرته، نتطلع بعيون قلوبنا ونستطيع أن نرى الرب وننال منه كلمة الشفاء، ونظرة الحنان، والأحضان الأبوية التي طالما كنا في احتياج إليها منذ زمن بعيد... نغفر للآخرين خطاياهم التي ارتكبوها في حقنا، وهو بدوره يغفر خطايانا، وهكذا ننال نعمة الشفاء من الله الآب المحب، النعمة التي لم نستطع الحصول عليها من قبل... ونكتشف أنه كان هناك طوال الوقت كالطبيب الشافي، وأنه كان علينا أن نتطلع إلية ونستقبل هذا الشفاء.

ماضي ريتشارد

كانت في حياة ريتشارد كل العناصر والمقومات التقليدية التي أدت إلى رجولة مكبوتة، وكما في حالته، إلى مشكلات بالمِثل مع الشذوذ الجنسي. ولقد قدمت قصته العديد من الذكريات التي تضمنت الصدمة الأساسية وجذور مشكلته. عندما نأتي إلى الذكرى الأصلية، نستطيع عن طريق الصلاة أن نقتلع كل الزرع المريض، متضمنًا تلك الصدمات المتتالية التي تنطلق، كالأغصان المختنقة، من الموضع الذي بدأت تُحدث فيه أسوأ الأمور... إنه الموضع الذي بدأ فيه إنقسام الذات. يحدث أحيانًا في بعض الحالات، أن تكون الصدمة الأصلية مكبوتة بشدة، تنشأ عنها أولاً جراحًا ثانوية. لكن ليس هذا هو الحال في قصة ريتشارد، فعندما صلينا طالبين الرب أن يتعامل مع ذكرياته ويُخرج منها ما يحتاج إلى شفاء، كان ذاكرته الأساسية هي أول ما يحتاج إلى الشفاء، أي الذاكرة التي بدأ ريتشارد يفصلها عن كيانه الصحيح وعن هويته الرجولية.

ظهور الذاكرة الجذرية في ماضي ريتشارد

كانت الذاكرة الجذرية التي ظهرت وتكشفت للعيان هي مشاجرة محتدمة بين أبيه وأمه، حيث وقف بينهما الطفل الصغير ريتشارد. إذ كانت الأم تدفع ابنها، الغصن الصغير البالغ من العمر سنوات ثلاث، تدفعه نحو أبيه وتقول لهـــأي لأبيه ، "إن ريتشارد لا يعتقد أنك تحبه"ـــوبينما يستعيد ريتشارد هذه الذكرى، يتضح أن أمه كانت غاضبة على والده بسبب شرب الخمر، وكانت تستخدم ريتشارد لكي يُخجِّل أباه ويحثه على تحسين نفسه وإصلاح سلوكه. كان رد فعل الأب

تجاه محاولةِ زوجته أن يُحسِّن من نفسه، أنه سخِر من الطفل، قائلاً لها وهو يهزأ به بينما كان يعانقهِ ويُقبّله بغضب وبطريقه فظةٍ مبالغ فيها، قال له "إني أحبك"، ثم صاح بعد ذلك قائلاً: "هل هذا هو ما يتوجب عليَّ فعله؟".

بهذه الكلمات الغاضبة وغيرها لزوجته، دفع الأب بابنه المنبوذ، مرة أخرى إلى أحضان المرأة التي احتقرها، وفي هذه اللحظة أصبح ريتشارد يُعرف بالوجود الأنثوي الذي يمقته أبوه. وبعد اصطدامه بشدة مع أبيه، انفصل ريتشارد عن رجولته، وهكذا كانت المأساة مركبة، من منطلق أن أباه كان الوجود الذَكَري الذي كان سيساعده بطبيعة الحال على تحرر هويته الجنسية من أنثوية أمه [الأنثوية العصبية].

أمَّا بقية قصة ريتشارد، تعكس العواقب المعتادة المؤسفة التي غالبًا ــ بالطبع ــ ما تتدفق من هذا الجرح العاطفي الذي تعرَّض له هذا الصبي البالغ من العمر سنوات ثلاث.

تسرد هذه القصة محاولاته المسعورة لإعادة الإندماج بإحساس جديد من الذكورة، وذلك بكسب استحسان أبيه كشخص وكإنسان.

رؤية المسيح في الذاكرة

بينما تتكشف الذاكرة الجذرية، لم يكن ريتشارد يبلغ من العمر أكثر من السنوات الثلاث، هذا الصبي الصغير الذي كان كيانه الداخلي في حاجة إلى الشفاء والتصحيح في ذلك اليوم، والذي ــ من ذلك الحين فصاعدًا ــ سينمو نموًا طبيعيًا وقويًا، ويشعر بالأمان في نوعية جنسه وفي شخصيته الخاصة. عند هذه اللحظة بالذات، سألته أن يرفع بصره إلى فوق

ويرى يسوع بعيني قلبه وهو معه في وسط مشكلته، فقد كان معه طوال الوقت ليشفي ويصحح، وهذا ما يجعل عملية شفاء الذكريات فعالة جدًا. والحق إننا طالما أدركنا وجوده في وسط ما ظننا سابقًا أنه عذابنا الخاص بنا! عندما نظر ريتشارد الصغير ورأى يسوع في هذه المرة وهو يمد له يديه ويدعوه، مدَّ ريتشارد يده وجعل الرب يأخذه من بين ذراعي أمه، وقد شعر بالرب يضمه إلى صدره، ويفتح قلبه ليحصل على الشفاء الذي كان في حاجة إليه. صليت من أجله بينما كان المسيح يُريحه ويَشفيه من صدمة تلك الذاكرة، سألت أن تسري بداخله في تلك اللحظة قوة رجولة الرب نفسه لتُثبّت رجولته وتقويها... وشكرت الله أن هذا تم بالفعل.... وقام ريتشارد بدوره بأن غفر لأبيه ولأمه بصوت مسموع بسبب دورهم في تلك الصدمة التي عشعشت في ذاكرته، واستمر يتطلع إلى وجه المسيح المحب مستمدًا منه قوة الشخصية.

من هنا ذهبنا بهدوء إلى الذكريات الأخرى التي تفرعت من الذكرى الأساسية، وفي كل منها، غفر ريتشارد من أعماق قلبه، وطلب غفرانًا لخطاياه.

الزواج الباطني

أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ .... وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ

ــــ يو ١٧:٢٣

بعد الصلاة من أجل شفاء إرادته وتقويتها [أي الجزء الرجولي في أي إنسان ذكرًا كان أم أنثى]، صليت من أجل ريتشارد في تلك اللحظةــــأي كونه إنسانًا مستعدًا بحق "للزواج الباطني".

إن طبيعة الذكورة هي الصفة الغالبة في الله، حيث أن علاقتنا نحن جميعًا به [رجالاً ونساء] هي علاقة

أنثوية. ومع أن هذا صحيح، إلا أن هذا المفهوم، من الصعب أن يفهمه جميع الرجال، سواء بالخبرة أو بالعاطفة. وكذلك من الصعب أن يفهم كثير من الرجال، الرمز الذي يستخدمه الله في تسمية الكنيسة "بالعروس" عندما يدعوها للإتحاد به. لكن ما حدث في الصلاة التالية مع ريتشارد تعكس البداية الصحيحة الوحيدة التي يمكن أن تكون عليها وحدتنا مع الله— أي علاقة إتحاد مُفرح ومطيع للمسيح. أتمنى أن يساعد مثال ريتشارد، الرجال ليفهموا بصورة أفضل الجمال المطلق والبساطة اللذين يتبعان ذلك "الزواج الباطني".

طلبت من ريتشارد أن يرى الرب بعيني قلبه، وأن تتوحد إرادته—باختياره—مع إرادة المسيح، وبعدها طلبت منه أن يتخيل كل جزء في جسده الذكري القوي وأن يجعله واحدًا في المسيح، فيكون جسده واحدًا مع جسد المسيح، ويكون ذراعاه واحدًا مع ذراعي المسيح وقدماه واحدًا مع قدمي المسيح، وكذا عيناه وأذناه وفمه وأصابعه... أي أن كل جزء يكون واحدًا مع المسيح. وبينما كنا نصلي، طلبت من ريتشارد ببساطة أن يدعو المسيح ليسكن بداخله، في حين أنه قبل ذلك، كان يفكر في المسيح ويراه خارج نفسه، أما الآن فيرى المسيح يسلك ويتصرف بداخله، ويصير واحدًا معه، وعندها، وعندها رددت صلاة يسوع نفسه التي خاطب بها أباه، قائلاً: "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ... وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ".

تشرح هذه الخبرة ماذا تعني حقيقة التجسد، التي هي مركز المسيحية، والحق الذي تنفرد به. انتظرنا في محضر الله حتى تتأصل حقيقة تجسد المسيح بعمق في ريتشارد، مستخدمًا قدرته في تخيل الصور. كان عقل الواعي واللاواعي يحتاجان أن يفهما تمامًا هذه الحقيقة، وأن يُشكلا صورة جديدة عن نفسه في اتحاد

كامل مع المسيح... ومنذ ذلك الوقت أصبح على ريتشارد أن يمارس حضور المسيح.

صليت بعد ذلك من أجل فيض كامل للروح القدس في حياة ريتشارد، فعمل الروح القدس هو أن يُشكلنا إلى صورة المسيح، وهكذا كان يعمل بقوة لإتمام هذا العمل. وعلينا أن نفسح المجال للمسيح الذي يسكن بداخلنا أن يحيا حياته فينا ، وبمعمودية الروح القدس [كما تُسمى كذلك أحيانًا]، تُطلق مواهب المسيح، وتصير نفوسنا ـــ التي هي آنية ضعيفة ـــ قوية لتعرف وتقول وتفعل.

أثناء حدوث هذا كله، صليت أن يشترك ريتشارد بشكل متزايد، في رجولة يسوع وهو متحد به، وأن يستمر في معرفة ذاته وقبول نفسه وتأكيدها.

من المستحيل أن نعبّر عن كل ما حدث في جلسة صلاة بسيطة كهذه مع ريتشارد، لكن الحقيقة أن حياة ريتشارد تغيرت كلياً في غضون ساعتين. ويوجز ريتشارد بعد ذلك، ما حدث له في كلمات تنم عن ابتهاج وتهليل ، حيث يقول: "اعترفت له بكل شيء، كنت سعيداً أن أغفر لأبي ولأمي على إخفاقهم في محبتي، وتضرعت من أجل غفران فشلي في محبتهم، ولقد غفرت للصبي الذي قام باغتصابي، وصليت من أجله كي يصير كاملاً، ثم حل الروح القدس بداخلي، ومن ثم تطهرت من هامة رأسي وحتى أخمص قدمي.... وبعد ذلك أُغلق الوادي الضيق الذي كان بداخلي، وصرتُ مكتملاً، عرفت رجولتي ورجولتي عرفتني".

"عرفتُ رجولتي ورجولتي عرفتني"

كان ريتشارد مستعدًا الآن لأن يعيش الحياة التي هي حقًا حياة، لن يكون فيما بعد غريبًا عن نفسه، سائرًا

بجوارها؛ فقد أختبر ما قد نختبره جميعًا: أن حضور الله يدعو النفسَ الحقيقية مِن جحيم النفس المزيفة، وفي هذه القيامة، لن تكون الذات الحقيقية فيما بعد مكبوتة وخائفة وغير ثابتة، لكنها ستعمل على التخلص من النفوس الزائفة بوجوهها التي لا تُعد ولا تُحصى، وتتقدم الأمام بجرأة بوجه واحد، جامعة لكل ما هو صحيح وحقيقي في الشخصية وتضعهم في نفسها، فهي متحدة مِن الداخل. الآن فقط يُمكننا أن نعرف معنى الحرية لنعيش مِن مركز كياننا، المكان الذي يُسكن فيه روح الله بداخلنا، إذ تكون إرادتنا واحدًا مع إرادته. وهكذا نبدأ ليس فقط في ممارسة حضوره، بل أيضًا حضور الإنسان الجديد، فقد تحررنا مِن الإنسان العتيق حيث الخطية والموت.

إننا أيضًا أحرار مِن ممارسة حضور الإنسان غير الناضج الذي لا يزال تحت الشريعةِ [انظر غل ٤]، فقد عرف ريتشارد وأدرك جيدًا أننا مِن الممكن أن نكون مؤمنين ونستمر تحت سلطان الناموس—أي فاشلين تمامًا في أن إدراكنا لميراث النعمة الذي يُمكّننا مِن السلوك في الروح ومن ممارسة حضور الإنسان الجديد، لكن المؤسف إننا نُمارس محضر الصبي المذنب أو الصبية المذنبة، أي ذاك الذي لا يزال بعد لا يستطيع أن يستقبل محبة الله أو محبة الإنسان، يصبح ليس قادرًا على أن يُمارس سلطة ناضجة على حياته أو على جسد المسيح.

لهذا السبب أيضًا، لا نستطيع أن نمارس بقوةٍ وبفاعلية، مواهب الروح الشفائية، فالتواضع الزائف والخطية الفعلية، أو احتياجنا للشِفاء النفسي، كل هذه تبعدنا عن الحياة انطلاقًا مِن المركز، أي مِن المكان الذي نعرف منه مقامنا في المسيح. هذا المركز هو مركز سلطان، حيث أننا، مثل آدم الذي سقط، نتولى

تسمية المخلوقات، أما نحن فإن اللهِ هو الذي قام بتسميتنا، وتشكلنا بإرادته هو، وهكذا فلم تعد تسميتنا وتشكيلنا عن طريق المخلوق، لكننا بالأحرى نتحرك ونسير بنضوج وسلطان يشفيان العالم... نموت كل يوم عن كل سلطة أنانية أو استبدادية، وعن أي روح متسلطة وجسدية التي تنشأ عن الحياة التي مركزها النفس... نموت عن الأركان الضعيفة الفقيرة التي "ليس لها سلطة"، والتي هي مِن صفات قصور الناموس... لكننا الآن نحيا مِن المركز، حيث يسكن ربنا وسيدنا، فقد انتسبنا له وتسمينا باسمه، وتم استرداد رجولتنا الحقيقية، وتنتظر كل الخليقة أن تظهر بنويتنا الصحيحة.

في ذلك اليوم، خرج ريتشارد وهو متهلل، يقفز طربًا كما لو كانت قدماه لا تلمسان الأرض مِن شدة الفرح. لكن قبل أن يترك المكان كلفته بأمر ما سيزيد مِن سرعة تعلمه ممارسة حضور الله والاستماع الدائم لكلام الله وكلام الحق والحياة الذي يحل محل نماذج تفكيره السلبي القديم، الأمر الذي سيساعده على إقامة حواجز طاهرة نقية أمام أي عوائق تعترض طريقه، وذلك مِن جل تواضع وقبول كامل لذاته. أتصل بي ذات مرة بعد أن مرّ بتجربةٍ شيطانية قوية هجمت عليه بقوة ضاربة بينما كان يمر بالقرب مِن كباريه/ مكان دعارة، وكم كان هذا تحديًا قويًا لسلطانه ولرجولته الجديدة التي أكتسبها!! وقف ريتشارد مندهشا مِن عنف الهجوم، وهو يُمارس حضور المسيح بينما المُجرّب في حرب معه! تحدثنا العديد مِن المرات الأخرى عبر الهاتف إذ كانت لدى ريتشارد أسئلة تحتاج إلى إجابة، ثم أتى لزيارتي مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت الزيارة لقضاءِ وقتٍ في الكلام المرِح. وبعد عدة أشهر كتب ريتشارد هذا الخِطاب، قائِلاً:

"حدثت بعض التغييرات التي يُمكن ان أشارك بها ومنها أنني أستطيع الآن أن أمارس العلاقة الحميمة مع زوجتي بدون أي تخيلات أو مساعدات غير طاهرة، وهذا بحق مجد سماوي، نحن نشعر وكأننا لم نُمارس الحب مِن قبل، فالفارق كبير جدًا من "الأداء" الذي كنا نقوم به مِن قبل... أحسست كم أن الزواج قربان مقدس، بل أشعر وكأنه قطعة صغيرة مِن جنة عدن—أما عن علاقتنا معًا كرجل وامرأة [كزوجين]، وما يتعلق بالكيفية بالمدة أو الوضع تبدو سخيفة في محضر ذلك الوجود الإلهي الذي يطوّق أعمق رغباتي ويتفوق عليها.

أواجه في عملي نقدًا وعدم فهم، وبالنسبة لفنانٍ فهذا أمر حتمي. كنت مندهشا قبل أن أحصل على الشِفاء بأسابيع أن جاء في تقرير عن عملي يمدح قدراتي وموهبتي الفنية، لكنه يُفيدني أنني على ما يبدو، لم أصل بعد إلى أعلى مستوى الفنان وأن الكثير مِن عملي كان يتسم بالسطحية... أما الآن فلديّ ذلك النبع العميق الذي تخرج منه جميع أعمالي، فأنا أخدم الله في عملي—وأشعر بالأمان كخادم يخدم فرحًا لشخص يفوقه عظمة بمقدار سمو الخالق وعظمته على المخلوق. وإذا لم أحظ مِن أحد بتقديري كفنان—وإن كان هذا يؤلمني كثيرًا—لكنه لا يحطمني، والأهم مِن ذلك، أنه لا يؤثر في عملي الذي لي فيه جذور وأصول، وهذا ما يبهجني ويُفرّح قلبي.

أستطيع أن أكون ثابتًا أو هادئًا في الاحتفالات وأن أعجب بالناس أو بالمكان بدل أن أسعى دائمًا لأن أفتن الناس وأنجح، أستطيع أن أستمع وأن أكون نفسي، لا أحتاج أن أكون إنسانًا آخر أو أن

أجد تأكيدي مِن أمر ما، وقد فقدت الوزن الذائد وأستطيع أن أتعلق بسرور بهدف تدريبي لسباق جري فصل الخريف.

قبل ذلك، عندما كنت أسقط في الخطية، كان الأمر وكأني أغوص في رمال متحركة، أما الآن فإذا سقطت في الخطية، أستطيع أن أضع قدميَ مرة مِن جديد على شيء صلب وأن أنتصب ثانية، فدم المسيح يستمر في تطهيري، وروحه يجعل قدميَّ قويتين لأركض في السباق الموضوع أمامي، وسيستقبلني الآب بذراعي المحبة الأبدية العظيمة.

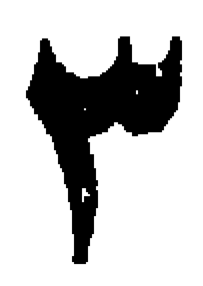
سترى زوجتي وأبنائي وأصدقائي أمجاد عمل اللهِ هذه إذا اتيحت لهم الفرصة... فقد كنت أعني ما أقوله عندما قلت أنني رجل وفنان له زوجة وطفلان وأنها معجزة أنني أحد هذه.

لا أزال صاحب شخصية درامية، ولا أزال خاطئًا، ولا أزال أواجه عواصف مِن التجارب وصراعات مع الماديات والمهنة، والأبوة، لكن الأمر الآن أشبه بوجود "مركز" صحيح بداخلي يمكنني الرجوع إليه، ومعه يمكن أن أغلب وأنتصر.... على أي شيء، حتى الرغبة في الموت... هذا المركز، أي الصخر الذي بداخلي، هو نفسي الحقيقية، نعم، حقيقية وصلبة كرجل مصنوع مِن الذهب".

هذا ما كتبه ريتشارد لي خلال عدة أشهر مِن شفاءه، والآن وبعد مرور عام ونصف العام، لا أزال مندهشة أمام هذا وتلك من التقارير التي ترد مِن كل أنحاء البلاد، والتي تثني على ريتشارد وعلى عمله، ومع أن هؤلاء الذين يذكرونه، ليس لديهم أي فكرة عن نشأة

ريتشارد، والظروف التي أحاطت به... لكن حياته الجديدة لا يمكن أن تختفي!! وقد شهد عنه مؤخرًا أحد زملائه الفنانين وقال، "لقد تفجر نور المسيح بقوة مِن هذا الرجل ـــ يا له مِن رجل بحسب الله!" ـــ الرجل.

٣



أزمات في الذكورة بدون إضطرابات عصبية جنسية

السيد: إن أسمى دوافع الرجولة، هي التي تدفع إرادتي إلى أهداف خلاقة، وتتمسك بشدة بتلك الأهداف حتى تتحقق... وحتى المرأة المؤمنة لا ينقصها هذا النصيب من دوافع رجولة النفس، فهي أيضًا تطور من إرادة الإبداع والغلبة والانتصار، ذلك لأن النفس المفدية لا بد أن تكون مندمجة ومتوحدة في طبيعة المسيح الذي ليس فيه ذكرًا وأنثى، بل الكل إنسانًا واحدًا في المسيح.

جون جانيور بانكس John Gaynor Banks
السيد والتلميذ *The Master and the Disciple*

"أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا." (يو١٤: ٦-٧)

إن قوة إكرام الحق ــ أي النطق به والحياة بموجبه ــ تكمن في قلب الرجولة الحقيقية، أما إذا قلل رجل ما أو امرأة من هذا الأمر، لكانت هناك أزمة في الرجولة. في رسالة بعثها لي طبيب نفسي شاب، وهو شخص لطيف، و أعلم أن له تأثيره في هذا المجال الذي اختاره ليعمل فيه، إذ قد عملنا معًا في

الماضي، إلا أن مركزه وسط مجموعة من العاملين في المستشفي المتميزة التي يعمل فيها، يشكل خطرًا، إذ كتب يقول: "سمعت خبرًا من رئيسي في العمل أني لن أحصل على ترقية، بل قد لا أستمر في هذا المستشفي وذلك لأنى أصلي مع مرضاي". وكان يقذف بالعديد من العبارات و كلمات النقد الجارحة سواء أراد ذلك أم لم يرد، مثل "طريقة علاجك غير سليمة"، وما شابه ذلك... كتبرير لتوبيخه.

كان واضحًا أن عقلية رئيسه في العمل، قريبة من العقلية المنتشرة في الإتحاد السوفيتي، حيث يعهد المسيحيين إلى مصحات أمراض عقلية "للعلاج" من "مرضهم"ـــأي من كونهم مسيحيين . أشار سي إس لويس لهذه العقلية المنتشرة بين الأطباء عندما حذر امرأة بالقول:

> ابتعدي عن الأطباء النفسيين، إلا إذا كنت على يقين من إيمانهم، وإلا سيبدأون معك بافتراض أن دينك وهم وخيال وحاولي أن تعالجينه، وبالطبع فإن هذا الإفتراض ليس تشخيص أطباء محترفين، بل فيلسوف هاوٍ، فأمثال هؤلاء لم يولوا حالتك أدنى تفكير"

على أن خبرة هذا الطبيب توضح أمرًا بالغ الأهمية، إذ أن لديه الشجاعة ليكون نفسه، مع أنه لم تسنح له الفرصة ليتسلق سلم النجاح في المجال الذي يعمل فيه، وبالرغم من أنه شاب يافع، إلا أنه كان حرًا ليكرم الحق ويعيشه تمامًا كما عرفه، ولم ينحن لعقلية ذلك العصر. ورغم أنه تأثر أيما تأثر بسبب ما وجه إليه من نقد (من رئيسه)، إلا أنه لم يتفاعل مع ذلك النقد بطريقة ذاتية كأن يفكر في نفسه بأنه شيء أقل من رجل، لكنه بالأحرىـــو كما تدل هذه الكلماتـــنظر إلى الأمر

بطريقة موضوعية وهي ، أنه لا يمكن اختبار حضور المسيح، إلا عندما يخطو المرء في دائرة الإيمان. فكيف يمكن لمجتمع علمي غير مؤمن أن ينفتح، إذا ظل خارج دائرة الإيمان وسيتجه د. توم ـــ وهو سعيد بذلك ـــ إلى مكان آخر حيث يوجد مجال يتناسب مع إمكانياته و مواهبه كطبيب وكمسيحي.

لم يكن هذا الإتجاه الذي اتخذه حيال ظروفه، ممكنًا منذ عامين، فأبوه لم يعمل على ثقل شخصيته وبالتالي لم يكن الابن واثقًا من رجولته، نكان من الممكن أن ينظر إلى أقرانه المتفوقين ليؤكد ذاته كرجل، بدلا من أن يجازف برفضهم له. وبالرغم من أنه يعاني من اضطرابات عصبيه جنسية، لكنه كان يسعى إلى تأكيد شخصيته الرجولية عن طريق النجاح في مهنته، لابد أن يفشل فيها. هذا وقد استمر لسنوات يرتدي زي المراهقة، وذلك خوفًا من سطوة أقرانه وقوتهم عليه. لكن أخيرًا، وجد توم شفاءه وتأكيد ذاته كرجل، في الله، وبذلك كان حرًا طليقًا ليكون الشخصية التي خلقه الله عليها.

أصلي مع كثير من الرجال يجدون أنفسهم في وسط صداقة مهنية، وأصبحوا بسببها إما عاجزين مقعدين وغير قادرين على التحرك في أي إتجاه، وإما ساءت حالتهم الداخلية إلى حد الفشل. وغالبًا ما يكون احتياجهم أن يتعرفوا ويندمجوا مع الرجولة غير المؤكدة، وعادة لا يعرفون لماذا يشعرون باليأس والضعف في ظروفهم الحالية، أو لماذا تكون ـــ من الناحية الأخرى ـــ ردود أفعالهم إزاء المشكلة عنيفة جدًا وخارج السيطرة، ومع أنه قد لا يكون لهؤلاء الرجال اهتمام بل قلق بالغ بشأن الجنس ـــ كما في حالة ريتشارد ـــ إلا أنهم يعانون مثله من أزمة الرجولة.

على سبيل المثال؛ جاءني مرة عالم لاهوتي على قدر كبير من الإحترام والتقدير في مجال عمله، جاءني لأصلى من أجله إذ كانت لديه مشكله في الكتابة، فهو ببساطة لم يكن يستطع أن يكتب المقالات التي كانت تتفجر بداخله، وكان يبكى لكي يتمكن من كتابتها وعندما سألت الرب أن يخرج من أعماق قلبه السبب الذي يحول بينه وبين الكتابة، أدرك على التو أن سبب خوفه من الكتابة هو مشاركته بقلمه مع رجال من صفوف متقدمة في مراكز لاهوتية، ولهم شهرتهم الواسعة في الكنيسة والجامعة اللتين يرتادهما. وبمجرد أن واجه هذه المخاوف، بدأ يدرك خوفه من السلطة بشكل عام و يتسأل من أين جاءت؟ فكان أبوه شخصًا استبداديًا فظا، ولم ينل الابن استحسان أبيه أو تأييده وتشجيعه له، فسعى إلى تأكيد نفسه كشخص وكإنسان ممن تفوقوا عليه من رؤساءه الذكور. ولكنه لم يتوقع أن يكسب هذه الجولة أيضًا كانت أزمته أزمة صارخة في رجولته.. كانت نفسه الحقيقية في وضع حرج وغير قادرة على أن يتعاون بفاعليته مع الروح القدس في ولادة هذه المقالات والكتب التي بداخله.

تقابلت مع كثيرين من الأكاديميين وأساتذة الجامعات الذين وجدوا أنفسهم محبطين بشكل متزايد في فصول الدراسة، وفي كتابتهم العلمية، لأنهم لا يزالون يبحثون عن تأكيد ذواتهم عن طريق النجاح في أعمالهم، وبالتالي فإن خوفهم من عدم تثبيتهم في العمل، أو عدم نجاحهم فيه، قد يمنعهم من إكرام الحق كما عرفوه واختبروه. رغم النجاح الذي أحرزه بعضهم في وظائفهم مدة نصف أعمارهم، يتساءلون مندهشين، لماذا يشعرون الآن بالكآبة وعدم القدرة على الإنتاج. يشعرون أنهم ليسوا أحرارًا ليعيشوا كما أراد الله لهم.. يشعرون باليأس وبخيبة الأمل على حياتهم التي لم تزل

إعجابهم.. صاروا رجالًا أقل بكثير من المستوى الذي أراد الله أن يكونوا عليه كمدرسين وعلماء وحاملي الحق الإلهي.

نفس هذه القصة ــ مع وجود بعض الإختلافات ــ لخادم غير قادر على التبشير بالإنجيل بقوة، لأن مجلس كنيسته والشمامسة والمقاومين له يسببون له إحباطا. وهو نفس الأمر مع الزوج الذي يضاجع نساء أخريات من حين لآخر، ليؤكد لنفسه أنه لا يزال رجلًا.. إنه نفس الحال مع الشاب الذي يلازمه شعور بالذنب بسبب علاقات جنسية متكررة، وبالتالي فهو غير قادر على تخصيص نفسه لامرأة واحدة، ويعانى الآن من اكتئاب إكلينيكي، ويفكر في الانتحار. وهذه نفسها مشكلة الكاهن أو الراهب الذي يخشى أن يوجد منفردًا في محضر الله الأب والله الابن، يخشى مما قد يفعله له ذلك الكيان الإلهي الذكري الأزلي، إن اقترب منه ــ وكشف له الخطية التي يشعر بها في أعماق نفسه. ولذا؛ فإن خياله مثبت على العذراء، ذلك الكيان الأنثوي والمتعلق بالأمومة، وتحول عن ذاك الذي يهب الرجولة والاكتمال اللذين يحتاج إليهما.

إن الرجل الذي يدخل محضر الله، ويثبت عينيه على الرب، سيتقابل ليس فقط مع الله الابن، لكن مع الله الأب بالمثل، وسينال تأكيدًا لسماته الرجولية. والمرأة التي تنظر إلى ربها، ستجد ليس فقط تأكيدًا مجيدًا لأنوثتها، بل ستجد أيضًا أن طعم ومزاق رجولة الرب، تقوي إرادتها لتبتكر ولتغلب ولتنتصر. إن ما نتطلع إليه وننظره بعيون قلوبنا له أهمية كبرى ــ فكم ينبغي علينا سواء كنا رجالًا أو نساء، أن نثبت أبصارنا على الله الذكر، لنجد تأكيدًا قويًا وأبويًا لشخصيتنا وهويتنا الجنسية، ولأنفسنا كأشخاص.

أستطيع أن أكتب العديد من الكتب عن حالات رجال مؤمنين وجدوا في صلوات الشفاء تأكيد ذواتهم كرجال. بالرغم من أن اضطراباتهم العصبية لم يكن لها طبيعة جنسية، لكن علامات اليأس بدت عليهم، حتى لتجد الكثير منهم يعانون من أمراض مزمنة، وأنهم في حاجة إلى تلقي علاج بقية حياتهم، بسبب نوبات الإكتئاب المستمرة، لكن الله وجد الصبي الصغير المهزوز الشخصية بداخل كل منهم وأعلن له أنه رجل، وهكذا حررهم ليكونوا المخلوقات الذكرية التي قصد أن تكون.

عندما أنظر إلى الخلف، أرى اللاهوتي وقد كتب كتبه، والأكاديميين وقد أصبحوا في قنوات التلفاز وجودًا إلهيًا يعلمون علوم الإستقامة والحق، والكهنة، والكارزين، والرهبان يعملون كقادة أقوياء، وأرى الإنسان الذي يعاني من إكتئاب إكلينيكي، يمارس محضر الله بفرح، فقد وجدوا ذواتهم السامية في الله وقبلوها، بما فيها سماتهم الذكرية .. ليس هناك وقتًا لأكتب عن كل من قابلتهم، فهم ليسوا إلا قمة جبل جليدي من الحالات، لأننا نعيش في وقت انفصال عن الرجولة، أي مرحلة من التاريخ، اكتمال الذكورة والأنوثة فيها، غير متوازن.

تزودنا القصة التالية بمثال عن الرجولة المجروحة منذ أجيال مضت، وكيف تؤثر على الأسرة في الوقت الحاضر.

الخادم الذي لم يستطع أن يُخبر بالحق

قبل أن أشارك بهذه القصة، أود أن أذكر القاريء بأن الخطية لا تمحى مع الوقت، لكنها تمحى فقط بالغفران وبدم المسيح. إن مشكلة ذلك الخادم الأساسية بدأت منذ جيلين قبل جيله، وكان من الضروري أن

يتم علاج الجرح الموجودة في عائلته والاعتراف بالخطية التي كانت تسري فيها قبل أن يتلقى الشفاء النفسي والروحي الذي كان يحتاج إليه.

جاءني القس ديفيد بى طالبًا المساعدة عندما انفص عنه عدد كبير من أعضاء الإجتماع الذي يرأسه، الأمر الذي تزامن أيضًا مع محاولة زوجتة ذات العشرين ربيعًا التخلي عنه إذ أعدت حقيبتها وكانت تستعد هي أيضًا للهرب. وعندما سألته عن سبب انتظاره كل هذا الوقت إلى أن جاء طالبًا المساعدة (كان كل من زوجته وأعضاء الاجتماع صبوربن معه، وقد عانوا طويلاً). اعترف بأنه طلب المساعدة عندما أدرك أنه لن يستطيع العيش شهرًا واحدًا بدونهم !! فكان مكتئبًا جدًا وعلى وشك الانتحار.

كانت الشكوي الكبرى الموجهة ضدة هي أنه لم يكن مصدر ثقة ليخبر بالحق، إذ كان يبلغ كثيرًا ويكذب في كثير من الأمور.. فكانت مشكلة ــ كما تصفها زوجته ــ أنه قد يكذب ويبالغ في الكلام حتى عندما تساعدة الحقيقة.

اتضح بعد ذلك أن ديفيد كان منفصلاً عن رجولته مثلما كان ريتشارد؛ لكن لم تظهر مشكلته علي المستوى النفسي كقهر جنسي أو عصبي؛ إنما كان سلوكة القهري الغريب و الشاذ متجهًا نحو المال ــ بل والكثير من المال؛ فقد صنع ثروات عديدة ؛ كما خسر الكثير منها أيضًا؛ فكان يواصل ليله بنهاره ليؤمن نفسه ماديًا؛ يقول: "كان عليّ أن أبدو أعظم وأحسن مما أنا عليه.. كان عليّ أن أبالغ حتى يحبني الناس، فأنا أكرة نفسي، وليس هناك شيئًا بداخلي يستدعي حب الآخرين لي.. ولانه لا يستطيع أحد أن يحبني، فكان عليّ أن أجعلهم يحبونني".

كان خوف ديفيد ــــمثل ريتشارد ــــمن فقد المرأة التي يحبها ويحترمها، فيقول: "كل ما فعلته تقريبًا هو محاولة جعلها تحبني... وكانت بالفعل تحبني... ولكنني لم أكن أصدق هذا". كما كان يخشي أيضًا من فكرة فقد أسرته وأصدقائه المؤمنين.. وهكذا كانت كل هذه الآلام الداخلية تعتمل في نفس ديفيد، وكانت شبيهة بتلك التي كانت بداخل ريتشارد.

كان ديفيد رجلاً يسير جنبًا إلى جنب مع ذاته، كان يعيش من منطق ذلك الصبي الصغير الذي بدخله، أي الصبي الخائف وغير السوي الذي يعاني من الشعور بالذنب، وبالتالي لم يستطيع ديفيد أن يقبل ذاته، أو أن يستقبل المحبة التي كان يطلبها بشكل متزايد من الآخرين. أتوقع أن يتفاعل بعض القراء بقوة و يقولوا "أن حاجة هذا الرجل هي الولادة من فوق، فالكتاب المقدس يقول بأن الإنسان الذي يكذب هو ابن الشيطان الذي هو أبو الكذاب؟" وقد يقول آخرون أفكار أخرى، مثل "إنه بحاجة إلى قوة الله في حياته، وإلي الملء بالروح القدس".

كان من الممكن أن تكون هذه الأفكار جزءًا من رد فعلي، إلا عندما لاحظت قلب ذلك الإنسان وعملة في ملكوت الله، وصراعة الطويل وحزنه علي التشويش الذي في حياته. فهو من ناحية ، كان يصلي من أجل المرضى بأمراض عضوية، وكان يراهم ينالون الشفاء، كما كان يصطحب معه مجموعة من الشباب ليكرز معهم، وكان من نتيجة هذه الكرازة أن أتى كثير من مدمني المخدرات، والمجرمين إلى المسيح. ومن ناحية أخرى، لم يكن يقضي عشرة دقائق متواصلة في الصلاة، مع أنه من المفترض أن يسجد الخدام علي ركبهم، لكن ذلك الخادم كان في خطر الاستماع الدائم إلى أصوات الاتهام، وكراهية الذات التي في داخله،

فهو لم يستطيع أن ينظر من فوق ليرى الله بعيني قلبه، إنما كان يرى فقط شبح الفراغ الداخلي يملأ كيانه.

وبدل أن يواجه العدو الداخلي، قام بتقمص عدة شخصيات، فمن ناحية كان يقوم بأعمال التجارة ويعمل في مجال العمارة، كما يمارس مهام رجال الأعمال، ومن الناحية الأخرى كان خادمًا مشغولاً، وبالتالي لم يتوقف عن الحركة، فكان يلزم نفسه بالدخول بشكل قهري في نشاط تلو الآخر، وذلك ليبرهن علي رجولته، وليتجنب مواجهة الشعور بالوحدة والألم الرهيب الذين بداخله. أما أبناء كنيسته، فبعد أن تحيروا من تعدد الشخصيات التي كان يتقمصها، وبعد أن سئموا من محاولة فصل الأمور الصالحة الكثيرة التي في راعي كنيستهم، عما بداخله من أمور فاسدة، قالوا له بينما يتأهبون لترك كنيستهم: "إننا نحبك، ونرى الصلاح الذي بداخلك، لكننا لا نستطيع أن نتحمل أكاذيبك ومبالغاتك بعد الآن، لذا نود أن يكون لدينا راعٍ بنحبه".

كان لمشكلة ديفيد جذور في ماضيه وماضي أسرته، فبالرغم من كونهم مسحيين، إلا أنهم كانوا فقراء في كل شيء، فمن الناحية الاقتصادية، كانوا في فقر مدقع، فكان أبوه يعمل في مجال الزراعة في أرض كانت تقريبًا بور في شمال ولاية كارولينا. تلقي ديفيد القليل من تعليمه الأساسي، وكان يخرج كثيرًا من المدرسة الإبتدائية ليعمل ليوم كامل في الحقل، وكان يقضي الصيف في جمع القطن مع العاملين المهاجرين، ويستخدم دخله في شراء المحاصيل وغيرها مما يلزم الأسرة عامًا تلو العام لتستمر في العمل في مجال الزراعة. يقول ديفيد: "لم يكن في أسرتنا وقت للتلامس الجسدي".

وحتي إذا كان هناك وقت لذلك، فمن الواضح أنه ليس هناك مساحة في هذه الاسرة للمسات المحبة

الحانية. هناك أسر بالرغم من فقرها الشديد، لكن لديها دعم من الغنى الروحي والأدبي، وبالتالي فلديها تراث فكري زاخر.

أنتمي إلى أسرة كهذه، فقد ترملت أمي في فترة الكساد الاقتصادي، ولم يترك لها إلا القليل جدًا من الدعم لإعالة أسرتها، لكن الحال لم يكن كذلك في أسرة ديفيد، فبالرغم من قربهم، فبالرغم من قربهم من ساحل الأطلنطي، إلا أنهم كانهم منفصلين عن تيار الثقافة الأمريكية جغرافيًا، لأنهم يعيشون في ولاية تقع على تل، وكانوا يواجهون الكثير من أشكال التحيز والإهمال والاشتباه! كل هذه الأمور شكلت عندهم مفهوم الكنيسة والخبرة الدينية، وكذلك الحياة العادية. كان والد ديفيد ــــ وهو سجين العقلية المحلية ــــ ويعاني من أحدِ أنواع البارانويا تجاه من يختلفون معه، كان رجلًا صغير السن واستبداديًا إلى حد كبير تجاه زوجته وأبنائه. ولأنه في الأساس رجل صالح وحسن النية، صار لطيفًا بعد ذلك، لكن كان لدى ديفيد الطفل، أسبابه ليخاف منه، لأنِ أباه كان قاسيًا بشيء من الفظاظة. فليس أمرًا مدهشًا أن نعرف أن ديفيد ترك بيته في سنِ الثانية عشر من عمره ليشق طريقه في الحياة، آخذًا على نفسه عهدًا بأن يحرر نفسه من الفقر الذي عاناه.

بعد أن صلينا معًا، وبعد أن أفصح عن أمور في حياته، لم يستطع من قبل أن يفضي بها، أدركت كيف تمكنت مشكلتا الكذب والمبالغة من التأصل في قلبه وكلامه. ففي المقام الأول، تربى ديفيد في منطقة ريفية حيث تعتبر المبالغة صورة مقبولة من صور الكلام، وهذا ما نراة أيضًا في الشعرِ العبري الذي يقول: "تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي" (مز٦:٦)

هنا نجد الصورة الحقيقية وراء حزن الملك داود، فمع أنه لم يطف بجوار فراشه، لكن استخدامه لصيغة المبالغة، تزيد من تأثير الكلمات، وبالتالي من قدرته على توصيل مشاعره، لكنها لا تخدع. فكان كلام القس ديفيد مليئًا بالمبالغات، وهذا مقبول بالمنطقة التي نشأ فيها، لكن من السهل أن نرى كيف تتحرف كلمات المبالغة إلى أكاذيب في محاولة منه لأن يبيع نفسه للآخرين. وقد تحدثنا عن هذا الميل من قبل، وبالنسبة له كانت المفاجأة، أن نماذج الحديث التي شبَّ وكبر عليها، أضفت نفسها على مشكلته.

كثير من المشكلات كتلك التي في حياة ديفيد، لها العديد من الأسباب، ويشكل انفصاله عن حب أمه في بدايات حياته، عاملًا كبيرًا في فشله بالشعور بالأمان. سمع ديفيد ــــ في صغره ــــ أمه وهي تكذب على والده لتحميه من العقاب بالضرب، بالرغم من معاناتها في الحياة، وكانت تجد صعوبة في أن تبتسم لأطفالها أو لتعبر لهم علانية عن محبتها، فقد كانت في مثل هذه المواقف تعبر عن المحبة التي كان يتوق لها ديفيد، بأن تكذب لتحميه من الضرب، وبالتالي تعلم ديفيد رذيلتين، وهما: أنه من اللازم أن تكذب لتنجو بحياتك، وأن الكذب فعل محبب. ولكي يتحرر ديفيد من هاتين الرزيلتين، كان عليه أن يدعو الله إلى ذاكرته المجروحة، وكان يحتاج لأن يعترف بخطية الكذب في حياة أمه، وأن يسامحها على التأثير الذي تركته في حياته بعد ذلك. بالإضافة إلى ذلك، كان يحتاج لأن يسامح فشلها في التعبير عن المحبة وفي التعامل مع قسوة أبيه. عندما فعل ديفيد ذلك، أزيح من على كاهله ذلك الجزء من المشكلة المتعلق بعدم قدرته على قبول الحقيقة.

لم نأت بعد إلى السبب الأساسي وراء كراهيته لذاته، لكني أدركت ـــ بعد معرفة السبب أننا أتينا إلى جوهر المشكلة التي دمرت عائلته بالكامل. كان ديفيد واحدًا من بين خمسة أبناء، انتحر اثنان منهم في سن الثالثة عشر، وحاول آخر الانتحار لكنه لم ينجح، وديفيد الآن في حالة يمكن أن تؤدي به إلى الانتحار، فقد كانت هناك مشكلات ـــ بجانب تلك التي بداخل الأسرة ـــ تحكم قبضتها عليه وعلى الأسرة.

كان ديفيد يعمل بجد واجتهاد، وتخطى المشكلة الاقتصادية التي عانى منها في صباه، لكن قبل أن يفعل ذلك، اختبر الله بطريقة حية، فبدأ تجديده في سن التاسعة عشر، بينما كان طريح الفراش في المستشفي بعد المضاعفات التي حدثت له إثر حادث في المصنع الذي كان يعمل فيه، حيث زاره هناك بعض المؤمنين ليصلوا معه، وتم شفاؤه بطريقة معجزية، وكانت نعمة الله عامله بقوة في حياته من بعد هذا الموقف. بدأ هذا الموقف، و بدأ يشهد للآخرين عن قوة الله الشافية.

عندما نأتي إلى الله يدخل هو حياتنا ويحررنا، وتبدأ حياته الجديدة تشع فينا فتحرر مشاعرنا وأفكارنا وإرادتنا، فلا تعد بعد إرادتنا مجزأة، بل تكون واحدًا معه، وحتى أجسادنا المادية تسكن مقدسة بسكنى روحه، وتنال تطهيرًا وشفاءً من المسيح. هذه النظرة الكتابية للإنسان، تظهر أننا أحرار جملة و تفصيلًا عن العالم الذي يجد أنفسنا وعن البيئة المحيطة.

وفي المقابل؛ فإن معظم أفكار العالم ونظرياته من جهة الإنسان، بأنه محدود، فترى مثلًا الإنسان، بأنه محدود اقتصاديًا، كما تعتبر الأنظمة الأخرى ـــ وحتى الدينية منها ـــ الإنسان محدودًا بالبيئة وبعلم الأحياء وعلم الإجتماع وعلم النفس. وبالرغم من أن النظرة

المسيحية للإنسان تعترف بتأثير معظم هذه العوامل على الإنسان، إلا أنها تعلن إنه ليس مقيدًا بها، لأن الإنجيل جاء ليحررنا، فرسالة الرب هي "فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" (يو ٨:٣٦)، فلماذا إذًا لم يتحرر ديفيد من كل قيود حياته القديمة مع أنه كان مؤمنًا؟

بالرغم من أن ديفيد كان قد أتى بحق إلى المسيح، إلا أنه كان يرى نفسه، ولم يستطيع أن يثبت في المسيح. فأن يكره المرء ذاته يعني أن يسير جنبًا إلى جنب مع ذاته، فكانت حياة ديفيد مثل حياة ريتشارد ــــ منقسمة. فهو لم يكن موحدًا من الداخل، ولأنه كان منفصلاً عن ذاته لم يستطيع أن يتحرك ويحيا من ذلك المركز الإلهي الذي يسكنه المسيح. فرغم أنه حصل علي الروح القدس ومواهبة، لكن لأنه كان منقسمًا وممزقا نفسيًا، فقد أثر هذا عليه روحيًا.

تقابلت بالأمس مع رجل له سمعة طيبة في أوساط الخدمة المسيحية، كان خاضعًا لسطوة خطايا جنسية فاحشة. كان مثل ديفيد وريتشارد، يسير جنبًا إلى جنب مع ذاته، ويعيش حياته كصبي صغير، مذنب، متمرد، وممزق الشخصية. يتشاجر مع أمه الحائرة، محاولاً التفوق عليها في الحيلة والدهاء. كان جغرافيًا بعيدًا عنها، لكن لأنه لم يستطيع أبدًا أن يفصل شخصيته الجنسية عن شخصيتها، وأن يتقبل ذاته كرجل، كان لا يزال تحت الناموس الذي أغضبه كطفل، أي ناموس الأم المشوه دائمًا بسبب عدم وجود أب قوي.

يقول القديس بولس "لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا" (رو٧: ٩ـ ١٠)، وهذا هو الحال دائمًا مع الإنسان الذي يسير جنبًا إلى جنب مع ذاته، أي الذي يعيش ويتصرف كصبي صغير غير ناضج،

لا يزال خاضعًا لسلطة ما، حيث يمكن أن أن يعاني من أسوأ حالات القهر! قال لي ذلك الرجل و الدموع تملأ عينية: "لكن الرب بداخلي، حتى عندما أسقط" (فهو مثل القس ديفيد الذي اختبر الميلاد الثاني بطريقة درامية، وقبل عطية الروح القدس بمواهبة التي فاضت في حياته).

كانت المشكلة هنا ــــمع إن الرب في حياته، لكنه إتخذ خطوة بعيدًا عنه، أي بعيدًا عن المركز الذي يحيا فيه المسيح، فهو فشل في أن يثبت في المسيح.. فعندما نخطو بعيدًا عنه، فإننا نخطو إلى الهاوية.. إلى الضياع.. إلى الفراغ.. حيث لا توجد حماية! وعندما نتراجع عن الطاعة فإننا نرتد عن النعمة ونستعبد من جديد للخطية (رو٦:١٦). قال لي الخادم: "بالرغم من إني أحيانًا أكون عبدًا للخطية، إلا أنني أشعر بالأمان في "جسد هذا الموت" (رو٧:٢٤). لكن بالنسبة للقديس بولس؛ ليس هذا مكانًا آمنًا، إذ يقول "لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (رو ٨:١٣).

كان هذا الرجل يشعر بالأمان قبل أنِ يقرر التخلي عن أساليبة القديمة، من تمرد علي أمه والتي تتم عن عدم نضوج (أي قبل أن يقرر الخروج من تحت سُلطانها، ويقبل ذاته ويعيش من المركز الذي دعا المسيح ليسكن فيه). يمكن أن يقاس هذا الشعور بالمقابلة مع الشعور بالأمان لدى أي إنسان يحاول أن يحفظ الشريعة، لكنني شخصيًا لا أعتقد أنه كان يشعر بالأمان بأي شكل من الأشكال، وأعتقد أيضًا أنه كان بعيدًا كل البُعد عن إدراك الحرية التي نعرفها كأبناء الله. فليس من الأمان أن نكره نفوسنا، أو أن نسير جنبًا إلى جنب مع ذواتنا كأطفال غير ناضجين أو كعبيد للخطية.

بالرغم من أن كل هؤلاء الرجال مسؤلون عن الطرق التي اتخذونها للتخفيف من آلامهم الداخلية، لكن احتياج كل منهم كان إلى صلاة شافية لينالوا تحريرًا. فكل منهم في عبودية من نوع خاص، ولم يستطيع أي منهم أن ينفك منها بمفرده، فكان كل منهم كالمرأة التي كان بها روح ضعف ثمان عشرة سنة ومنحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة، فمكتوب عنها: "فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: "يَا امْرَأَةُ، إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ!". وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ" (لو١٣: ١٢-١٣).

كانت عقول الناس أمثال ريتشارد وديفيد، مقعدة ومنحنية مثل جسد تلك المرأة، ولم يستطيعوا أن ينتصبوا ليعيشوا منتصرين. وفي الصلاة الشافية نطلقهم ونحررهم من عجزهم، أي من تلك القبضة التي تتخذ شكل كراهية الذات، والتمرد، و الشهوة، أو مثل هذه التخيلات من عقولهم. و بعد ذلك ــــ كما أمر المسيح المرأة بأن تقوم وتنهض ــــ نقول لكل هؤلاء: "أنت الأن حر لتحيا من المركز، تخيل نفسك تفعل ذلك، تخيل أنك تنتظر في محضر الله، إلى أن تقبل نفسك بالتمام في المسيح، متخليًا عن الكبرياء التي تمنعك من اتخاذ هذه الخطوة". إذن إنه ليس شعورًا بالأمان أن يسير المرء جنبًا إلى جنب مع ذاته، وأن يفشل في الإرتقاء على طريق النضوج، وأن يعيش من منطلق الصبى (أو الصبية) الصغير المؤذ الذي بداخله.

ينتظر الله بشغف ليعوض لنا، حتى على السنين التي أكلها الجراد (يوئيل٢:٢٥)، فيحول الجراح القديمة، والأحزان، والحرمان إلى قوة شفاء. وهذا ما كان يشتاق الله أن يعمله في حياة القس ديفيد. فليس عليه إلا أن ينتظر في محضر الله ليجد المفتاح، أي المفتاح

الذي سيساعده لأن يتغلب على شعوره الشديد بكراهية ذاته، وسيساعده أيضًا على قبول ذاته، وأن ينهض، وأن ينتصب.

عندما نبدأ صلاة شفاء الذكريات، أسأل الرب عادة أن يخرج من أعماق قلب المريض الأمور التي نحتاج أن نتحدث عنها، لا أؤمن بأنه يمكن أن تخرج هذه القصة التالية التي أخبرنى بها القس ديفيد، وهي أنه عندما أخذ أخوه أباهم المسن عشر أميال أو أكثر بعيدًا عن منزله ليزور منطقة مدافن قديمة في ولاية كارورلينا، أصر الأبـــدون أى مبرر أن يذهب إلى ذلك المكان الخفي خارج عن الطريق، أخذ الابن أباه بكل إخلاص وبطول أناه حتى وصلا، وهناك بدأ رجل عجوز من تلك المنطقة، الحفر في هضبة كبيرة جدًا للعثور على مقبرة كان يبحث عنها، وما أن عثر عليها، إلا وظهر فجأة رجل عجوز آخر. تذكر والد ديفيد الذي بدوره بدت عليه الدهشة، وبدأ يقول بينما يشير بيديه: "آه أتذكر هذا اليوم .. أتذكر ذلك اليوم!". واستمر في الحديث دون أن يلاحظ والد ديفيد الذي كان غاضبًا جدًا لئلا يسمع ابنه ما سيقوله ذلك الصديق القديم، و قال محاولًا أن يسكته: "أتذكر أباك الرجل الهندي الذي رفض أن يدفن في مدافن المسيحيين، وأتذكر عندما أتوا به إلى هنا ليدفن".

من هنا جاءت القصةـــالقصة الجد الذي لم يكن اسمه ولا حتى وجوده معروفًا عن أحفاده الخمسةـــ القصة التي تقدم لمحة عن تعصب مجتمع وكراهيته وإهماله، مجتمع يعود إلى عصر الاستعمار. أما تأثير كل هذا هو ما كان القس ديفيد وشقيقه وشقيقته الذين على قيد الحياة، يصارعون معه. كان ذلك تقريبًا من ثلاثة أرباع قرن. أحيانًا قد يكون الشيء الذي لا نعرفه هو نفس الشيء الذي يقتلنا.

عانت بالطبع هذه الأسرة كثيرًا من الإحساس بالرفض بسبب التمييز العنصرى في المجتمع، والذي يرى نفسه في عيون الآخرين، هكذا رأت هذه الأسرة نفسها وقبلتها بحسب حكم المجتمع وتقديره، ولكن على المدى الطويل، كانت الأسرة — وليس المجتمع — هي التي رفضت ديفيد. وفي محاولتهم لقبول ذواتهم، وأن يجدوا قبولاً في المجتمع الذي رفض أسلافهم، انتهي بهم الأمر بمحاولة مسح وجود ذلك الرجل من ذاكرتهم! ليس هناك رفضًا أقسى من هذا، أن يفشل في تحديد ما إذا كان شخص ما موجودًا، أو لم يكن له وجود على الإطلاق!

هناك وهم غريب بأن الزمن يمحو الخطايا! وقد سمعت أخرين يحكون أمورًا بشعة وكاذبة تم ارتكبها أيام الصبا، وكنت أقص أمورًا كهذه أيضًا، وكأن هذه الأمور لا شأن لها بالمتحدث في الوقت الحالي، حتى أنهم يسردون هذه الأمور وهم يضحكون! إن مجرد الزمن لا يفعل شيئًا سواء لحقيقة وجود الخطية أو للشعور بالذنب الناتج عنها، فما يمحو الخطية ليس الزمن، بل بالتوبة عنها، وبدم المسيح الذي يطهر من كل خطية.

كان الأمر يبدو — بشكل ما — وكان دم هذا الرجل يصرخ من باطن الأرض طالبًا عدلاً – عدلاً يقرر بأنه كان مؤكدًا أن وجوده في جينات نسله تصرخ للتعرف عليها، فلا نستطيع أن نقطع أي نفس حيه دون أن نقلل من قيمة ذواتنا، وهذا هو ناموس المحبة، فنحن نعيش من خارج ومن داخل أحدنا الآخر، بطريقة عميقة جدًا تفوق إدراكنا لتأثيرها في حياتنا. حسنًا عبَّر أحد الشعراء عن هذه الحقيقة بأسلوب مجازي بقوله no man is on island (أي؛ ليس أحد منا جزيرة مستقلة)، الأمر الذي يتفق مع ما قلته. لا نستطيع أن

نقطع ونبتر جزءًا من ذواتنا. فإن كانوا قد كرهوا جدهم، فقد كرهوا ذواتهم. إذا كان هذا رفضهم التام لأسلافهم، وراء كراهيتهم الشديدة لنفوسهم السائدة في هذه الأسرة، وكان هذا أيضًا وراء أزمة الرجولة في هذه الأسرة، أي سبب عدم استطاعة الرجال قبول ذواتهم كرجال.

"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (تث٥:١٦).

قد يؤذي رد فعل ابن تجاه والده عندما يهمله ذلك الوالد ويؤذيه ويثبط همته بطريقة أو بأخرى، إلى إستخدام صيغة قسم طفولية ضد الأب! أقابل الكثير من الرجال في حالة اغتراب عن رجولتهم، على الأقل جزئيًا، أقسموا باتخاذ مواقف ضد والديهم، كأن يقسم الواحد منهم قائلًا: "لن أحبه مرة أخرى على الإطلاق".

"أقسم أني لن أكون مثله عندما أكبر"

"إنه قد تمادى هذه المرة، لن أسمح له مجددًا أن ينال مني".

"لن أسمح له أن يؤذيني ثانية، وإلا مسحته من عالمي"

.. فأن يتوعد الأبناء والديهم بمثل هذه الأقسام، فإنهم بطريقة ما يقطعون أنفسهم من سماتهم الرجولية، فأن يرفض أحدهم والده، بدل أن يغفر له، فكأنه يحاول طمسه ومحوه من داخله، وهو أمر لا يستطيع التوقف عن عمله.. وهذه هي قوة القسم في الطفولة، والضرر الذي قد تحدثه في الذات، إذ تدمر كل العلاقات الأخرى. وبعد الصلاة التي يعترف فيها هؤلاء الرجال عن قسم

تلفظوا به في طفولتهم، ويقدموا غفرانًا لأسلافهم، أقوم غالبًا بالصلاة ليبارك الله أسلافهم الذين هم في صُلبهم، وفي حياتهم. والحق إنهم عند قبولهم لأسلافهم، فإنهم يقبلون جزءًا لا يتجزأ منهم انتقل إليهم نفسيًا وبيملوجيًا، ويكون الفرح الناتج أقرب إلى النشوة. إنه لأمر مؤلم أن ينفصل المرء عن أبية، بغض النظر عن مدى الخطأ والجرح الذي أحدثة الأب في حق الابن، فبرفض المرء لأبية فإنه يرفض نفسه.

نرى في قصة ديفيد، حال الأسرة المنفصلة عن سمات رجولتها الحقيقية، فقد كرهوا ذواتهم بكراهيتهم لأسلافهم، وكان رفضهم وتنكرهم لأسلافهم بسبب التمييز العنصري الذي عانوا منه، وراء كراهية الذات التي شملت الأسرة بجملتها.

فإن يكونوا منفصلين عن أبيهم الذي هو بطبيعة الحال مصدر تأكيد جنسهم وشخصياتهم فإنما قطعوا بذلك ذواتهم عن مصدر القوة لقبول انفسهم! فلم يستطيع الأبناء أن يقبلوا ذواتهم كرجال، فكانوا أسرة منعزلة عن العلاقات الفعّالة مع الرجال. لذا؛ لم يستطيعوا البدء في عمل التغيرات اللازمة لجذب الأسرة من كآبتها الشديدة ويضعونها في المركز، أي المكان الذي فيه يطهر المسيح ويشفي ويُكمل.

كانت طريقة الإعتراف بالخطية (والتي كما رأينا أن الزمن لا يمحوها) جنبًا إلى جنب مع إمتداد الغفران، ليس فقط للمجتمع بل وأيضًا لأفراد العائلة الذين إختاروا أن يتناسوا جدهم الهندي. كانت هذه هي الطريقة التي أتاحها الله لشفاء هذه الأسرة، وهكذا صليت مع القس ديفيد، الذي إعترف بكل الخطايا، المعروف منها وغير المعروف، التي ارتُكبت في حق جدهم، من الاسرة ومن المجتمع، واعترفنا بخطايا

التمييز العنصري، والكراهية، وعدم المحبة، والفشل في إكرام الوالدين، وأيّة خطية أخرى يمكن أن نفكر فيها، قد ذكرها أمام الله، وشكرنا الله علي غفرانه لهذه الخطايا.

كانت هذه صلوات تكفير عن خطايانا، أي الصلوات التي نعترف فيها بقدر ما نستطيع بخطايا الأسرة والأمة أو بالوضع الراهن. إن المسيح أفضل كفارة لجميع الخطايا. وباعترافنا وتوبتنا عن الخطية نضعها تحت قوة دم المسيح المطهر. لا نقول إنه بمثل هذه الصلوات ستغفر خطايا الناس الذين عاشوا في الماضي، لكن ما نقوله، إننا بهذه الصلوات نكسر قوة خطايا الناس الذين كانوا في الماضي أو في الحاضر، علي الأحياء. إذًا بالتوبة و بدم المسيح، أصبح الآن الطريق معدًا لكي يندمل ذلك الجرح بكل تأثيراته الشيطانية من علي نفس القس ديفيد. وهكذا أزالت هذه الصلاة، العقبة الأساسية التي حالت بين القس ديفيد وبين قبول ذاته، فقد أزالت هذه العقبة التي حلت بينه وبين الحياة من المركز. فكم نستطيع مثل هذه الصلاة أن تصنع الكثير! سيجد الآخرون من أفراد الأسرة، وحتى الذين فُقدوا من ذاكرة القس ديفيد منذ وقت طويل، سيجدوا الأمر أسهل الآن بكثير ليخطوا علي طريق الإكتمال.

صليت بعد ذلك مع ديفيد بذات الطريقة التي صليت بها مع رينشارد، أي لأساعدة أن يرى يسوع بعين قلبه، وأن يعترف بجميع الخطايا فيحصل علي الغفران.. صليت من أجل إنسانه الداخلي كي يُثبته الله الآب بقوة كرجل، وكمتحدث، وكشخص يعيش الحق الإلهي.

كتب ديفيد بعد ذلك قائلاً : "لن أنسى أبدًا ذلك اليوم الذي أصبحت فيه صبيًا، ورجلاً في نفس الوقت، اليوم الذي تغلغل فيه يسوع إلى ماضي حياتي وأكد

بنوتي. هذا، وساعدته أن يستمع لصلاتي، ليتمكن بهذه الطريقة أن يُغير ما ألفه من نماذج وأطر سلبيته القديمة لكراهية الذات، بكلمات الله الشافية.

وكتب بعد مرور عام قائلاً: "كنت أسعي نهارًا وليلاً مدة خمسين عامًا محاولاً أن أجد سلامًا، لكن ذلك لم يتحقق إلا عندما صليت وأصبحت إنسانًا وتغيرت حياتي بجملتها. أشعر أحيانًا أني لا أستحق هذا السلام، وإذ ينتابني هذا الشعور، أعود بذاكرتي علي الفور إلي ذلك الوقت الذي صلينا فيه، والذي أصبحت فيه رجلا وصبيًا في نفس الوقت. ويا له من أمر رائع أن أدرك أنني هنا لهدف ما، وأني لم أحققة بعد.. وبعد سنوات من اليأس، والخوف، والعذاب، والفشل، انفتح أمامي عالم جديد علي أن أعرفه، وأن أدرك أنه يعرف كل شئ عني، وأنه لا يزال يحبني ولا يزال يهبني ثقة مستمرة، فهو أملي ورجائي وكل شئ في حياتي، وقد تمتعت بصحة وإستقامة مصدرها الله وحده، وأصبحت الآن استمتع بحياتي وأنا في الخمسين ما فقدته وأنا في الخامسة".

أراد الله أن يعوض لهذا الأنسان المحبوب علي قلبة "السنين التي أكلها الجراد" وهذا في حد ذاتة معجزة! لم تتوقف زوجتة عن الإندهاش من الإختلاف الذي حدث له فيقول "أحد الأمور الأساسية التي أثرت فيَ، أنه يدعوني أن أكون نفسي". تستطيع زوجتة الآن وكذا الآخرون التواصل معه، فبعد أن أصبح ديفيد يطيع الله وعلى وفاق مع ذاته، يستطيع أن يدعُ الآخرين لأن يكونوا أنفسهم. وتقول زوجتة أيضًا: "بعد ثلاثين عامًا لم أستطيع أن أستمتع فيها بالحديث معه، يدعني الآن أن أكون رأيًا دونِ أن يكون هذا مصدر إزعاج له، فإني أستطيع أن أعبر عن نفسي معه. ولكونها من نفس المنطقة التي نشأ فيها زوجها، ومتمرسة بالتالي

في إستخدام كافة أنواع المبالغة في الكلام، قالت "أستطيع أن أتغاضى عن هذا الأمر وأتجاوزة".

المزيد عن صيغ القسم في الطفولة :

عندما لا يقدم الإكرام الواجب للأب والأم

بينما كنت في حلقة نقاش منذ وقت قريب مع أطباء متمرسين في عملهم، عما قد ينتج من مشكلات من استخدام صيغ القسم في الطفولة، إذا بامرأة من المستمعين—وهي زوجة طبيب نفسي—بدأت تبكي بمرارة، إذا جاهدت لتجري حوارًا مع زوجها وأبناءها وأيضًا مع إلهها، لكن كانت النتيجة عجزًا تامًا! وبينما كنت أتحدث، تذكرت هذه المرأة قسمًا قويًا كانت قد تلفظت به في طفولتها، وهو أنها لن تتحدث أبدًا مع والدها إلا إذا كانت مجبرة لتقول له أمرًا ما! كان هذا القرار قد سبب انتهاكا عميقًا في نفسيتها حتى إنه أثر على علاقتها بعد ذلك، فهي لم تستطع أن تتحدث بحرية مع من تحبهم، لكنها اعترفت في الصلاة بهذا القسم الذي تلفظت به وهي بعد طفلة، ونالت الشفاء، ولن يتوقف فمها عن الكلام مرة أخرى بسبب بمثل هذا القسم الذي يعود إلى أيام الطفولة وأصبح في طي النسيان.

إن الحاجة لمثل هذه الصلوات—كما لاحظنا— لأناس يعانون من اغتراب عن شخصياتهم الرجولية أو الأنوثية، فهم يحتاجون إلى مساعدة حتى يتبرأوا من القسم الذي تلفظوا به في طفولتهم، والذي قطعهم وفصلهم ليس فقط عن أب أو أم، بل أيضًا عن شخصية ذلك الأب والأم الجنسية التي بداخلهم. ففشل المرء في غفران كامل لأبيه أو لأمه، معناه فشله في الحصول على بركة في نفسه وروحه وجسده.

نادرًا ما يستطيع طفل أن يفرق بين والديه كأشخاص، وبين خطأهم ومرضهم أو ضعفهم فالأب (أو الأم) وسلوكه يظهران للطفل أمرًا واحدًا. وعليه، لكي يتحرر الابن أو الابنة من هذه النظرة، عليه أن يفصل بين الأثنين، أن يغفر الخطية ويقبل الخاطيء، ولكي يحدث هذا، لابد وأن يحصل الأبن أو الابنه على ما أسميته "العطية الإلهية".

بدون هذه العطية، يغتاظ الإنسان إذا طلب منه أن يتبرأ من قسم تلفظ به في الطفولة، فيبدأ بنغمة تنم عن الغضب والمرارة، في سرد ما تعرض له من إهانات بشعة على يد الأب أو الأم، و تسمع في هذا السرد ماذا يعني أن يحاول الإنسان أن ينمو باستقامة تحت سلطة أب (أو أم) غير مستقيم، كأن يكون مدمنًا للمخدرات، أو فاسدًا أخلاقيًا، أو غير متوازن عقليًا، أو مستبد بطريقة عنيفة. واضح أنه شخص غير محب، وأن ينتظر المرء محبة أبيه أو أمه ولا يستطيع الحصول عليها، فإن هذا يشكل الجزء الأكبر من الجرح. ويكون النطق بأمر القسم وكأنه السبب الذي كان يمنعه من الحصول على ذلك الحب، وبالتالي يعاني المرء من المزيد من الجراح والإخفاقات. ويبدو لهم تخليه عن القسم وكأنه قبول لسلوكهم، كما لو كان يجرؤ على الإنفتاح مرة أخرى على ما لدى ذلك الأب أو الأم على الأذى وجلب الضرر وإحداث الجروح.

يحتاج هؤلاء الأشخاص إلى فهم جديد، فمن المهم أن يدركوا أن رد فعلهم تجاه ظروف حداثتهم لا يزال ذاتيًا، ولكي يتحرروا من ذلك، لابد أن يتخطوا موقفهم الذاتي إلى موقف موضوعي. بكلام آخر، يحتاجون لأن يتخلصوا من موقف الصبي غير الناضج، الذي يضعف ويسقط عند مواجهة موقف ما مع الوالدين، ويتخذون موقفًا موضوعيًا أمنًا ومتحررًا، والذي به

يستطيعون القيام بتحليل وقبول الموقف لما فيه—أو لما كان فيه—من حق. إنه لأمر صعب أن يواجه المرء الكلام الذي في والده، لكن عن طريق الصلاة، نستطيع أن ننتصر على هذه الصعوبة. وبهذه الطريقة وحدها يستطيع هؤلاء الأشخاص أن يبدأوا في فصل شخصياتهم عن شخصيات والديهم وعن أوضاع ماضيهم، ويواصلون غفرانهم الحقيقي لهم، وبهذه الطريقة أيضًا، يمكنهم أن يبدأوا في تحمل مسؤلية كاملة عن ردود أفعالهم الغاضبة تجاه المشكلة. ويمكنهم أن يعترفوا ويتوبوا عن خطاياهم في هذا الأمر.

يعترض هؤلاء الأشخاص دائمًا ويقولون: "لقد غفرت لأبي ولازلت أغفر له"، ويكون ردي: "لكنك لازلت تتوقع منه أن يتغير (أما زلت غاضبًا منه لأنه لم يتغير بعد) ، أو طبقًا للظروف فإنك لازلت تحاول أن تحصل على تأكيد منه، وليس عليه أن يعطي هذا التأكيد"، و بكلمات أخرى "إنك تحاول أن تغفر لوالدك، لكنك لا تقبله كالشخص المحتاج".

أحاول بعد ذلك أن أساعد هؤلاء الأحباء أن يفرقوا بين ذلك الأب وبين مرضه وخطيته. في الواقع، وبشكل ثابت، يعتقد جميعهم أنهم لكي يقبلوا الأب (أو الأم) كما هو/ هي، هو أن يقبلوا خطيتهم وما فيهم من عدم استقامة. لكن لابد أن يقبل ما كانوا عليه وما هم عليه في الوقت الراهن، بطريقة موضوعية، بغض النظر عن خطيتهما وضعفها وما فيها من ظلمة. وبعد ذلك يجب أن نطرق لتأثير تلك الأمور على الابن أو الابنة في الصلاة وبذلك يتحرر الطفل من أي قيود على روحه أو على نفسه بسبب مشكلة الأب أو الأم —سواء بالموت أو بالطلاق أو بأي سبب آخر— على أنه رفض شخصي له، ومشاعر الرفض التي لا تشفي، يسقطها على الآخرين! بمعنى أنه إذا نشأ طفل

في كنف أحد الوالدين، فغالبًا ما يسقط هذا الطفل، ما اختبره من مشاعر الرفض ــ بفقد أحد والديه ــ على الآخر الذي نشأ وتربى في كنفه.

نشأ أولادى و تربوا في بيت تحت السلطة الأم فقط، التي ربته [يجب أن نلاحظ أن هذا الإسقاط يكون دائمًا في اللاوعي]، ففي بيت محطم بسبب الطلاق مثلًا، يكون الأب (أو الأم) الأمين الذي لم يتخل عن الطفل، وهو كبش الفداء.

الطلاق أمر بشع، وكم يكون صعبًا على الطفل الذي يتربى في مثل هذا البيت المحطم!

أعرف العديد من السيدات المطلقات اللواتي يحاولن تعويض أبنائهن [أي تدليلهم وتقديم الأعذار لهم]، وهذا بسبب الشعور الكاذب بالذنب الذي ينتابهن بسبب الطلاق، قد فعلن كل ما أمكنهن فعله للحفاظ على بيوتهن، ولكنهن فشلن بسبب ما لهن من فجاجة جسيمة، ونرجسية فاضحة، أو بسبب بعض هذه الأمور من جانب الزوج، وبسبب شعورهن بالذنب نتيجة فشلهن في الزواج، يحاولن تعويض أبنائهن.. وبالتالي يرى الأبناء الذنب المزيف، ذنبًا حقيقيًا.

أرى ــ كما يرى أخرون مثلي ــ أنه غالبًا ما يكون إدراك الأبناء الحسي منحرفًا! يصدمني سماع طفل قام بكتابة أمور يكشف فيها عن قصة حياة أبيه وأمه، فما يراه هؤلاء الأطفال "كحقيقة" من الممكن أن يكون إسقاطات نفسية واقعية جدًا. تظهر هذه الإسقاطات على السطح عندما نصلي من أجل الموضوعية التي نحتاجها، فليس من الغريب أن نجد ابنًا (أو ابنة)، بينما يبدأ في مسامحة والديه، يبدأ في الوقت ذاته بإدراك أن بعض شكاواه من أبيه أو أمه، ليس لها أساس من الصحة! ولذلك فمن الضروري أن يغفر الأبناء للأب

(أو الأم) الغائب، أي الذي تناول الابن غيابه على أنه رفض شخصي. يقول الكتاب: "اِرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ على الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (تث٥: ١٦)

لكن كيف يمكن أن يحدث ذلك بينما الأب (أو الأم) منحرفًا تمامًا؟ كما أشرنا قبلًا، من الممكن أن نطيع الرب في هذا الأمر الصعب [الصلاة تصنع الفرق]، وأن تفعل ذلك يعني أنك تجد الحياة بحق. فينبغي أن نجد تلك الموضوعية الإلهية التي تمكنا من أن نحب ونشفق على تلك النفس المريضة التي تربطنا بها علاقة القربى. وفي ذات الوقت نتجنب أن نضعف بسبب عدم القدرة على المحبة أو أي أمر سلبي آخر في تلك النفس. بهذه الموضوعية نعمل على تعميق المفهوم الذي ذكره سي إس لويس، من أن المحبة أكثر قوة وروعة من مجرد الشفقة والحنان.

قد تساعد الصلاة التالية المرء، لأن يكرم ويقبل الأب (أو الأم) الذي لا يكون إكرامه أمرًا سهلًا، ومن هنا يمكن أن يستمر في التخلي عن أي أقسام تلفظ بها في الطفولة فيما يتعلق بذلك الأب أو بتلك الأم، أو بالظروف:

> "أشكرك يا رب لأنك خلقت أبي [أو أمي] على صورتك، إني أسامحه من كل قلبي لأنه لم يكن جديرًا بكل ما خلقته عليه، أعلم أنه يحتاج إلى الشفاء الذي أحصل عليه الآن، لكي أغفر له وأقبله، لتكن حياته كما أردت أنت أن تكون، إني أسامحه على كل ما صدر منه من تعديات في حقي، وأقبله كما هو إنسانًا محتاجًا ومريضًا. أشكرك من أجل ما خلقته ليكون عليه..

سانظر إلى الشخص الحقيقي الذي أردته أنت أن يكون.. إني أنظر إليك الآن لأنال كل التأكيد الذي طالما كنت بحاجه شديدة إليه من أبي، وجه محبتك له يا رب عن طريقي متى أردت ذلك".

وأواصل الصلاة بهذه الطريقة، بينما يتحرر قلب الابن من رؤية نفسه يتفاعل ذاتيًا مع الأب، وإنما يرى نفسه يمد يد البركة لأبيه كلما واتته الفرصة. [يجب على الابن ألا يستعجل في اختبار قدرته على مباركة والديه، بينما ينمو في موضعيتهم الجديدة. ذلك الوقت الذي فيه تتغير ردود أفعاله العاطفية تجاه والديه، وتتغير أنماط الذاتية القديمة إلى أنماط أصح وأكثر أمانًا]. بهذه الطريقة يبدأ الابن أو الابنة في رؤية نفسه (كالشخص المُبارك)، ولن يتألم مرة أخرى، لأن أباه غير قادر على مباركته في المقابل.

يصبح الطريق بعد ذلك معدًا للإبن [أو الابنه] لكي يقبل ذاته، فهذا الطريق كان مغلقًا أمامه من قبل ذلك، أو على الأقل إلى حد ما،لأنه لم يكن قادرًا على قبول أسلافه، وبالتالي لا يمكن أن يحب نفسه أو يقبلها، فيفكر ويسأل نفسه ويقول: "أليس صحيحًا إني عظم من عظامهم، ولحم من لحمهم؟ وعندما ينظر في المرآة يراهم. فأن يكره المرء أباه أو أمه، فإنه في الحقيقة يكره ذاته.

أقوم دائمًا بعد الصلاة لأجل نوال القدرة على قبول الأب أوالأم ، بوضع يدي على الابن أوالابنة، و أصلي من أجل الأب أو الأم، لأن الأبناء قد توارثوهم [جينيًا وبيولوجيًا ونفسيًا] في خلاياهم، وتكون هذه الصلاة دائمًا مفرحة ومثيرة، أى اللحظة التي يستقبل فيها الابن بركة الله على جزء بداخله قد ورثه من الأب أو الأم الذي كان يكره من قبل. وكم تأتي مثل هذه الصلاة ببركات رائعة وقبول حقيقي للنفس.

صليت إلى الله ليبارك الجد الهندي الذي بداخل القس ديفيد، وكان يبدو الأمر وكأنه قد إندمج مع جزء كان مفقودًا منذ وقت طويل بداخله. يحتاج الكثيرون من السود في الولايات المتحدة—وخاصة من الرجال—إلى نفس هذه الإستنارة والصلاة والشفاء الذي ناله القس ديفيد. إذ هناك رجاء في شفاء أزمة الرجولة بين السود في الولايات المتحدة، كما نعلم أن الهنود والسود واليهود وغيرهم ممن عانوا رفضًا بسبب أعراقهم، لديهم احتياجات خاصة في مجال شفاء الذكريات.

تشرح القصة التالية كيف يمكن أن يكون الأمر أحيانًا صعبًا، أن يقبل المرء أبًا أو أمًا كما هم. كما تشرح أيضًا الصراع المستمر مع الفشل في قبول الذات، عندما لا تتحقق الموضوعية الإلهية.

الطبيب الذي يكره النظر إلى وجهه في المرآة

كان طبيبًا نفسيًا محبوبًا جدًا من الجميع، يعاني من مشكلة عدم قبول ذاته. فكان كل صباح بينما يقوم بحلاقة ذقنه، يتذكر احتياجه لأنه لم يكن يحب أن يرى وجهه في المرآة. كان الله يستخدمه بقوة، وبالتالي كان يصلي دائمًا ليجد النعمة التي تساعده على التغلب على مشكلة كراهية النفس، وذلك لكي يتقبل دعوة الله له. ولأنه كان ممسوحًا من الله ليصلي من أجل المرضى.

كان هذا الطبيب يعيش من المركز، علي الأقل جزء من الوقت، لكنه كان يعرف خطورة الهروب من إرادة الله الكاملة من جهته، عندما يحكم علي نفسه بأنه غير مقبول، وعندما ينظر إلى نفسه في مرآة بارتياب وعدم محبة.

بينما كان ينمو في النعمة ويحوز تقدير الجميع له كطبيب ناجح وكخادم مسيحي، كانت كراهية الذات

تؤلمة وتوجعة أكثر فأكثر، كان خوفه علي نفسه متمثلا في هذا السؤال: "لماذا احب صداقة رجال يتمتعون بقدر من الوسامة والطلعة البهية ورياضيين؟". قبل أن ينخرط في الخدمة المسيحية، كان قد سيطر علي مخاوفة وأشواقة وإحتياجاته، وشعورة بالوحدة. والواقع أن ذلك الطبيب كان يتحكم في نفسه وفي أسرته بطريقة استبدادية جدًا، قبل أن يختبر تجديد الروح.. هذا التحكم جعل لغة الحوار الحقيقي بينهم علي مسافات متباعدة، فنادرًا ما كان يشترك في حوار هادف مع زوجته، إن ذلك كان يعني بالنسبة له، أن ينظر إلى مخاوفه، حتى ولو لبضع لحظات، و بالتالي كان يعتقد بالأسواء علي نفسه. لكن تدريجيًا بينما كان يأتي للرب، كان يقترب من قلبة ويكتسب الشجاعة لينظر إلى مشاعرة ومخاوفه.

وبعد أن استمع إلى إحدى عظاتي وقراءة كتابي "الصورة المكسورة*"، أدرك وواجة الحقيقة أنه كان منفصلاً بشكل قوي عن هويته، وشخصيته الرجولية، بالرغم من عدم وجود عصاب جنسي لدية، فهو ببساطة لم يستطيع أن يقبل ذاته كرجل.

جاء ليتحدث معي عن مخاوفة التي تركزت في يأسه من رفقة الرجال، حتى كان يسأل نفسه: "هل هناك خطأ ما فيَ؟ لم أنظر إلى نفسي كذكر، وأعني بذلك: حسن الصورة، وأتمتع بقوة بدنية وجسم رياضي.. إني أنظر إلى نفسي وأرى أني مختلف، وغريب، وأسعى إلى إثبات شخصيتي بين الرجال، وأيضًا إلى رفقتهم، أحب أن أكون مبدعًا وأن أقوم بأعمال التبشير، وأن أقرأ، وأسافر، وأبدو جميلاً في ملبسي. أقوم بتوجية الناس، ولي شخصية صلبة، أشعر أنه ينبغي أن أأسف

* صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب عن مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.

علي نفسي، لأني بهذا الشكل ينبغي أن أحاول أن أخفي إبداعي ومواهبي...

ظهرت ثورته تجاة أبيه، بينما كنا نتحدث سويًا، "لم أشعر قط لا كطفل ولا كرجل أني محبوب من أبي، لا أتذكر أنه عانقني وقال لي أنه يحبني، أو إنني صالح، أو أنه فخور بي".

إن كان هناك شخص في حاجة إلي استبدال الذاتية بالموضعية في تعاملة مع والده، لكان هو هذا الرجل. وقد فعل، فهو لا يزال يتوق إلى حب أبيه، وتأكيد شخصيته منه، ولا يزال غاضبًا منه لأنه لم يتفضل عليه بهذه الأمور. كان ينظر إلى أبيه ليغير من ذاته، واختبر كل أنواع الأحاسيس مرارًا و تكرارًا بينما كان يحاول التواصل مع أبيه، لكن أباه ظل علي ما هو عليه، أي غير مُحب، وغير منطقي، ويلقي باللائمة دائمًا علي الآخرين علي إهمالهم إياه. إرتفعت نبرة صوته عندما اقترحت عليه أن يكون موضعيًا ليرى والدة ويقبلة كما هو عليه، وأن يصلي من أجل ذلك، لكنه سرعان ما قال: "إنك لا تعرفين عما تسألينني أن أعمله! إننا لا نستطيع أن نقبله بهذا الشكل!"

فكر هذا الطبيب في محاولة النمو بإستقامة في بيئة شريرة وفاسدة. فبرغم غني أبيه لكنة كان شخصًا بخيلاً، ومع أن يملك الآلاف من أفدنة البساتين الخضراء في ولاية أورجون، لكنة لم يهب شيئًا لزوجته أو لأبنائه، علي سبيل المحبة أو الهدية مع أن هذا لا يكلفة شيئًا. كان ذلك الطبيب يقضي إجازتة المدرسية والجامعية عاملاً في بساتين أبية، وبالرغم من أنه كان يتقاضي أجرًا جيدًا إلا أنه لم يكن يشعر بإحساس البنوة تجاه أبيه ، فقد كان أبوة بعيدًا بل مبتعدًا جدًا عنه، كما عن بقية العاملين في بساتينه. عرف من

خلال عمله حجم حيازات أبيه، وعبر لي في مرارة عن ألمه قائلاً: "ماتت أمي وهي لا تملك أي شيء، ولا حتى بضعة دراهم قليلة في جيبها، بينما كان أبي يقوم بالتبضع في السوق".

تفرست فيه بينما كان يشاركني بمواقف أبيه منه وأفعاله معه، فأدركت أني أمام معجزة، "معجزة" لأنه بالرغم من عدم حصوله علي تأكيد هويته الجنسية كرجل أو كشخص، ولم يحصل على الموضوعية التي يتعامل بها مع المشاكل التي يواجهها من أبيه. لكنه ظل صلبًا لم ينكسر، بعكس أبناء كثيرين لا يصمدون أمام تنكر آبائهم لهم ورفضهم إياهم. لقد فشل هذا الأب الذي كره الحياة وتنكر للحب، في القضاء على الحياة في ابنه، فغالبًا ما حاول ذلك ولو بدون وعي ولا شك. إن هذا قد جرح الابن بشدة، ولولا أن الله أعان هذا الابن، لأصبح مع الوقت صورة مصغرة من أبيه في الكراهية أو في عدم الغفران.

هذه هي مشكلة قسم الطفولة، والقرار الذي يتخذه الأطفال بألا يصيروا مثل أبيهم عندما يكبرون. ودون أن نقبل والدينا ـــ كما هم ـــ ونغفر لهم، فلن نستطيع أن نفصل شخصياتنا عنهم، وأن نقبل ذواتنا، وهكذا نكون في خطر أن نصبح أكثر فأكثر شبهًا بهم. إن الغفران التام أمر إلهي، ويحتاج لإتمامه تدخل إلهي. قال هذا الطبيب عند سماعه ذلك: "نعم، هذا صحيح، فقبل أن أجد المسيح وأتعمق في حياة الشركة معه، وبدات أمارس الغفران، لكنت أصبحت أكثر شبهًا بأبي".

ومع ذلك، لم يكن قد انتهي عمل الغفران في حياة ذلك الطبيب، فقد كان في ذلك الوقت في احتياج لنوال عطية الموضوعية الإلهية، ليتحرر من ذاتية الصبي الصغير الذي بداخله، في علاقته بأبيه، وينتقل إلى

مرحلة النضوج التي تمكنه مِن مواجهة المشكلة، ورؤيتها على حقيقتها، ووضعها باسمها أمام اللهِ، وغفرانها بالتمام، حتى لا تعود تمثل له عقبة بعد.
إذا كان على هذا الطبيب (د.ل.) كي يحصل على الموضوعية الإلهية، أن يقبل ألاه كما هو، وكما كان عليه. وبعد أن وضحت له احتياجه، ساعدته أن يصلي بالطريقة التالية:

"إني أُسامحك يا أبي لأنك لم تستطع أن تحبني، ولعدم قدرتك على العطاء لي، ولأمي، ولأخي، ولأختي، دعني أواجه سمة البخل المرضية التي فيك، وأدعوها بأنها شيء شرير، بل أمر شيطاني، كإبليس الذي له القدرة على جرح أمي وأختي [كلتاهما ماتتا بسبب مرض عضوي] وجرحي أنا أيضًا! ومع أنك كنت ترى الأمور فقط مِن منطلق رغباتك الشخصية المنحرفة، لكنني أسامحك وأغفر لك لأنك لم تكن على المستوى الذي خلقك الله عليه. كما أني أقبلك بما اخترت أن تكون عليه، ولن أسعى دون جدوى لأن تتغير وأن تحبني، وأن تدرك أني إنسان له احتياجات ومشاعر وطموحات ورغبات.

ولأني أسامحك الآن، فلن تستطيع أن تجرحني أو تجرح زوجتي وأبنائي، إننا نقاوم إبليس ونتغلب عليه بقوة الروح القدس، وبأسم المسيح الذي هو نورنا وحياتنا. يمكننا الآن أن نباركك إذا سمحت لنا، ولا نتوقع شيئًا في المقابل، ولا نقبل محاولاتك في التخلي عنا، لكننا نرد اتهاماتك وإسقاطاتك على رأسك بكلمة الحق، الحكمة النازلة مِن فوق مِن عند الله، وندعك تتعامل معها. ونعلم الآن أن هذه هي المحبة، المحبة التي هي أقوى وأروع مِن مجرد الشفقة والحنان. إنها كلمة الحق التي

تعينك على هزيمة الشيطان الذي يقيدك... إننا لا ندينك يا أبي، إنما ندين إبليس الذي آذانا وجرحنا جميعًا.

والآن أشكرك يا أبي السماوي لأنك سمعت هذه الصلاة، ولأنك جعلتني أستطيع أن أقبل أبي، وأن أغفر له تمامًا، أشكرك لأنك أعطيتني ألا أخضع لسلطة إبليس الذي جرحنا وأحزننا جميعًا، بل أن أتبنى الموضوعية التي تمكنني يومًا ما أن أكون قناة محبتك الشافية لأبي".

بهذه الطريقة يكون د.ل. قد أتى إلى المراعي الخضراء الرحبة، التي بدأ يعرف فيها الله الآب الذي منه يجد تأكيده، كابن وكرجل. وبدأ بالفعل يسمع كلمات التأكيد مِن الله نفسه، فيقول: "في اليوم الثامن مِن تراجعي، سمعت الله الآب يخبرني بأنه أحبني، وأني عزيز في عينيه، وأنه في حاجة إليّ لأؤدي عمله... اخترقت هذه الكلمات كياني... إنه أحبني، وأكد لي أنه سيأمر رجولتي أن تعود إلى حالتها الطبيعية، وأنني سأنمو في محبته، ثم أخدم مَن سيرسلني إليهم".

بعد أن أستمع إلى كلمات التأكيد مِن الله الآب، بدأت علاقته مع الرب تتقوى، وصار يتمتع برجولة كاملة أضرمت النار في كيانه، وبدأ يتبنى ـــ وأن كان ببطء في أول الأمر ـــ عطية الموضوعية الإلهية.

استطاع ذلك الطبيب الآن يرى أن رغبته العميقة لعمل علاقات مع الرجال، لم تكن أبدًا أمرًا سيئًا، بل بالحري أمرًا صحيًا وضروريًا لكل رجل، لكن ذلك الأمر كان مصدر خوف له، لأنه: (١) كان يخشى رفضه مِن الرجال، (٢) وكان في احتياج غامر لتأكيدهم لرجولته. فلم تكن له علاقة حميمة مع أبيه، فسعى إلى تكوين هذه العلاقة ـــ ولو بلا وعي ـــ مع

رجال آخرين، إذا كان احتياجه لتأكيد رجولته وللمحبة قويا جدًا، ولذا كان عليه أن يقمع هذا الاحتياج، حتى تحول إلى ضغينة في قلبه، وأستقر في عقله اللاواعي، حتى بدأ يتفجر هذا الاحتياج في شكل خوف، وإحساس بالذنب، وأفكار غريبة، وردود أفعال تناسلية، وعجز جنسي، وأخيرًا، ومع الوقت، خيالات مرضية بغرض تحسين الأداء الجنسي.

بعد أن فهم ذلك الطبيب قلبه، وضع حدًا لما عاناه مِن كبت نتيجة احتياجه إلى محبة أبيه وإلى تأكيد شخصيته الرجولية. وبانتقال هذه الاحتياجات إلى العقل الواعي، ووضعها أمام الرب فإنها لن تتفجر ثانية في شكل أمور غريبة، فقد اعترف بها، وتاب عنها، وقضى على كل خيالاته التي تبناها ردًا على مخاوفه وإحساسه بالذنب. أما مشكلته بشأن العجز الجنسي واستجاباته التناسلية غير الملائمة، والأفكار الغريبة، فقد تنحت جانبًا، بل قد اختفت.

ومنذ ذلك الحِين، بدأ يرتبط بالرجال، ولم يعد يخشى أن يطوّق رجلاً بذراعيه ويعانقه ممن يحتاجون إلى مثل هذه اللمسات الحانية وللصلاة معهم، سواء كان ذلك باعتباره طبيبًا يعالج المرضى، أو كشخص عادي دعاه الله ليصلي مِن أجل الآخرين. هذا وقد تلقى هذا الطبيب تدريبًا طبيًا في جامعة ميناء الساحل الغربي، مما جعل الكثيرين مِن الرجال والنساء يترددون عليه. وكمتخصص في مجال عمله، كان يتم الاستعانة به والاستفادة منه في علاج مشكلات طبية تتعلق بممارسة الشذوذ الجنسي لدى بعض الرجال. وقبل حصوله على الشفاء، كان أولئك المرضى يوقظون فيه مخاوفه على نفسه، لكنه الآن كما يقول: "أستطيع أن أتحدث، وأن أبكي، وأن أصلي مع مريض الشذوذ الجنسي، وقد أصبحت أكثر حزمًا ومصدر ثقة عند

الحديث عن السلوكيات الجنسية مع الرجال الذين يترددون عليّ. ويقوم هذا الطبيب الآن بخدمة جليلة للرجال الذين يعانون مِن العصاب الجنسي، وبسبب شهرة مدينته وطبيعتها العالمية، قد ساعد هذا العديد مِن الناس مِن أماكن وبلدان مختلفة.

بينما يكون الأطفال الرضع على صدور أمهاتهم وبين أذرعتهن، تتأكد السمات الأنثوية لديهم، سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا. فنحن ندخل في علاقات حميمة مع الأنوثة التي لدى أمهاتنا، وبالتالي التي في داخلنا. وقد كان لدى هذا الطبيب أم محبة ومتفهمة وتتمتع بأنوثة عالية، وهكذا نما ابنها في الجانب الأنثوي بدرجة عالية. ولكن لعدم ثقته في رجولته، فقد كان خائفًا وخجولاً مِن مواهبه حتى أنه حاول إخفاء ما نتج عن نفسه الحساسة مِن إبداع وابتكار.

يقول ذلك الطبيب: "عندما صليت مع ليني مِن أجل التوازن بين الرجولة والأنوثة، بدأت أرى نفسي بطريقة مختلفة، إذ بدأت أراها في نور المسيح، كما رأيت الحياة المتزنة في يسوع، وبدت لي الرجولة والأنوثة التي بداخله أكثر وضوحًا، وكذا علاقته مع كل مِن الرجال والنساء".

عندما فهم هذا الطبيب هذا الأمر، أدرك مواهبه الفريدة وقبلها.

أعرف شابًا يافعًا يُعاني مِن عصاب شذوذ جنسي مفرط. قال لي أن أباه لم يدخل إلى غرفته مرة واحدة، بالرغم مِن أنهما كانا يعيشا معًا في نفس البيت! كما قال إنه لا يتذكر أن أباه قد تواصل معه، أو أنه أختبر يومًا لمسات الأب الحانية! الأمر الذي كان هذا الابن يفتقده كثيرًا.. لمسات ذلك الكيان الذي منه يحصل الابن وينال رجولته، فهذا احتياج أساسي للابن، فأن

لا يمسك المرء يد أبيه ولو مرة واحدة، وأن لا يتبادلا معًا لعبة معينة، وأن لا يسيرا معًا وكتفاهما متلامسين، سيما إذا كانا يعيشان معًا، فقد يُفسّر الابن ذلك على أنه نقص، بعكسٍ ما لو تواجد الأب مع ابنه في صور وأشكال كثيرة، لتُحسّن هذا الشعور بالنقص لدى الابن.

لم يرتبط هذا الابن أبدًا مع أبيه، شأنه شأن الطبيب الذي تحدثنا عنه. ولذلك لم تجد الرجوله التي بداخله الفرصة لتُبارز الرجولة التي بداخل شخص آخر، بطريقة تجعلها تتوهج في حياته. ظهر انفصاله الشديد عن حب أبيه ولمساته الحانية والتواصل معه، في صورة احتياج قهري لأن يتواصل مع آخرين، وقاده شعوره بالذنب بسبب هذا إلى الاعتقاد بأنه شاذ جنسيًا! الأمر الذي جعله إعتاد على نمط الحياة، ونمط الحياة لا يشفي حرمانه، ولا يعالج ما يعانيه مِن نقص، وسيكون الأمر صعبًا ليعوّض ذلك في السنوات التالية! ومع ذلك، نال هذا الشاب الشفاء، مثلما شفي الطبيب عندما دخل في علاقة مع الله الآب. فالله وحده هو الذي يستطيع أن يشفي الإنسان مِن مثل هذا الحرمان غير الطبيعي الذي اجتازت فيه نفس هذا الشاب... وهو وحده الذي جلب للطبيب ولذلك الشاب هذا الفرح الفائق والكمال الذي يختبرانه الآن.

لكي يدرك الرجال أنفسهم كرجال، يحتاجون إلى تلامس قوي، ولائقٍ مع غيرهم مِن الرجال، كما يقول الكتاب: "الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُحَدَّدُ، وَالإِنْسَانُ يُحَدِّدُ وَجْهَ صَاحِبِهِ" (أم ٢٧: ١٧). في كتاب سابق لي، كتبت هذه الكلمات:

> "لأن السماء والأرض مكتظتان بالمخلوقات الحية، وبالعديد مِن الأشياء الصلبة، فمن الرائع أن نعلم أن الرجل يصير كاملًا عندما يتواصل

مع الآخرين ويمد يد العون لهم، وبهذا يتمكن مِن معرفة ذاته عندما يعرف الآخرين، وعندما يتذوق — إن جاز التعبير — التنوع الكبير الذي يكون خارجًا عنه".

هذا مبدأ هام، وخاصة فيما يتعلق بالهوية الجنسية، فالرجولة التي بداخل المخلوق الذكري، تعرف وتدرك ذاتها عندما تتمكن مِن أن ترى وتلمس الحقيقة التي بداخل ذكر آخر. فبينما يكبر شاب في كنف أب كامل الرجولة، ويعمل على نقل هذا الرجولة إلى أبنه بيولوجيًا ونفسيًا، سيكون لدى الابن الفرصة لأن يتعايش مع رجولته ويندمج معها، وسيحصل على توجيهه الروحي والنفسي والبدني مِن الخارج، وبالتالي سيكون جادًا ومتعمقًا ومتاحًا لكل ما يتصل ويتشارك به مِن حقائق مهيبة خارجة عن ذاته.

٤

ما هي الذكورة؟

قال المدير: "نعم ، ليس هناك مفر ، فإذا كان هناك رفض بتولي للذَكَر، لكان سمح به، فمثل هذه النفوس يمكن أن تتجاوز الذَكَر، وتمضي قُدُمًا لتلتقي بشيء ما أبعد، فأكثر ذكورةٍ وأرفع منزلة، وله يقدمون خضوعًا أعمق... الذَكَر الذي استطعتِ الهروب منه، فلأنه يوجد فقط على المستوى البيولوجي. لكن الذكورة/ الرجولة لا يستطيع أحد الهرب منها ، هي أسمى من ذلك بكثير، فوق كل شيء، هي ذكورة من القوة بحيث نكون جميعًا إناثًا بالنسبة لها! فعليك أن تكون مراضيًا لخصمك سريعًا".

قالت جين: "أتعني أنه عليَّ أن أصير مسيحيًا؟"

قال المدير: " هذا ما قصدته تمامًا"

س . إس . لويس

"تلك القوة البشعة *That Hideous Strength*"

إن سعي الإنسان الحثيث في الحياة، كما يبدو ــــ بطريقة أو بأخرى ــــ أن يجد له أبًا ، ليس مجرد

الأب الجسدي، ولا الأب الذي فقده في شبابه، وإنما صورة الأب الذي يمثل القوة والحكمة التي تأتي من خارج لسداد احتياجه وإشباع جوعه، الصورة التي يمكن أن يتحد بها إيمانه وقوة حياته.

توماس وولف
"قصة رواية" في العملية الخلاقة: مجلة دورية

الطبيعة السامية للجنس

في أوائل هذا القرن وجد كارل سترن Karl Stern أنه من الضروري أن يُذكر قراءه، بأن الجنسانية (النشاط الجنسي)، شأنها شأن "كل حقيقة تجريبية، تحتوي على أبعادها الأخروية"[١]. ووجد سي. إس. لويس أيضًا أنه من الضروري أن يوضح أن الحديث عن الذكورة والأنوثة، ليس بالضرورة أن يكون حديثًا عن الخصائص الحيوية للرجل والمرأة. ولعل لويس قد أعاد هذه الحقيقة إلى أذهان قرائه بأكثر فاعلية في روايته "بيريلاندرا" و"تلك القوة البشعة". ونقرأ بعضًا من أفضل تأكيدات لويس على الموضوع، على لسان أحد شخصيات "رانسوم":

> إن نوعية الجنس gender في الحقيقة أكثر جوهرية من الجنس sex، فالجنس في الواقع، هو مجرد تكيف الحياة العضوية للتناقض الأساسي الذي ينقسم إليه كل الكائنات المخلوقة. فالجنس الأنثوي ببساطة أحد الأشياء التي لها نوع أدبي أنثوي؛ وهناك العديد من الآخرين والمذكر والمؤنث يقابلوننا على مخطط الواقع، لا يكون فيها الذكر والأنثى بذات معنى... إن الذكر والأنثى من المخلوقات العضوية، هما بالأحرى

انعكاسات باهتة للذكورة والأنوثة... وظائفهم المنتجة، وإختلافاتهم في الشكلِ والحجم تظهر جزئيًا، وتشوش جزئيًا أيضًا وتثل بشكل سيء، التناقض الحقيقي[٢].

إن التفكير في الطبيعة السامية للجنس هو إلهام جليل، لأن الجنسانية ونوع الجنس متأصلان في كينونة الله، أي أن الذكورة والأنوثة لهما جذور هما المتأصلة في الله ولهما أبعاد سامية مطلقة.

اللهُ كذكر وكأنثى

"ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ" ـــــإش ٢٦ : ٣

"تُلصق الصورة والإدراك معًا"[٣]. علّمنا الله من خلال الإعلان الكتابي، أن نراه ونعبده كالآب الذي يحبنا، ويشكلنا، ويسعى للشركة معنا "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ" (تث ٢٣: ٥). "فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ" (متى: ١١). "وَالآنَ يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُونَا. نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا وَكُلُّنَا عَمَلُ يَدَيْكَ" (إش٦٤: ٨). "أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ اللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ" (مز٦٨: ٥). "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ" (مت٦: ٩). فكلا العهدين القديم والجديد، يقدمان لنا الله كالآب.

لكن من خلال لغة المجازية، نرى الله أيضًا يحبنا كأم "كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا.." (إش٦٦: ١٣). "يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ ا لدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا" (لو١٣: ٣٤).

بعد أن انهيت معظم هذا الفصل، وكان مُعداً للطبع، وضع العديد من شركائي في الصلاة أياديهم عليَّ، وصلوا كي أجد الكلمات والصور الإضافية التي تلزمني لكي أتحدث بأكثر وضوح عن الطبيعة السامية للجنس. إن الطبيعة السامية لأي شيء في عصرنا المادي، ليست مادة سهلة للكتابة عنها، سيما الجنس. وحيث أن هذا الفصل سيكون مخصصًا للطبيعة السامية للذكورة، لطلبنا معونة خاصة لعمله. وحين حوَّلنا عيون قلوبنا للآب طلبًا لإرشاده، كان هو على استعداد لأن يمدنا بصورة أو رؤية (بينما نحن منفتحون لاستقبالها) في شكل انطباع، أو فكر، أو كلمة. وفي الحال تلقت إحدانا رؤيا، وكانت شريكتي في الصلاة، فقالت: "إن الرؤيا عن الله كأم حامل بشكل مُبدع، وعلى وشك الولادة. وواضح أن هذه الرؤيا كانت مرتبطة بصلاة المجموعة، كان الإبداع داخل رحم الكائن في الرؤيا مكهربًا بالطاقة، وعلى وشك أن يندفع إلى الأمام ليؤثر بكل جلاء على المشهد الكوني لصنعة يدي الله. إنها "الأم" في الله ـــ أمومة قطيعِهِ ـــ مستعدًا أن ينفخ علينا كما في بدء الخليقة". كانت هذه صورة أنثوية، الأمر الذي أدهش شريكتي في الصلاة! وبسرعة قادتنا في صلاة طلبًا للبصيرة وحُسن التمييز. ومع التطلع إلى الله كالآب، لكنها رأته كالأم.

بالتأكيد كانت هذه الرؤيا من الله ، الذي كان يتحدث إلينا بكل قوة عن نفسه، الإله المُذخر فيه كل الخير الحقيقي، الأنوثة بالإضافة إلى الذكورة. فكرت في صورة المسيح التي كنت قد رأيتها منذ أيام قليلة حين كنت متعبة ومتضايقة، فتفرست فيه أثناء الصلاة، إذ كنت قد واجهت شرًا مستطيرًا حين كنت منهمكة في تحرير عدد من الأشخاص قيدتهم الشياطين بصورة مؤسفة، من خلال أعمال السحر والشعوذة! لقد خارت

قوتي الروحية تمامًا، وكنت بحاجة ماسة إلى لمسة الله المجددة. وحين تطلعت إلى يسوع طالبة تجديد قوتي، "أبصرت" بعيني قلبي صدر يسوع وكتفه الرجولي القوي، عارٍ ومكشوف ومشمّر ومفعم بالحيوية والقوة تمامًا كما كان حين أطال التفكير في أورشليم وقال: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُوراً مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ" (مت٢٣: ٢٧). وحين صليت، ظلت صورة يسوع وكتفه الرجولي ماثلة أمامي، فأتكأت برأسي على صدره، وتشددت وانتعشت كما بواسطة أم.. كنت وكأني صبي صغير أحتمي بين ذراعي المسيح، الله الابن، الذي يقوم بدور الأم والمعزي والشافي.

نرى في هذين المثالين ملائمة هاتين الصورتين لله، صورة كلٍ من الذكورة والأنوثة، لأن الذكورة المطلقة والأنوثة المطلقة متأصلتان في الله. الله حق، وهو الذي يحمل في داخله كل ما هو حقيقي، ومن رحم غير المخلوق، وُلدت كل الخليقة. فهو القدير الفائق الذكورة، حتى أننا جميعًا رجالاً أو نساء، نكون إناثًا في مقابله. وباعتبار أن الله يُدَّخر كل الخير الحقيقي داخل نفسه، فالصور التي لنا عنه تحتوي على الذكورة والأنوثة على حد سواء.

إن الذات الحقيقية أو العُليا في كل منا، هي الذات الجوهرية التي في اتحاد مع الله، وبالتالي تشترك في غناه. إن هذه النفس بالنسبة لله (سواء كانت نفس الرجل أو نفس المرأة) تُفهم على أنها أنثى كما أشار لويس: "ما هو أسمى ووراء كل الأشياء ذكورة قوية جدًا حتى أننا جميعًا إناث بالنسبة لها". "إن التعامل مع الذكر والأنثى، لا يكون على أنهما حقائق طبيعية مجردة، وإنما كظلال حية ومهيبة لحقائق خارج نطاق تحكمنا

بطريقة قاطعة، وخارج نطاق اتجاهاتنا ومعرفتنا بدرجة كبيرة، أو بالأحرى إننا لا نتعامل معها ولكنها (كما سنتعلم حالاً) هي التي تتعامل معنا"[٤].

إن تناقض الجنسين، على سبيل المثال، واتحادهما في الزواج، يتوافقان ويتشابهان مع اتحاد الله بالإنسان. ويُعبِّر لويس عن ذلك بهذه الطريقة: "إن واحدًا من الغايات التي لأجلها خُلق الجنس، هو أن يقدم لنا رمزًا للأمور المستترة في الله، وأحد وظائف الزواج البشري، هو أن يُعبِّر عن طبيعة الاتحاد بين المسيح والكنيسة"[٥] وباعتبار أننا في علاقتنا بالله، نكون نحن المستقبلين، والله هو الملقن، فإن هيمنة صورة الله كمُذكر، صورة دقيقة بشكل رمزي.

على مستوى الطبيعة كذكور وإناث بتركيب بيولوجي، فإننا نمثل ثنائية الذكورة والأنوثة الكونية العظمى، إننا كينونة قطبية جوهرية في اتجاه يساعد على جعل الاهتياج العظيم ممكنًا في كل الأشياء المخلوقة:

> في ممارسة الحب، إننا لسنا مجرد أنفسنا، إننا نكون أيضًا ممثلين، فهنا لا يوجد جدوب بل ثراء، لندرك أن قوى أكبر وذاتية أقل تعمل خلالنا، ففينا كل ذكورة العالم وأنوثته، كل ما هو مهاجم ومغير، وكل ما هو حساس ومستجيب، إنما هي أحداث متكررة بشكل خاطف. فالرجل يلعب دور السماء كأب، والمرأة دور الأرض كأم، هو يلعب دور الشكل والصيغة، وهي تلعب دور المادة[٦].

على مستوى آخر، يتماثل تناقض الجنسين مع تناقض الوسائل البشرية للمعرفة، ففي الذَكر العلة المنطقية، وفي الأنثى العقل الحدسي. فالشكل والصيغة (قوة

الذكاء التحليلي الذكوري يتقدم ويعطي المادة شكلها المقصود) في اتحاد مع المادة (العقل البديهي الأنثوي المشحون بالمعاني) ليس فقط ليَهَبْ ويمنح، بل أيضًا ليحافظ على الصالح من التفسير والمعرفة.

لقد انفصل الشكل عن المادة، انفصل العقل الذَكَري عن العقل الأنثوي في سُبُل تحصيل المعرفة .. يجب أن تشمل طرق المعرفة على البديهية أو المعرفة المباشرة، تلك التي تتم بالتجربة، أو المعرفة العلمية، المعرفة الوحيدة التي للإنسان المعاصر لكل المعارف ذات الأهداف العملية(٢). إنها أيضًا تعكس حُسن التفسير، ولكن بسبب الإنفصال بين عقلي الذكر والأنثى، اغتصبت عقلانية مادية ومنحرفة مكان التفسير الذي يوازن ويوفق بين البديهية والتحليلية. إن الرجال في كل مكان منفصلون عن قلوبهم، الجانب الأنثوي داخلهم وداخل نظائرهم الأنثوي، ولذلك فهم غير قادرين على التلامس مع سر الكينونة.

ولأن الشكل منفصل عن المادة في طرق المعرفة، انفصل العقل الذكري العلمي عن العقل الأنثوي البديهي، فيرى الإنسان نفسه بطريقة أولية على أنه مخلوق بيولوجي، ويكوِّن لنفسه صورة بيولوجية وكيميائية حتى عن عقله ذاته، وهذا لا يترك مجالاً للسِّرية أو للهلع والرعب والاتضاع في المشهد للتلامس مع الأبعاد السامية لذكورة الفرد وأنوثته وحقيقته وذاته العليا في الله.

هذا ما كتبه ريتشارد، بعد أن طهَّره الله وشفاه: "لقد عرفت إنسانيتي وإنسانيتي عرفتني". كانت إنسانية ريتشارد ذات منزلة رفيعة، وبدأ يختبر ذلك بمعرفة الله حين تلامس مع النفس الذكرية وقبلها، ولم تكن هذه حقيقة يمكنه قبولها من خلال طرق المعرفة الذكرية

أي من خلال المنظور المنطقي أو الدراسة عنه. ولا يمكنه أبدًا أن يتلامس مع الحق السامي من خلال وسائل الإدراك العلمي، فلا يمكننا أن نجد مثل هذا الحق في أنبوب اختبار، أو خلال مناقشة مثل هذه القضايا في قاعة المحاضرات الجامعية أو المنتديات التي تطالب بالمساواة بين الجنسين، أو ساحات المحاكم، أو حتى في الساحات الكنسية. والذكورة ـــ بالإضافة إلى كل ما يشارك في الحقيقة غير المرئية ـــ فإنه أيضًا يجب تذوقها وإدراكها ومعرفتها ككل معرفتنا للحقائق الروحية بواسطة اختبار القلب، أساوب القلب للمعرفة، وهذا يمكن أن يسمى الخيال الحقيقي ـــ قدرة القلب على أن يعرف بالحدس، الحقائق غير المرئية، وحتى أن يحمل بها كما في حمل امرأة بطفل.

هناك فارق بين اختبار حقيقية ما، بالمقارنة مع الدراسة عنها. فمثلاً؛ لا يمكن للمرء أن يقبل قبله المحبة ويحللها في نفس الوقت، وإلا استلزم الأمر نوعان من المعرفة، معرفة القلب ومعرفة الذهن. فأن نتورط في محاولة تحليل اختبار أثناء ممارسته يدمر هذا الاختبار، يقسم ويكسر أسلوب القلب في المعرفة. إن عمل هذا كعادة، يقود إلى ما يمكن أن أسميه "مرض الاستبطان"، تلك الحالة المعاصرة لسيطرة بغيضة يفقد بها الشخص القدرة على أن يكون أو يختبر الحياة والحب مباشرة، مثل هذا الشخص يقال عنه بالحق "إنه يسير بجوار ذاته" وهو يحلل ويدمر اختبارات الحياة بقصر ها على أفكار تجريدية. مرة أخرى، هذه النتيجة المؤسفة لتدمير العقل البديهي الأنثوي، إنه تدمير أحد عقلينا وسيؤدي بنا إلى خسارة الخير الذي في العقل الآخر[٨].

فالذكورة إذًا منزلة رفيعة تُختبر وتُذاق، وهي تنتقل من الأب إلى الابن، وأيضًا من الأب إلى البنت، فيجب أن يتم الإحتفال بها لأنها تمثل سهامًا من الفرح خلال المجاز والرمز، خلال المراسم والطقوس. لاحظ في بيت الشِعر التالي لوليم بلاك، قوة المجاز والرمز المرتبط بالذكورة السامية:

احضر لي قوس من ذهب متوهج.

احضر لي سهام رغبتي.

احضر لي حربتي يا حب غير محتجب.

احضر لي مركبتي النارية.

تنحدر إلينا الذكورة أساسًا عن طريق الحي، طريق الإعلان والتجسد الإلهي. فالذكورة هي صفة الله، لأنها كامنة فيه، وبالتالي يمكننا كمؤمنين أن نتلامس معها، إذ نثبت في الله. ويمكننا أن نختبر رجولة الله في الصلاة وكل ما يجلب الحياة فينا، ولهذا يمكن أن تكون صلاة الشفاء فعالة بطريقة مذهلة حتى في أسوأ الحالات، كما في حالة ريتشارد. حقًا؛ لا توجد حالة صعبة أمام إلهنا. لكننا نعيش في زمن أنكر الناس فيه الحق السامي، ولقد ضيعنا رأس مالنا نتاج الحكمة المختلطة من الوثنية والعالم المسيحي على حدٍ سواء، ولهذا السبب لا نعرف نحن المعاصرون إلا القليل جدًا عن الذكورة (أو الأنوثة). والحق يُقال، "إنه لا توجد البيئة الملائمة في العالم لأناس لن يكونوا إما وثنيين أو مسيحيين"[٩]، أو للمعاصرين المسلوبين القوة الذين فشلوا في فهم ما وراء الطبيعة.

حين يُنكر ما وراء الطبيعة :

تُرى هل ذهب ريتشارد إلى أعظم المشيرين في عصرنا؟ إن الاحتمالات كبيرة جدًا على أنه تم

تشخيص حالته، بأنه كان شاذًا جنسيا، وقيل له شيء ما، يشابه العبارة التي تسلمتها في البريد الالكتروني اليوم (تقريبًا كانت من خدمة الرسائل الإخبارية الجامعية لإيبارشية كاثوليكية كبيرة).

يعتقد العديد من المتخصصين بأن الشذوذ الجنسي هو أمر وراثي، أو لعله طفرة.

إن النظرية وراء هذا القول، تشابه نظرية فرويد، إلى المدى الذي فيه يعرف مؤلفها مثل فرويد "رابطة واحدة فقط بين الصورة وما ورائها، وهي الآلية الوراثية(١٠). كان على فرويد أن يقصر الأعراض على أساسها البيولوجي كما أشار كارل ستيرن(١١). ولكن لماذا تكون هذه هي حالة كاتب يمثل الكنيسة؟ إن العبارة التي جاءت في الرسائل الإخبارية، لم تُصاحب بوجهة نظر سيكولوجبة واحدة (لفرويد أو أي شخص آخر) في هذا الموضوع، بل إنها لا تحتوي على أبسط التلميحات لوجهة النظر التجسدية للإنسان وللحياة التي تُبنى عليها الكنيسة. إن ما يحاول الكاتب فعلاً هو أن يمهد الطريق لإعادة ترجمة كل النصوص الكتابية في موضوع الشذوذ الجنسي باقتباس شخص محترف قال بسذاجة، إننا (بالإضافة إلى كل مفكري العصور القديمة والوسطى) قد أسأنا فهم أقوال الكتاب المقدس.

ردًا على هذا التعديل الغبي، تقول اليزابيث إيليوت، إننا نعيش بصدق في زمن خطير: "إنه لخطير ومدمر أن تتعامل مع الجنس كما لو كان بلا معنى، إن الكثير من الكنائس التي تأثرت بدرجة كبيرة بالأيديولوجيات (المذاهب) العالمية، تتجاهل حقيقة أن الجنس له معنى"(١٢).

أصبح للجنس معنى، عند ريتشارد كفرد، وله أبعاد روحية ونفسية، بالإضافة إلى البُعد الجسدي، وكما

رأينا له أبعاد كونية، وذلك سيصنع كل الإختلاف إذا تعاون كلية مع روح الله في ملاء متة الخاصة ودعوته الخاصة. أما لو ظل خاضعًا للحكمة الحالية، كان دوره في الحياة مبتورًا، وقد شق نفقًا هابطًا إلى جهنم في دوامة عصرنا الحاضر النرجسية، ولن يدخل إلى الإهتياج العظيم لعلاقات الحب، ولن يحقق أبدًا مهمته في الحياة.

الذكورة والذات الحقيقية

كان ريتشارد شخصًا رغب في الحق، واشتاق أن يعمل ما هو حق، وأن يكون في الحق... اشتياق أن يتشارك في المعنى الأسمى للحياة، وأن يكون مسيحيًا في الفكر والكلام والعمل، ولكنه كان منفصلاً عن ذكوريته، ومعها قوة نفسه الحقيقية ليمضي قدمًا ويمارس وظيفته كمخلوق على صورة الله. لكنه كان صورة مكسورة في حاجة إلى إصلاح.. ولأنه فشل لأي لإدراك هويته الذكورية، اتسع الفراغ المروع في مركز كينونته، وكان مهددًا بابتلاع الذات الحقيقية المصارعة والمخمورة، وريتشارد الحقيقي معًا.

إن قدرة الرجال على محبة أسرهم وامتلاك هويتهم الذكورية على المستوى الطبيعي هي القنوات التي رسمها الله لنقل الرجولة إلى الرجال، وبهذه الطريقة استطاع المثل الشعبي "الرجل لن يكون أبدًا رجلاً حتى يخبره أبوه بأنه رجل" أن ينتزع هذه الرؤية النفسية الهامة.

يجب على كل ولد وبنت أن يفصل هويته عن هوية أمه، فنحن مولودون غير مدركين بأننا منفصلون عن أمهاتنا، حتى نكتشف هذا ببطء ونبدأ العمل الشاق لفصل هويتنا الشخصية والجنسية عنها. ويشير علماء

النفس إلى تطورات النمو من الطفولة إلى النضوج، والتي تشتمل على الكثير من خطوات التطور النفسي، فهناك التطورات العادية والمعتادة والتي إذا فقدنا أيًا منها تحدث مشكلة .

تأتي خطوة قبول الذات بطريقة نموذجية بعد البلوغ مباشرة، فسن البلوغ/ المراهقة هي المرحلة النرجسية بالنسبة لجميعنا، والتي نكون فيها مهتمين ومدركين لذواتنا بدرجة زائدة (بأجسادنا بصفة خاصة). وسواء كنا مقبولين أو غير مقبولين من الآخرين ومن ذواتنا، فإذا استمر هذا السلوك، فإنه سيُترجم إلى نوع خاص من حب الذات. ولكن لكي نصل إلى شخصية سوية تمامًا، يجب علينا أن ننتقل من مرحلة التمركز حول الذات هذه، إلى مرحلة قبول الذات، وهذه الأخيرة، مرحلة تامة ومأمونة بشكل معقول. فكل مَنْ لا يقبل ذاته (يجب ذاته بطريقة صحيحة) يتحول بالضرورة إلى داخل ذاته، فلكي أتحرر وأتحول إلى الخارج وأحب الآخرين، يجب أن أقبل ذاتي.

إن قبولنا لذواتنا من عدمه، يعتمد على التأكد الذي يصدر إلينا من صوت الذكورة. فلا يمكنني كامرأة أن أجزم بالهوية الجنسية لابني أو لأبنتي، لكنه الصوت الذَكري الذي ينتبهون إليه، لأنهم كأبناء رحمي منفصلون في هويتهم عني. بالطبع، تكون الروابط مع الأب قبل هذا الوقت الحاسم هامة، ومع ذلك فهُم جميعهم متساوون في الأهمية. فإذا كان من الضروري أن يصرف الأب نظر أبنائه عن أمهم، فلكي يُمكنهم أن يفصلوا هوياتهم الجنسية والشخصية عن هوية أمهم الجنسية والشخصية عن هوية أمهم الجنسية وشخصيتها، وهذا صحيح أيضًا بالنسبة للابنة ولو بشكل جزئي فيما يختص بالهوية الجنسية، فهي بعد كل هذا ليست سوى أم.

تذكر د. اليزابيث موبرلي، مؤلفة كتاب "النشوء النفسي واشتهاء المثل: أخلاق مسيحية جديدة *Psychogenesis and Homosexuality: A New Christian Ethic*"، الآتي:

> أعتقد أن العلاقة مع الأب حاسمة فيما يختص بالهوية الجنسية للولد ـــ لكنها ثانوية فقط بالنسبة للبنت التي بالنسبة لها، علاقة الأم بالبنت في الأصل علاقة جوهرية (لقد ناقشت ذلك في النشوء النفسي). لقد اختبرت المرأة المساحقة استقلالاً دفاعيًا فيما يرتبط بالأم، وبمجرد حدوث هذا، لا يكون الأب قادرًا على دعم وتعزيز أنوثة بنته بشكل تام، لأنه لم تعُد عملية تحديد هوية الأنثى جارية (من خلال الإرتباط بالأم) حتى يمكن دعمها وتعزيزها، والحل هنا هو إعادة حل التناقض الأولي تجاه الأم والإناث الأخريات، وسد الاحتياجات الشرعية الناشئة لحب أنثوي غير جنسي[١٢].

لكن كلا الجنسين ينتبهان للصوت الذَكَري وقت البلوغ، سواء خرجا من مرحلة النرجسية وقبلا ذواتهما أم لا، وذلك يعتمد على التأكيد الذي يصدر من الذكورة.

حين لا تستقر يدُ الحب والتأكيد القوية للأب على كتف ابنه أو ابنته، تكون النتائج مأساوية، خاصة في هذه الأيام للأسرة النووية الضعيفة. إن البدائل الأبوية الفعالة بالحق نادرة ، فالجد والأعمام أو الخلان ونماذج الدور الذَكَري الأخرى تكون أكثر بُعدًا عن الآباء. لم يؤكد ريتشارد أبدًا كرجل بواسطة أبيه، بل كان في الواقع من نتيجة العلاقات المعقدة بين أبيه وأمه، إنه لم يتم تأكيد كل أبعاد ذكوريته، وبالتالي كانت مفقودة بالنسبة له! على أن هذه الخسارة والألم الداخلي الذي

وصفه كخلل داخل ذاته، قد تعمق ليُحدث شرخًا كان يزداد اتساعًا بشكل ثابت تحت ضغوط الحياة.

الذكورة وإرادة الإنسان

يتعلم أولئك الذين يخدمون بقوة الروح القدس، في صلاة الشفاء، أن يتخلوا على التو عن طرُق الصلاة غير الفعالة، فطرُق الروح القدس وأساليبه، مباشرة وقوية، وأحيانًا تكون التوجيهات التي نحصل عليها، ليست ما كنا نتوقعه، والذين يُصغون منا لمثل هذه التوجيهات يعرفون أننا عُرضة للخطأ تمامًا، وأن التوجيهات التي نحصل عليها يجب أن يُحكم عليها من ثمر هذه الصلاة تمامًا كما يتم الحُكم أيضًا على النبوات أو الوعظ أو التعاليم. منذ عدة سنوات كنت مدفوعة بقوة لأصلي من أجل تحرير وتقوية عنصر الذكورة داخل رجل أو امرأة حين كانت الإرادة ضعيفة أو مقيتة أو سلبية، وقد أقنعني الثمر المتكاثر الناتج من قبل هذه الصلاة، أن الإرادة هي جزء ذكوري في كينونتنا.

بدون شك إن للذكورة والذات الحقيقية، ارتباط خاص مع إرادة الإنسان. وقد كتب أزوالد شامبرز: "إن أعمق ما في الإنسان، إرادته. فالإرادة هي العنصر الأساسي في خلق الله للإنسان"[١٤]. فالإرادة هي العنصر الذي به يختار الإنسان أن يكون أو لا يكون، فبالارادة نختار سماء الملائم للتحقيق، أو جحيم الفشل في التحقيق.

في كتابه الشهير "رسائل خربل* *The Screwtape Letters*"، يكتب س. إس. لويس "من وجهة نظر الجحيم. خربر شيطان كبير يكتب توجيهات وتعليمات إلى "ورموود" المجرِّب الصغير الذي ينوي افتراس

* صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب عن دار نشر أوفير، عمان، الأردن، ٢٠٠٧.

مؤمن متجدد حديثًا:

> فكِّر في الإنسان الذي تُجرِّبه على أنه سلسلة من الدوائر متحدة المركز، وإرادته هي الدائرة الداخلية، يأتي بعدها عقله، وأخيرًا خياله .. في الغالب لا يمكنك أن تأمل في الحال أن تستبعد من كل الدوائر، كل سيء له رائحة العداوة، لكن يجب عليك أن تداوم على دفع كل الفضائل خارجًا حتى يتم وضعهم أخيرًا في دائرة الخيال، ودفع كل القيم المرغوبة إلى الداخل في الإرادة، وما أن يصلوا إلى الإرادة، إلا ويتجسدوا إلى عادات تصبح معها الفضائل مميتة بالنسبة لنا (بالطبع أنا لا أقصد ما يرتكبه المريض من أخطاء في حق الإرادة، أو قلق اتخاذ القرارات، والأسنان المطبقة غيظًا، وإنما أقصد المركز الحقيقي وهو ما يسميه العدو، القلب)[١٥].

وفي خطاب آخر، يجد خربر أنه من الضروري أن يتوسع في هذا الموضوع المتعلق بالإرادة البشرية، ومركزية اختيار طاعة الله، بالرغم من كل المشاعر والظروف:

> إنه يريدهم أن يتعلموا السير، ولذا لابد أن يمسكوا بيده، وإذا كانت إرادة السير صادقة، فإنه يسير بهم حتى لو تعثروا.. لا تنخدع يا ورموود، إن قضيتنا ليست في خطر أكثر من أن يكون الإنسان ليس راغبًا بل يظل مصممًا على طاعة إرادتنا المعادية، وينظر إلى كون يبدو أنه قد اختفي منه كل أثر له، ويتساءل لماذا قد رُفض، ويظل يطيع[١٦].

سيكون من الصعب أن نعطي أهمية كبرى على المكان المحدد لإرادة الإنسان، لأنها تقع كما يقول

سي. إس. لويس على نفس حدود المكان الذي يلتقي فيه الإنسان بالله، "في نقطة خفية من الإتصال والإنفصال حيث الكائن المطلق ينطبق في الكائن المشتق"[١٧]. وهنا إمَّا أن يريد الإنسان أن يرتبط بخالقه أو أن يتحول إلى حب الذات فحسب، ويريد الإنفصال.

كنتيجة للسقوط، انقسمت شخصية الإنسان بداخله، ويلتزم أن تكون واحدة قبل أن يتمكن من معرفة مَنْ هو. ولقد رأى لويس بصدق أنه مهما كانت هناك عوامل أخرى، ففي النهاية فإن إرادتنا البشرية هي التي تقرر إذا كانت قد توحدت شخصيتنا أم لا، ويُعتبَر عن وجهة نظره هذه من نفس المسيح، "فنفس المسيح البشرية كانت متحدة بالله فيه، مما جعل الشخصية واحدة، أعنى الإرادة"[١٨] إن الإرادة البشرية مرتبطة بالعقل الواعي للإنسان، والذي يميزه بكل جلاء عن بقية الطبيعة. إنه الوعي الذي يُخوِّل للإنسان الاختيار أن يطيع أو لا يطيع، وحين يكون الإنسان مطيعًا، حين يريد أن يوحد ذاته مع الله، يجد نفسه شخصًا واحدًا، شخصًا تُغيِّره اختياراته دائمًا من التركيز المفرط على كينونته، إلى ذلك الشخص الكامل الذي سيكونه.

إن إرادة هذه الشخص تكون حرة بطريقة سامية، ويمكن أن تسمى الإرادة الخلاقة، لأنه بالمقارنة مع الإرادة الذاتية أو المتمركزة حول الذات، فإنها تطلب أن تتفاعل مع كل ما هو كائن، مثل هذه الإرادة تكون نابضة بالحياة ونشطة، ويمكن أن تُسمى الإرادة اللذكورية، باعتبارها متشربة بنفس قوة الله وذكوريته. إننا بهذه الإرادة النشطة، نختار بكامل المسئولية وبطرق حاسمة وحين يقاطع رجل أو امرأة الذكورية الداخلية، تكون قدرة الفرد على اختيار القداسة والسماء في خطر، وسيكون ذلك الرجل أو تلك المرأة في حاجة إلى الصلاة لأجل الشفاء وتحرير الإرادة

لتكون في كامل قوتها.

حين نريد أن نكون في المسيح، فإن شتات نفوسنا المتناثرة وغير المثبّتة والتي عنها تغربنا، يجمعها معًا. وكما أن الإنسان يجد ذاته الحقيقية فقط في الشركة والاتحاد بالمسيح، كذلك سوف يجد ذكوريته الحقيقية. قد تتساءل ماذا يفعل المرء حين تخمد وتضمر إرادته ومعها ذكوريته! يأتي بنا هذا إلى الحق المسيحي الفريد: كل ما هو حقيقي يكون متجسدًا. يمكن أن تنسكب فينا أو تنحدر إلينا الإرادة الإلهية والذكورة الأزلية، وتُشع من خلالنا محققة ومكملة قدراتنا الذاتية الطبيعية. وكما أن بر آخر يكون برنا، هكذا تكون إرادة آخر إرادتنا. صلى القديس أوغسطينوس—وهو يدرك تمامًا هذا التجسد—بهذه الطريقة:

"لتأمر يا رب بما تريد، ولتُرد ما تأمر به". أدرك أن ما يريده الله، سيحققه فينا ومن خلالنا، وعلينا ببساطة أن نجعل إرادتنا الضعيفة وغير المرضية، واحدة مع إرادته.

إننا بالفعل في الإرادة العليا، أي أننا في الله وهو فينا. عرف هذا دانتي أعظم الشعراء في كل العصور، وعبَّر عنه في قوله : "إننا ذوي إرادة داخلية وإلوهية داخلية". إن الإرادة هي القدرة على أن تطيع، والقدرة على أن تعرف الحق وتحياه وتشهد عنه.. وهذه كلها في المسيح، في إلهنا. ولذا؛ حين نصلي لأجل شفاء شخص، فإننا دائمًا نطلب حضور الله أولاً، ونكون في هذا الحضور المتقدم، بمثابة المادة المحفزة والقناة التي ينبعث من خلالها نور الله. إننا نصلي: "أرسل يا رب نورك وحقك، وتعامل مع عبدك الضعيف واشفه وكمّله".. ومع ذلك، فحين تضعف إرادة النفس، وتتطلع إليه بقلب منفتح للقبول، فإنها تأخذ

من مخزنه ما تحتاج إليه، وهو بدوره سيتعامل مع الإرادة الإنسانية الضعيفة ويضمها مع إرادته ويتم عمل الشفاء والتقوية.

كنت أتأمل هذا الصباح، في مهابة الذكورة الحقيقية، وحقيقة كونها صفة لله، فكتبت الصلاة التالية في مذكرتي:

"أرسل لي يا رب حكمتك بشأن الذكورة وارتباطها بالإرادة والسلطان. أيها الآب القدوس، أنت كلي الحق والبر، كلي القدرة والحكمة والعدل وفائق الذكورة، ونحن إناث بالنسبة لك.. عرِّفني بطريقة أكثر قربًا، ما هي ذكوريتك".

وهذه هي الكلمات التي أتت توًّ، وبوضوح كبير إلى قلبي:

"إن الذكورة هي القدرة على عمل الصلاح، وإنني كلي الصلاح، وأيضًا كلي القدرة.. إن قدرتي على ما هو صالح وما هو مقدس وما هو بار هي ذكوريتي.. أما الذكورة المنحرفة على المستوى الأرضي، فهي القدرة على أن نعمل بشكل أناني لخدمة المصلحة الذاتية والنفعية. حين قال يسوع: "قد دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض"، نرى الذكورة في بُعدها المطلق، ستجثو كل ركبة أمام هذا السلطان والقدرة المطلقة".

إننا نحفظ هذه الكلمات ونخبئها في قلوبنا ـــ نظير العذراء مريم ـــ وننتظر تأكيدها .. ومع أننا نؤمن بها ولا نشك فيها بالمرة، إلا أننا ندرك بأننا نعرف بعض المعرفة، وننظر كما في مرآة تعكس لغزًا محيرًا، كما يقول الرسول بولس، غير أن هناك شيئًا واحدًا أكيدًا وهو إذ تتلامس مع ذكورة الفرد على المستوى الأعلى، تتقوى بالحق ذاته، وتكون قادرًا على تبني

موقفه (أيًا كانت الظروف) ضد الكذب والخداع في حياة الفرد وبيئته، وكذلك في المجتمع الذي يشارك فيه.

الذكورة والحق

حين يكون عدد ليس بقليل، خارج التلامس مع الذكورة، يضعف المجتمع بأكمله على كل مستويات الوجود. قدم لنا الكسندر سولز هينيتزن فكرة جيدة عن كيف يمكن للمجتمع الغربي الذي تتفشى فيه هذه المشكلة، أن يدرك بواسطة شخص له رؤية حديثة، فيقول عن الغرب، إننا "أضعف جدًا عن مقاومة الشر الشيوعي الذي يهزم ويتحدى تفكيرنا العقلاني" وهذا ما لدينا:

> لتندفع نفوسنا داخل الخندق الذي حفرته لنا الشيوعية بسبب ضعفنا الروحي .. يبدو أن المجتمع الغربي اليوم، مستهلك أكثر فأكثر ومتجنب العمل، شغوف باللذة، تدمر عائلاته نفسها، مبتلي بالإدمان والمخدرات، ينكر وجود الله، مقعد بالإرهاب، استنفذ طاقته الحيوية وفقد صحته الروحية، ولا يمكن أن يظل على قيد الحياة في وضعه الراهن[١٩].

" كلمة حق واحدة تفوق العالم"—هكذا قال سولز هينيتزن في كتابه الشهير "كلمات سامية". لا يمكننا ونحن في براثن هذه الأزمة أن نسمع أو نتكلم الحق بفاعلية. وردًا على كُتّاب أشاروا إلى الشيوعية كأيديولوجية في طريقها إلى الموت، قال سولز هينتيزن:

> قبل أن تنهار الشيوعية، سيكون لديها الوقت الكافي لتدمير وهزيمة كل الغرب وتسري في

دمه.. إن الفكر الشيوعي هو القوة الميتافيزيقية التي تسير في اتجاه يعارض للطبيعة.. إنها تعمل دون اعتبار للقوانين الطبيعية والإقتصادية والاجتماعية، وبدلاً من هلاكها المفروض، فإنها تمضي قدمًا غالبة منتصرة، وذلك بسبب ضعف الغرب.

ما كان لسولز هينتينزن أن يستنفذ طاقته ليكتب ويقول هذه الكلمات ما لم يكن لديه أمل أن هناك رجالاً سيقفون ويتقوون ويتشددون بالله، والذين سوف يدخلون المعركة ويغلبون القوة الميتافيزيقية (الإلحاد الشيطاني تحت أي مُسمى) التي ترغب فوق كل شيء أن تحرم الإنسان من التفوق والسمو بنفي الآخر.

إن أزمة الذكورة، هي دائمًا أزمة في الحق، إنها أزمة ضَعف الفضائل الأنثوية.. الخير والجمال والعدل في الحضارة أو في الفرد.. ولن تتدهور حضارة إذا توافرت رجولة صحيحة متزنة.. فإذا هوت أمة أو حضارة غربية بجملتها، فبسبب الرجولة التي هوت وانحدرت أولاً.

٥

تناقض الجنسين وتكاملهما

على الصعيد الروحي، ينبغي أن يكون هناك رجل بداخل كل امرأة وامرأة بداخل كل رجل، فكم يكون بغيضًا مَن لا يتوافر لديه هذا الأمر، فيقولون، فأنا لا أطيق "رجولة الرجل" و"أنوثة المرأة".

سي إس لويس

رسائل إلى السيد بنيلوب *Letter to Sr. Penelope*

تُفهم الذكورة والأنوثة فقط مِن العلاقة المتبادلة بينهما، فهما خاصيتان متناقضتان ومكملتان إحداهما للأخرى، وهذا ما قاله صديقي الشاعر والروائي، روبيرت سيجل، ويُواصل كلامه مستخدمًا أساليب الشاعر صاحب الفضيلة والرؤية الصافية ويقول، أنهما مثل الظلمة والنور، فمِن الصعب أن تَدرِك الظلام إلا في وجود النور، وكذلك مِن الصعب أن تدرك النور إلا في وجود ظلام، فهما طرفان متناقضان في سلسلة متصلة.

طبيعتان: تناقض في اتحاد

قال الله، " نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"
— التكوين ١:٢٦

تنشأ الوحدة مِن التناقض، ومِن أقوى التعبيرات على هذا الأمر، فكرة أن الإنسان في أصله وفي وجهته النهائية خنثوي [ذكر وأنثى في ذات الوقت]. نجد أشهر التوضيحات على هذه الفكرة في سِفر التكوين؛ حيث خلق الله الإنسان "ذكرًا وأنثى" على صورته — وذلك قبل انفصال حواء عن جسد آدم. يدل هذا، طبقًا للتقليد المسيحي، على الطبيعة الخنثوية لله نفسه — وهذا يعني هذا، مرة أخرى، أن التناقض في اتحاد هو تعبير عن اكتمال الكيان[1].

لابد أن نتذكر أيضًا أنه يوجد خنوثة مزيفة، تدّعيها، بصفة خاصة، بعض الأنشطة الأنثوية واللوطية، فيدّعي أصحاب هذه الممارسات أنه لا يوجد اختلافات هامة بين الذكر والأنثى، وأن الحقائق البيولوجية والمجازية لا تفيد في شيء، وللأسف تقترب بعض النسوة المؤمنات مِن هذا الرأي، لكن تكون آراءهم مُضَللة وليست في تطابق مع الواقع.

إن الذكورة والأنوثة صفتان تتبعان الله، ونحن الذين خُلقنا على صورته بالطبع نكون ثنائيي، الجنس في أرواحنا ونفوسنا وفي كياننا المادي أيضًا. وخالقنا الذي يحمل كل هذا، حقيقي وصحيح في داخله، ويعكس كِلا مِن الذكورة والأنوثة، وكذلك نحن. فكلما كانت حياتنا قريبة مِن صورة الله، كلما عكست الجوانب الذكورية والأنثوية في توازنهما المناسب — أي في درجاتهم المختلفة وملائمتهم لشخصياتنا الجنسية كذكر وأنثى.

الكلمة العبرية للمرأة هي إِش شاة، ومِن الواضح أنها الكلمة التي استخدمها الكتاب المقدس واشتقها مِن المصطلح الدال على الرجل، آش، ورغم أن لكِلا الكلمتين تعليل، إلا أن هذه الكلمة تشير إلى حقيقة أن المرأة أيضًا إنسان—فهي إنسان والرحم الذي خرج منه الرجل، أو هي المرأة الإنسان. ولكي تحصل المرأة على اكتمالها، لا يستلزم الأمر فقط تأكيد أنوثتها، لكن أيضًا ينبغي أن يتم إدراك الجانب الذكوري الذي بداخلها ويتوازن مع الجوانب الأنثوية ويتقوى إذا لزم الأمر. يُشفي الرجل والمرأة بنفس الطريقة—أي برؤية الحقيقة غير المرئية بعيون قلوبهم [أو بالخيال]، وأيضًا بالاستماع لله وفعل ما يقوله.

المرأة التي تجلس عند قدمي المسيح وتتعبد، مثل مريم التي مِن بيت عنيا، التي تعلمت أن تطيع [أول كل شيء] ما تسمعه مِن المسيح، مثل هذه المرأة، ليس فقط تجد تأكيد شخصيتها الأنثوية في كل أبعادها الرائعة، لكن أيضًا ستبدأ في التواصل مع القوة الذكورية اللازمة التي بداخلها. تقول اليزابيث اليوت، تماشيًا مع أفضل صور الحكمة في كل العصور، "إن جوهر الذكورة هو أخذ خطوة البداءة [الاستهلال]، وجوهر الأنوثة هو الاستجابة". لتكون المرأة حرة لتستهل—أقصد بكلمة حرة هو أن تسمع كلمة الرب وتفعل ما يقوله لها—هو أن تكون على اتصال مع الجوانب الذكورية الحقيقية. فهي ليست سلبية بطريقة مَرَضيَة—أي حالة انفصال المباديء الأنثوية عن الذكورية. إنها حرة لتستجيب لله بكل كيانها، وبالتالي قادرة على البدء عندما تواتيها الفرصة. وهي إنسان كامل في علاقتها المباشرة مع الله، وقادرة بشدة لتتعاون مع روحه القدوس، فهي أنثى متوازنة مخلوقة على صورة الله الآب.

وكذلك الأمر مع الرجل، فلكي يقوم الرجل بدوره كذكر، لابد له أن يكون على اتصال مع الجوهر الأنثوي الذي بداخله، وينبغي أن يكون قلبه قادرًا على الاستجابة لله، وللآخرين، وللعمل الذي يُقدم، ويكون قلبه أيضًا مثل قلب شريكته الأنثى، أي رحمًا مثمرًا يستقبل باستمرار حياة المسيح ويُضع القرارات التي عينه الله ليتخذها. ويصغي في طاعة الشِفاء التي يرسلها الله دائمًا، خادمًا ووكيلا لتلك الكلمة، وأيضًا راعيًا لها في قلوب الآخرين، ويصبح بالتالي شافيًا للعلاقات المحطمة، فهو عروس الله الذكر.

عندما تحتاج نفسُ إلى شِفاء، فهناك عدم توازن بين الجوانب الذكورية والأنثوية لديها، فتكون كفة الميزان مائلة نحو واحد منهما، وعدم التوازن هذا بين قوة البداءة وقوة الاستجابة ممكن أن يُشفي عندما يتنحى المرء عن رؤيته وإرادته المنفصلة عن الله [وهو ما يدعوه الكتاب المقدس بالموت عن الإنسان العتيق]، ويدخل إلى محضر اللهِ، وهناك يتحد مع الحقائق الرائعة خارجة نفسه.

التعلم عن الاختلافات بين الأنواع

نشأت بين عائلة مِن النساء، فقد توفي والدي عندما بلغتُ الثالثة مِن عمري، ومات تاركًا أختي الصغيرة ذات الثمانية عشر شهرًا وأمي وأنا، وانضمت جدتي الأرملة إلينا، وبالتالي كنا ثلاثة أجيال مِن سيدات تحت سقف واحد، وكان عندما يقوم أعمامنا أو أقاربنا الذكور بزيارتنا، كانت أختي وأنا ننظر إليهم باحترام ورهبة، وفي بعض الأحيان بخوف وارتياب. فلا يُمكن التنبؤ بالرجال عندما يشمل الأمر علاقات مع أطفال. كانت جدتي تقوم بضيافتهم بينما تقف أختي وأنا في الخلف نطالع الأمر، وكان يُطلب مني مِن حين

لآخر أن أذهب لأعزف لهم مقطوعة ما على البيانو، أو أن أذهب لأجلب بعضًا مِن رسوماتي أو أعمالي المدرسية لاحظى بثقتهم وإعجابهم، وكنت أتوق أن أعجبهم [وأيضًا أن أعجب الآخرين]، وكان يُسمح لي مِن وقتٍ لآخر أن أقدم لهم كوبًا مِن القهوة أو قطعة مِن الحلوى، وهكذا ظل الرجال لعدة سنوات بالنسبة لي غرباء وغامضين وكأنهم مخلوقات مِن كوكب آخر، فكان الرجال في طفولتي بعيدًا عن خبراتي ومعرفتي القوية.

صُدمتُ عندما اكتشفتُ بعد ذلك ما أسميته بـ "الباعث نحو القوة" الموجود عن طريق الوراثة بداخل المخلوق الذكري اليافع والصحي. فكان العقل ممتلئًا بالأفكار الرائعة، وكل طاقات الجسد الذكري الشاب مستعدة لتخدم هذه الأفكار، فقط إذا أتيحت القنوات المناسبة لفعل ذلك، فنحن بحق مخلوقين لنخدم غاية أعظم منا، فإذا كان الدافع نحو القوة بداخل المخلوق الذكري بعيدًا عن الاتصال مع غاية أعظم مِن أن تتحقيق، سيُهدّيء هذا مِن احتياجات غروره، وسيكون هذا أمرًا مرعبًا بحقٍ.

وأدركت بعد ذلك أن هذه هي الورطة التي يقع فيها الرجل المنفصل عن الجوهر الأنثوي الذي بداخله، وبالتالي يكون بعيدًا بطريقة متناقضة عن أي اتصال مع الذكورة الفائقة. مثلًا؛ ينبغي أن يأتي الشاب الذي يكون في صراع مع مثل هذه البواعث، إلى قلبه—أي صفاته الأنثوية الحدسية، وهذا هو الجزء الذي فيه يستطيع أن يرى ويسمع ويستجيب لله، وإلا سيكون في خطر أن يصبح نابليون الصغير الذي يدور في مداره، سواء كان مداره هذا هو الخدمة أو القانون أو الخدمة العسكرية أو أيًا كان. وكما كان يُقال، "تمثل

الدرب مبادرات ذكورية مفرطة لا توجد في الحكمة الأنثوية[2]".

تلقيتِ بصيرة عن هذا المأزق الذكوري عندما بدأت أعلِّم شباب جامعي عن "صلوات الاستماع"، وهي خطوة مهملة في الصلاة رغم أنها هامة جدًا، وقد تحدثت عنها في كتاب "الصورة المكسورة"[3]. ولدهشتي ولحزني أيضًا، بدل مِن أن يأتي هؤلاء الشباب في "استماعهم" إلى قلوبهم بطريقة تجعلهم يفهمون قلوبهم ويستقبلوا الكلمة التي يتحدث الله بها، هم يسمعون "الباعث للقوة" يُفعّل نفسه بداخلهم، فيأتون بأفكار عظيمة عن أعمال بطولية [بالطبع مِن اللازم أن نُميِّز هذه الأفكار عن الأعمال العظيمة بحق التي على المؤمنين القيام بها]، ولأن هؤلاء كانوا شبابًا يافعًا ومؤمنًا وأيضًا موهوبًا، فإن خيالاتهم تقوم على "اقتحام عالم يسوع" بدون مساعدة.

وقد تعاني سيدات صغيرات أيضًا مِن مشكلات في صلوات الاستماع، وتكون هذه متمركزة حول أمور تتعلق بعلاقات القلب—أي الأفكار الرومانسية الأكثر معزة على قلوبهن عما تعني لهن محبة الزوج واختياره لهن. يأتين إليّ ويقلن، "أتعرفين... لقد أخبرني الله عمن سأتزوجه!"

وأسألها وأقول، "وهل أخبر الله الشاب أيضًا؟"

"حسنًا، لا".

نرى هنا الورطة الأنثوية: أي الباعث الأنثوي الطبيعي الذي تستقبل به مِن الذكر وتستجيب، وهو يتناقض بوضوح مع الباعث الذكري نحو القوة. في مثل هذه الحالات، مِن الأمان أن نقول أن باعث النوع [النوع الجنسي] القوي الذي بداخل المرأة يتحدث بصوتٍ عالٍ حتى أنها فشلت في التفرقة بينه وبين

الحكمة الخافتة الصوت التي تأتي مِن الله. وأستطيع أن أساعدها وأفهم ما تمر به لأنها امرأة. لكن ماذا يكون هذا عند الرجل؟ لأني نشأت بين أسرة مِن النساء، لم يؤهلني هذا على فهم الرجال، لكنه أعطاني أسسًا فريدةً أستطيع بها أن أميّز بعض الاختلافات بين الرجال والنساء.

بدأت أدرك بينما كنت أصلي مع هؤلاء الرجال الجادين، أن ما رأيته على أنه "باعث نحو القوة" ورأيته أيضًا مربكًا ولا يُفسّر بالنسبة إلى الأمور الروحية، كان بحق جزءًا مِن مبادىء ذكورية أساسية [وفي هذه الحالة تكون غير ناضجة وعفوية] تميّز صفات الذكر وفكره وتفرده البيولوجي. دعني أعيد عليك ما قاله كارل ستيرن مرة أخرى:

> مثل علاقة الحيوان المنوي مع البويضة، هكذا يكون اتجاه الرجل نحو الطبيعة، أي اتجاه هجومي واختراقي، فهو يعمل علي إزاحة الأحجار ويستأصل الغابات ليوفر تربةً صالحة لزراعة المحاصيل، وأيضًا يكبح سير الأنهار ويُسخّر قوة المياه لينتفع بها[٤].

فكريًا، يتماثل التناقض بين الجنسين مع التناقض بين طريقة الفهم عند البشر ــــ ففهم الرجل منطقي وفهم المرأة حدسي، فيتفوق الرجال في التخصصات التي تتطلب مقدرة تحليلية أكثر مِن ذكاء حدسي، ويسودون في تلك المجالات، ونرى هنا مرة أخرى "الباعث نحو القوة"، أي تفعيل المبدأ الذكوري.

> تُحطم الكيمياء تركيب الجزيئات وتُعيد ترتيب أماكن الذرات، وتتغلب الفيزياء على قانون الطبيعة، أي الجاذبية، كان ذلك أولا في اختراع الدراجة الهوائية، وأخيرًا في اختراع الصاروخ

> الذي يُحلِق في الستراتوسفير [الجزء الأعلى مِن غلاف الأرض الجوي]، وحتى في نطاق التفكير، تُخترق "طبيعة" الأشياء في الفلسفة والرياضيات البحتة (٥).

أما المبدأ الأنثوي، مِن الناحية الأخرى، فله جذوره في طرق الفهم اللاواعية، أي الطريقة القلبية، ويعكس علم وظائف الأعضاء الخاص بالمرأة، هذا المبدأ.

> كما هو الحال في علم وظائف الأعضاء الجنسية للأنثى المبدأ هو واحد من تلقي وحفظ وتُغذية ـــ أي دور المرأة محدد بالخلق، أي المتعلق بالأمومة، فهي إذًا مرتبطة بحياة وطبيعة، بسلسلة أحداث حياتية غير عاكسة *non-reflective* *bios*. (٦)

هيلن دوتش تتحدث وآخرين

> إنه نوع مِن أنواع المعرفة أو الإدراك الذي ليس فقط بعيدًا عن الأسباب بل أيضًا يتعداها. لاحظ عالم الاجتماع، جورج سيميل، أن كيان المرأة وفكرها لا يتجزأان. أما بالنسبة للرجل، فالفكرة تفهم على أنها شيئ خارجي وليست أمرًا ملازمًا له. بنفس هذا المعنى لاحظت جين جوتن أن الحب، كعطية طبيعية، عنصرُ هام لكل النساء.... إن الذكاء الحدسي مرتبط بالحب بقوةٍ أكثر مِن الذكاء التحليلي، ولهذا فأن قوة المرأة هي فهم حدسي للواقع، خاصة للعناصر الشخصية، فهي تتحلى بصفة خاصة تجعلها تطلع على عالم الآخرين الداخلي(٧).

لم يكن الأمر عبارة عن بعض السلوكيات الثقافية التي كنت أعلمها للشباب مِن الجنسين ليسمعوا لله ولقلوبهم،

لأن الأمر أمتد إلى جذور الروح والنفس والجسد. كان يُرى في سلوكياتهم "الازدواجية الأساسية التي تظل غير متغيرة في كل الثقافات المختلفة"ç، وكانت هذه الازدواجية تسعى نحو الإشباع والثبات، وهي الطريقة القديمة والمعاصرة في معرفة الذكورة والأنوثة في كل الثقافات.

تُظهر الأعضاء والخلايا الجنسية تناقضًا وتكاملا في علم المورفولوجيا [علم التشكيل] وأيضًا في الأداء. ففي الإتحاد الجنسي يكون العضو الذكري محدًبا ويقوم بعملية الاختراق، ويكون العضو الأنثوي مقعرًا ويقوم بعملية الاستقبال. أما الحيوانات المنوية فتكون مثل آلة ناسفة بينما تخترق، والبويضة تكون في وضع انتظار لهذا الاختراق. لا ينبغي أن يكون هذا التناقض والتكامل محدودًا على الأمور الجسدية لكن ينبغي أن يعكس شخصية الرجل والمرأة، وهذه فكرة قديمة قدم التاريخ. في الحقيقة، لم يتوقف التناقض والتكامل الجنسي في الأديان والفلسفات القديمة عند الجانب النفسي. توضح الازدواجية البشرية والتزاوج البشري تناقضًا في قلب الأمور، وهذا التناقض يسعى إلى تركيب أبدي لا يتوقف ــــأي في فعل توقع الوحدة والتعويض عنها. وهذا التقليد منتشر في كل الوجود، حتى أن المرء لا يسعى إلى عرضه بالتفصيل. الأمر الجلي عنه هو الحقيقة المعبر عنها في الأديان والفلسفات المختلفة المتباعدين عن بعضهم بفعل الزمن والمكان، نجد هذه الفكرة واضحة في الطاوية والصحار، وفي الأوبنشاد والمسيحية. تُفسر الأحداث في الطبيعة وفي التاريخ الإنساني بمبدأين، في الطاوية بمبدأ اليـنـــأي الأنوثة

التي تكون هادئة وداكنة اللون ومستقبِلة، وبمبدأ اليانج — أي الذكر النشط والفاتح اللون والمولّد. إن الحركات الأزلية مِن التبادل بين الاثنين محفوظة بمبدأ الوحدة السامي، أي التاو. تُظهر مبادىء التصوّف الجنسي التي في معتقدات الكابالا تشابهًا لافتًا للنظر للتقاليد الصينية. فالسماء، التي تُدعى تيفيريث، هي المبدأ الذكري الذي يكون في وِحدة مع الأرض، التي يُدعى مالشوث والتي تمثل مبدأ الأنوثة، ويكون هذا الاتحاد عن طريق أذرع العالم. فالوحدة تنشأ مِن التناقض، وأقوى التعبيرات عن ذلك هو فكرة أن الرجل مخنث [ذكر وأنثي] في أصله وفي وجهته الأخيرة. مِن أشهر ما قدّم عن هذا الأمر هو ما يوجد في سِفر التكوين، عندما خلق الله الإنسان على صورته، "ذكرًا وأنثي" — وذلك قبل انفصال حواء عن آدم، ويدل هذا طبقًا للتقليد المسيحي على الطبيعة المخنثة لله نفسه — ويعني هذا مرة أخرى أن التناقض في اتحاد هو تعبير كمال الكيان. ليس أقل شهرة مِن ذلك تطور نفس هذه الفكرة في خطاب أرستوفان الذي ذكر في ندوة أفلاطون التي تتحدث عن الرجل والمرأة في العلاقة الجنسية، فهو أعاد الوحدة الأولى للإنسان إلى كمالها، هذه الوحدة التي كانت في وقت ما مكسورة، مِن اللافت للانتباه أن اليهود واليونانيين وافقوا على ذلك، قبل الحقبة المسيحية. تجد نفس الفكرة في الأوبنشاد، حيث تقول، "لكنه أيضًا، أي آتمان [النفس، الله] لم يكن له بهجة، لأنه كان كبيرًا مثل الرجل والمرأة في اتحادهما الجنسي، ثم انقسمت مادته إلى جزأين، التي منها جاء الرجل والمرأة، ولذلك فالجسد،

يشكل نصفًا". توجد هناك نسخة آشورية مشابهة لهذه، وليس مِن المدهش أن نعرف أنها النسخة العالمية الوحيدة، وذلك بسبب تقاليد سرية، وإذا كان الأمر كذلك، لسهل تفسيره: وجود الرجال والنساء ذاتهم هو الأمر الواحد الثابت في كل الحضارات. يُخبرنا إدراكنا الغيبي عن طريق الفهم الحسي أن هذا الثبات يعني شيئًا بعيدًا عن كل الاحتمالات المتغيرة[٩].

بعد أن بدأت الصلاة مع هؤلاء الطلاب الجامعيين، كنتُ مضطرة أن أضع، كقائد روحي، حدودًا ومسافات، لأساعد الشباب والشابات الذين أصلي معهم أن يأتوا إلى قلوبهم وبالتالي يعرفوا كيف يقرأون قلوبهم بطريقة صحيحة. كان ينبغي على كلٍ منهم أن يعرف ويفهم نفسه كرجل أو كامرأة وذلك ليحافظ على دوافعه القوية المرتبطة بشخصيته الجنسية مِن الخروج عن طاعة الله. سيتوجب عليهم بينما يتعرفوا على دوافعهم وينكروها، أن "يقمعوا جسدهم" (١كو٩:٢٧)، وذلك على طريقة الرسول بولس، بكلماتٍ أخرى، عليهم أن يموتوا إلى حد ما عن هذه الدوافع، حتى تحدث القيامة – أي أن تتقدم الشخصية الذكورية والأنثوية [الغير أنانية، والغير متمركزة حول ذاتها] الناضجة إلى الأمام، محققة تكاملا صحيًا.

سيتعرف الشباب الذكور عندما يدخلوا إلى قلوبهم، على وجود غرور مفرط خلف طموحاتهم الكبيرة لغزو العالم حيث يتمكنوا مِن إثبات أنفسهم كرجال. بدأت أدرك بعد ذلك بكثير احتياجهم الذي هو جزء مِن أزمة عامة في الذكورة – أي ذكر غير مثبت الشخصية. لم تكن حالتهم غير صحية بمعني وجود خلل، لكنها كانت ببساطة حالة الذكورة التي مازالت غير ناضجة وتناضل مِن أجل الإثبات. كانت حالتهم هي إرادة

ذكورية أنانية لم تُعالج بالإرادة الذكورية الصالحة، فكانت متمثلة في رجل يحاول الحصول على إثبات شخصيته، وقبول نفسه في أي شيء يستطيع أن يُحققه بذاته بدلا مِن اتحاده مع الله.

عند هذا الحد، بالتأكيد، كان سعيهم طبيعيًا ومرتبطًا بالجوهر الذكوري ذاته، ونحن جميعًا، رجال ونساء، نحتاج نضالا شديدًا لنُثبت ماسنا، وهذا ستوفره الحياة نفسها سريعًا، وإذا قامت بعض النفوس الغير حكيمة بأخذ هذا النضال عنا، وبالتالي ترفع عنا، وإلى الأبد، الرياح التي تعصفها الحياة، سنكتشف عند ذلك أن أصعب مواقف الحياة هي التي تصنعنا وتكسرنا، فأن نتعلم المثابرة في الأوقات التي تكون بالفعل صعبة هو أن ننمو في التصميم [أي الإرادة الذكورية لاختيار الحياة والكمال]، وفي المباديء الأخلاقية والروحية [أي الحكمة الأنثوية في الاختيار الصحيح]، وأيضًا في فهم قلوبنا وقلوب الآخرين. تكمن المشكلة هنا، بالطبع، في أن النجاح في التغلب على الأماكن الصعبة في الحياة، لا ينتج عنه إشباع في نهاية الأمر، فتأتي أوقات ندرك فيها أن الشخصية الحقيقية لا توجد فيما نستطيع فعله، لكن في قدرتنا على الطاعة والاستجابة لكائن أعظم منا بكثير جدًا — أي الله — لكن النضال للتغلب على الأمور الصعبة، أمر طبيعي، وليس مِن الصحيح تجنبه.

قدم شاب يافع، كنت أرى أنه كفء، تقابل مع المسيح في إحدى الاجتماعات التي كنت أعظ فيها في مدينته، قدّم شرحًا عما سبق، عرفت بعد ذلك أنه واحد مِن القادة في النهضات التي تعقدها ايبارشيته. قال لي، "أنا سعيد جدًا أنك لم تأت إلى هنا قبل الآن، وحتى العام الماضي، وإلا ما كنت سأتمكن مِن سماعك، لأنه كان عليّ أولا أن أثبت ذاتي".

فهمت جيدًا ما كان يقصده، فكان اهتمامه قبل ذلك الوقت مصرفًا على إثبات نفسه كرجل، فهو قد سار في الأماكن الوعرة في حياته وقد حقق نصرًا، وكان عنده وقتًا كافيًا ليدرك أن النجاح المادي والمهني وأيضًا نجاحه في دوره كأب وكزوج، لم يكن كافيًا، ففي في الواقع كاد يميل مِن كل هذا، فهو عرف الملل بطريقة غريزية، ليكون أرضًا خصبة تتيح له مزيدًا مِن شرب الخمر الجماعي سنويًا وما ينتج عنه مِن عدم راحة في الحياة الزوجية. أتي بعد ذلك إلى قلبه وبدأ يفهمه. أستطاع بعد ذلك أن يسمعني أنادي بأن المسيح هو الطريق والحق والحياة، وأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يجد فيه ذكورته المطلقة وشخصيته الحقيقية.

كان هذا هو المكان الذي يحتاج إليه الشباب الذين كنت أعلمهم، وكانوا في نفس الوقت، مِن الخارج، مهتمين بإثبات أنفسهم كرجال [وإن كان ذلك بدون وعي]، وكانوا في خطر العثور على شخصياتهم في مكان آخر غير المسيح، أي في الاجتهادات الروحية، كان عليهم أن يأتوا إلى قلوبهم، فكانت حالتهم الروحية هي أن ذكورتهم لم تكن على اتصال مع السمات الأنثوية الحدسية التي تسمع وتستجيب لإرادة الله وكلمته. وكان العلاج بصلوات الاستماع لله شافيًا لحالتهم.

إن الشخص الذكري المعتل الصحة هو مَن تكون دوافعه نحو القوة مكبوتة، بحيث لا يمكنها الخروج للخارج، فهي مثل الميت الذي يعود إلى الحياة في محضر الله. هذه هي المحنة التي يقع فيها الذكورة، والتي نواجهها كخدام ومشيرين بأعداد كبيرة في الرجال مِن كل ألوان الحياة، وهذه هي الحالة، بدرجات متباينة، التي يحاول هذا الكتاب أن يقدمها،

فرسالته هي أن الرجال ليسوا بعد متورطين فيما أرّخه كارل ستيرن بعبقرية ولياقة بأنه "الهروب مِن المرأة". فهو يحبك في كتابه هذا السلوك التاريخي والفلسفي الذي قاد الرجل في هذا العصر إلى أنشطة طائشة ومضطربة: أي أنشطة ليس بها توازن بين الفعل والتأمل بسبب رفضه للأنوثة التي بداخله وبداخل شريكته الأنثى. أستطاع كارل ستيرن وهو طالب يدرس التاريخ والفلسفة والعلوم، أن يُشخص المشكلة، وكانت النتيجة جيدة، وكطبيب نفسي، واجه المعاناة النفسية التي أدت إليها هذه المشكلة في مرضاه وفي ثقافة المجتمع بصورة عامة.

لكن المشكلة الذكورية التي كتب عنها كارل ستيرن لا تزال لم تُحل، بل وقد تفاقمت الآن. ولأن الرجال استخفوا بأمر الأنوثة لعدة أجيال، فقد أصبحوا الآن بصفة عامة منفصلين عن ذكورتهم، وفي حالة مِن السلبية المرضيةـــأي الأنوثة في حالتها الصحية المعتلة والمنفصلة عن الذكورة. لا نستطيع أن نخسر الأسس الأنثوية بدون إضعاف بل وفقدان الذكورة؛ ولا نستطيع أن نحافظ على صلاح منطقية الذكورة بمنعزل عن العقل والقلب الأنثوي الحدسي. إن كل خيوط الحقيقة الرائعة والمتعددة الألوان متشابكة بطريقة رائعة، وأن تتخلص مِن خيط واحد هو أن تهلهل إطار الحياة بكامله، وبالتالي تُعرض الحياة للخطر.

ورغم أن العديد مِن الرجال الذين يسعون وراء مساعدة لا يزالون في خضم الأنشطة التي كتب عنها كارل ستيرن ، تجدهم الآن مؤسسين، إلى حد بعيد، في عالم الأنوثة، أو في عالم كاريكاتير أنثوي، بدلا مِن السعي لإيجاد شخصياتهم وقيمنهم فيما يحققون [سواء كان ذلك ثروة؛ أو مكانة اجتماعية، أو وضع

مهني، أو إحراز جنسي، وغيره]، يقع الكثيرون في حالة شلل، وبدلا مِن أن يفهموا قلوبهم ويكونوا في علاقة حميمة معها—تلك التي هي بحق قدرات أنثوية حدسية موهوبة لهم—هم ببساطة يعيشون في محض معاناة سلبية وغير بنّاءة.

تسعى الذكورة والأنوثة بداخل الرجل والمرأة، بغض النظر عن التسمية وطريقة فهمها، إلى إثبات وتقدير وتوازن مقبول. الكثير مما يُسمى أمراض عاطفية أو عدم استقرار، وهذا ما أقابله باستمرار في الصلاة وجلسات المشورة، ليس إلا ذكورة و\أو أنوثة غير مُثبتة وغير متزنة في الشخصية. دائمًا تكون كلمة "ليس إلا" خطرة، كما يقول سي. أس. لويس، وهي كذلك في هذه الحالات، أي عندما لا يدرك المرء الضربة المهلكة التي قد يؤدي إليها عدم التوازن بين الذكورة والأنوثة، سواء لصحة الفرد أو للمجتمع، أو لحضارة بكاملها. في الحقيقة هناك أهمية وجودية عميقة في أمر التناقض اللازم بين الجنسين وبين النوع الذكري والأنثوي، وأن تتغاضى عن اكتمالهم، ذلك الكمال الذي يتدفق منه اكتمال الوجود على السطح الطبيعي، هو أن تُلقي بضربة على الذات الحقيقية التي في كل رجل—بل وفي الحقيقة، على كيانه نفسه. وهذا ما أصبحت أدركه بشدة بينما أصلي مع أناس في حاجة إلى شفاء نفسي، وهو كما قال كارل ستيرن:

> لا يُفسّر الألم البشري كليةً بطرق نفسية وبيولوجية فحسب: فهناك رواسب وجودية: مثل توتر الرجل الممتد بين الوجود وغير الوجود[١٠].

يُشارك نوع الجنس في لغز الوجود نفسه. ينبغي أن نأخذ في الاعتبار عند الحديث عن ألم الإنسان البشري—الممتد بين درجات الوجود وعدم الوجود—

الشخصية الذكورية أو الأنثوية والتوازن مع التناقض العكسي.

٦

امرأة في أزمة

قصة زوجة ريتشارد وآخرين

إن عنصري الحقيبة النفسية للمرء ـــ الذكورة والأنوثة- ينبغي أن يكونا مرتبطان معًا بانسجام وتوافق، ولا يمكن أن نفسر معنى هذا التوافق بدون الخوض في أعماق الدراسات الإكلينيكية. لكن في كل الأحوال، يؤدي "الافتقار للتكامل" وعدم الاتزان بين هذين العنصرين، إلى متاعب جمة. ذكر كوليردج مقولة مدوية إبان عصره، وتقول، "الحقيقة هي أن العقل الذكي لابد أن يكون ثنائي الجنس". على أن هذه المقولة تنطبق على جميع الناس، وليس فقط على أصحاب العقول الذكية، وذلك بطريقة ما لا نستطيع التعبير عنها بما توصلنا إليه لحد الآن إكلينيكيًا.

كارل ستيرن

الهروب مِن امرأة *The Flight from Woman*

كانت رينية، زوجة ريتشارد، هذه المرأة المتفجرة الأنوثة، تحتاج أن تعثر على الكمال، فكانت في حاجة إلى صلاة شِفاء لإرادتها

وذلك لتدخل في علاقة مع الجانب الذكري الذي في عقلها، وليكون لها حق استخدام الصلاح والخير النابع مِن القوة التحليلية والمنطقية التي في هذا الجانب مِن الحقل. على أن هذا الشفاء لن يقلل مِن جنسها الأنثوي، لكنه بالأحرى سيؤكد الصلاح الذي في الجانب الأنثوي ويُمكّنها مِن تفادي الوقوع في المأزق الذي سبق ووقع فيه كل مِن أمها وزوجها ريتشارد.

تقدم أم ريتشارد مثالا حيًا لسيدة مريضة في عدة أشكال، وخاصة في إرادتها، ذلك أنها مقيدة بروح السلبية، وغير قادرة على إحداث خلاق في حياتها. وكأنها في حالة شلل تفقدها القدرة على التغيير، فهي تمثل لنا ما كان يطلق عليه الأطباء القدامى بـ "accedia"، أو اللامبالاة والخمول الروحي—وهي حالة تؤدي إلى رفض كل أشكال المرح. أنها امرأة منعزلة عن جانبها الذكوري الذي يمكنها مِن الخروج مِن مستنقع مشاعرها الذاتية، ومِن جحيم النفس ورثاءها. أمَّا حماة ريتشارد، فتمثل صورة أخرى مخيفة من الاغتراب عن سمات الذكورة الصحية التي بداخل المرأة.

كانت رينية طفلة وحيدة لأم لها ولع شديد بحب الاقتناء. هذه الأم التي تمثل صورة المرأة المنعزلة عن جانبها الذكوري الحقيقي وبالتالي تكون عرضة لذكورة مزيفة، فهي الأنثى التي ليس لها الحرية لتكون ما تريد، وبالتالي لا تنطلق طاقاتها الإبداعية إلا على مستويات منخفضة—أي مستويات المحبة المسيطرة تجاة زوجها وأبنائها... امرأة منعزلة عن الصلاح الناتج عن العلة والسبب، بعيدة عن المبادرات الصحية، وليس لها القوة لتفرح وتبتهج في عالم خارج عالمها الذاتي، لأنها تركز على مَن هم في دائرتها الضيقة المغلقة. ولأنها لا تجد ذاتها وتحقيقها في

زوجها وأبنائها، فهي تطلب منهم ذلك بلا توقف.

لم تستطع زوجة ريتشارد أبدًا أن تتحرر مِن متطلبات أمها، وكانت تصارع مع الشعور بالذنب بسبب عدم قدرتها على إرضاءها، ولم تكن تدرك ذلك، فكانت في حاجة إلى فصل شخصيتها عن شخصية أمها، وكانت أيضًا تحتاج إلى صلاة، (١) لتحررها لكي لا تعود وتعيش مِن منطلق الصبية الصغيرة التي بداخلها والتي تحاول دائمًا إنقاذ حب أمها المتفاني، (٢) ولتتمكن مِن أن تحيا الحياة التي مِن المركز، ولتعيش بأمان وسعادة مِن ذلك المكان الذي بداخلها والذي تسكن نفسها الحقيقية فيه في وحدة مع الله. سينتج هذا بالطبع توازنًا جيدًا بين المركبات الذكرية والمركبات الأنثوية اللذين بداخل نفسها الأنثوية الحساسة.

وصلني خطابٌ مِن رينيةٍ بعد شِفائها تحكي فيه قصتها. حيث تم شفاءها بعد شفاء زوجها بعدة اشهر، في وقت كانت فيه في حالة مِن الخشوع والشكر لله لأجل ما حدث لزوجها ولأجل حضور الله المستمر وشفاءه لزواجهما. كان خشوعها وورعها روحيًا بحتًا، ينتج فقط عن قوة الأيمان بالله ونوال نعمته.

لكن قبل أن تأتي لزيارتي في بيتي، كانت ذهبت في يوم عطلة لزيارة بيت والديها، وذلك في غمرة فرحتهما كزوجين، الأمر الذي شكل تهديدًا لوالديها، وأدركت رينية أكثر مِن ذي قبل مدى خطورة مشكلاتها مع أمها، وبالتالي جاءت طالبة صلاة شفاء، واقترحت عليها بينما كانت تغادر، أن تكتب قصتها بالتفصيل وترسلها لي، وغالبًا ما أطلب هذا الأمر ليس فقط ليساعدني على رؤية كيف أدرك المرء واستقبل الصلوات التي رُفعت من أجله، بل أيضًا ليقوي إدراك ذلك الشخص لنفسه أو لنفسها ولنعمه الله العاملة في حياته.

أنه لأمر رائع أن يتمكن المرء مِن سرد قصة حياته الحقيقية، إذ تلزمه كتابتها ليس فقط على التفكير والتأمل فيها بوضوح أكثر، بل تفتح قلبه أيضًا على "رؤى" جديدة ومفاهيم جديدة. يُصوِّر سي. أس. لويس في كتابه "إلى أن يكون لدينا وجوهًا *Till We Have Faces*"، يصف البطل، أوروال، على أنه مشبّع بالرؤى، فبعد صلاة شفاء داخلي، غالبًا ما يكون الناس مشبعين بمثل هذه الرؤى، فما أن تبدأ الإعلانات، إلا وتتوالى تباعًا، وتمارس النفس هدوءًا وسكينة.

فما أن ندوّن قصة حياتنا في روح الصلاة، فإننا غالبًا ما نمتلك المفتاح الذي يفتح أبوابًا أعظم لفهمنا لحياتنا، وهكذا كان الحال مع رينية، وإني سعيدة لهذا الأمر بالذات، لأن رينية اتبعت ما اقترحته عليها، وأيضًا لأن خطابها يكشف احتياج المرأة لفصل شخصيتها عن شخصية أمها، كما يوضح أيضًا بعض المخاطر التي تتعرض لها حياة المرأة إذا باعت بين نفسها وبين التواصل الكافي بسماتها الذكورية، وكانت تحت رحمة نفسها الأنثوية الأساسية الحساسة.

خطاب رينية

تقول: "بدأ شِفائي بعد عودتي مِن زيارة بيت والديّ، التي استمرت مدة شهر، حيث وجدت كتابك "الصورة المكسورة" في صندوق بريدنا المكتظ بالعديد مِن الرسائل، بدأ ريتشارد في قراءته أولا، وبعد ذلك تشجعت أن أقرئه، كنت مفتتنة به مِن بدايته، حتى بدأ يخترق كياني عندما وصلت إلى الفصل الذي يتحدث عن "العلاقات السحاقية"*، وخاصة الصفحات التي تتناول الأمهات المتسلطات واللواتي تسيطر عليهن غريزة حب التملك، وكلما تبحرت في الكتاب كلما

* نساء مثليات الجنس، أي علاقات جنسية بين امرأتين [المُعرِّب]

ذادت دهشتي، لأنها كانت المرة الأولى في عمري ذات الحادي والثلاثين ربيعًا أن يقوم شخص ما بوصف علاقتي مع أمي، ومع أن علاقتي بها لم تؤد إلى مشكلة سحاقة لا أنها على أية حال، لم تكن علاقة صحية، وكم أحبطتني كثيرًا!

"شاركت ريتشارد بهذه الأفكار، واتفقنا أنه لابد أن أتقابل معكِ لأتمكن مِن مواجهه متاعبي المستمرة مع أمي.

"أجرى ريتشارد الترتيبات اللازمة لهذا اللقاء الذي بدأت انتظره بلهفة، وبدأت أشعر أيضًا لأول مرة في حياتي أنه كان هناك ضوء في آخر الممر الذي بداخلي.

"وما أن وصلنا باب بيتكِ، إلا ورحبت بكل الحب والود والكرم، الأمر الذي ساعد في تهدئة أعصابي. كنت أشعر بما كان يشعر به الأطفال في قصص (نارنياسي. إس. لويس) عندما كانوا يشجعون (أسلان)، الذي عرفوا أنه لم يكن أسدًا أليفًا، وأن عليهم أن يكونوا في ألفة معه! كنت أدرك أنه عليّ أن أميط اللثام وأزيح النقاب عما بداخلي أمامك للوصول إلى لب المشكلة، وقد شجعتني لهفتي على إيجاد حل لمعركة دامت طيلة حياتي، أن أخبرك بقصتي بكاملها.

"وبعد أن قرأت كتابك، أدركت أنه عليّ أن أعود بذاكرتي إلى الوراء قدر ما أستطيع لأتمكن مِن سرد قصتي.

"كنت الطفلة الوحيدة التي جاءت بعد عشرة سنوات مِن زواج أبي وأمي. وقد أخبرتني أمي عدة مرات كم كان الأمر صعبًا عليها لتحمل بي، وهي لا تنسى الليلة التي تم فيها الحمل بي. لأنها وأبي جربا طريقة جديدة، وهي وضع وسادة تحت تجويف حوض أمي ليكون هذا الوضع مناسبًا لحدوث حمل، وظلت أمي

في هذا الوضع طيلة ليلة كاملة حتى لا تفقد أي حيوان منوي !! وكان سماع هذه القصة أمرًا صعبًا عليّ، لأن سردها على مسامعي كان يتضمن معاني خاصة، أو كما كان يبدو لي كذلك، فكانت هذه القصة تشعرني أنهما بسببي بذلا الكثير مِن الجهد، وأنه عليّ أن أعيش وفق توقعاتهما.

"حاولت طيلة حياتي أن أكون الكتف الذي يحمل - بل يخفف مِن حدة- التوتر الذي يحدث بين شخصية أمي السلبية، وشخصية أبي السعيدة والمحظوظة بطبيعتها. لا أتذكر أننا عشنا دون توتر إلا إذا كان لدينا زائر، أو كنا منجذبين إلى التلفاز، حتى كنا نشاهد التلفاز كل ليلة ودون توقف... وكانت أمي تشكو أننا لا نتحدث معها، وإذا تحدثت معها كنت مُجبرة على طاعتها، وبدل أن أشاركها أموري بحرية، كنت أشعر أنني مُجبرة أن أزيح الستار عن أمور خاصة كنت أفضل أن أحتفظ بها لنفسي... وكان رد فعلي، إحساس بأني أنجرف إلى مكانٍ خاوٍ [أمي].

"كانت عائلتي تبذل قصارى جهدها لتكفل لي فترة طفولة مريحة وممتعة، وكان والدي دائمًا مصدر إثبات شخصيتي، وكان الشخص الذي يُمكنني التحاور معه أينما ومتى كنا بمفردنا، كان يعمل في شركة تأمين، مما كان يضطره إلى قطع عدة أميال عبر الولاية ليتقابل مع أناس مختلفين، وكان يبدو سعيدًا مِن تقديم خدمة للآخرين بهذه الطريقة. ومن ذكرياتي التي لا أنساها أنه كان يصطحبني مرة أو مرتين كل صيف لنخرج معًا، فكانت سعادة تواجدي مع أبي بمفردنا بعيدًا عن عيني أمي المتسلطة يمثل بالنسبة لي سعادة حقيقية.

"كانت أمي تستحوذ على وقتي أكثر مِن أمهات

أخريات مع بناتهن، ولعل هذا بسبب كوني الابنة الوحيدة لها، ففي أمسيات الجمعة مثلاً، عندما كنت اقضي هذه الليلة مع بعض صديقاتي في بيت إحداهن، كنت استيقظ مبكرًا السبت على صوت نفير سيارة أمي تطلب مني أن أغادر، وكنت أحيانًا لا أستطيع تناول الإفطار لأتوجه للسيارة، بينما تظل صديقاتي الأخريات إلى حتى العاشرة صباحًا، وكانت حجة أمي في ذلك أنه عليّ القيام بتنظيف البيت، وهذا ما كنت أقوم به كل صباح كل سبت، وكنت استمتع إلى حد ما بالتنظيف لأنه كان يُعطيني مساحة من الخصوصية، إذ يمنحني ذلك الوقت فرصة لأفكّر بمفردي بينما كنت أنظف غرفة المعيشة المنعزلة باستخدام المكنسة الكهربائية القديمة، وأحيانًا كنت أطيل وقت التنظيف لتتسع مساحة خصوصيتي وهكذا كانت أوقاتي الخاصة فقط عند قيامي بتنظيف البيت، أو في الحمام، وكنت أتمنى قضاء وقت طويل في القراءة لأكون بمفردي.

"عندما بلغتُ سن المراهقة، بدأت انظر إلى أسرتي والآخرين بطريقة موضوعية، بينما ينتابني إحساس بالذنب لعدم قدرتي ماء فراغ أمي الداخلي، بغض النظر عن كل محاولاتي. بدأت أثور وأتمرد سرًا وليس بشكل واضح، وإلا تعذر علاج هذا الأمر. بدأت أرى أيضًا عدم ممارسة أب وأمي العلاقة الحميمة بينهما، وأن ذلك لم يكن يزعجهما. أشارت أمي ذات مرة إلى كلبين يتزوجان، وقالت لي: "هذا ما يفعله البشر عندما يرغبون في إنجاب أطفال". شعرت بخيبة أمل إزاء قولها، ومع ذلك لم أرفض شخصيتي الجنسية، لكني أدركت من هذا وغيره أنها لم تكن تستمتع بالعلاقة الجنسية مع أبي.

"عندما كنت أختلف مع أمي على أمر ما بينما كنت في مرحلة المراهقة، كان ينتهي الأمر بإدانتها لي بأني

ذات حساسية مفرطة، وتبكي على كتف أبي، وتقول أننا لن نكون أبدًا صديقتين كما أرادت.

"أرادت أمي أن ألتحقْ بكلية قريبة من الحي الذي نقطنه، بدلا مِن جامعة الولاية التي تبعد عنا بمسافة أربع أو خمس ساعات، كنت أتوق إلى الالتحاق بالجامعة لأن أبي سبق وألتحق بها، وليكون لي أيضًا مساحة مِن الخصوصية بعيدًا عمّن أعرفهم.

"استطعت أخيرًا إقناعهم بأن ألتحق بجامعة الولاية، وقد بدأت في الصيف الذي تلا تخرجي في المدرسة الثانوية مباشرة. تمكنت مِن تعويض الوقت الذي لم أستطع فيه الانسجام مع أقراني، وكان ذلك منذ السنة الأولي وفترة الصيف الأول.أقمت في بيت طالبات، وكان قريبًا جدًا مِن بيت طلاب، ويتميز بحياة مثالية. لكن بالرغم من كل هذا، كنت أشعر بانفصام تام، لأني كنت أعود للبيت كل ثلاثة أسابيع لقضاء فترة الأجازة ــ أيًا كانت ظروفي، كما كان عليّ أن أكتب خطابًا مرة كل أسبوع، كما كان عليّ ألا أنفق أكثر مِن خمسة دولارات فقط أسبوعيًا.. وإذا حدث ولم أجد وسيلة مواصلات في نهاية الأسابيع الثلاثة للعودة إلى البيت ــ وبالطبع لم يكن لديّ مالا لآخذ القطار، كانت تقوم أمي بإجراء بعض المكالمات لترتيب شخص ما [سواء كان استاذًا جامعيًا أو غيره] لأعود معه في رحلة العودة إلى البيت.

"قبلتُ المسيح في حياتي في نهاية السنة الأولى مِن الكلية، وكان ذلك في معسكر كنسي في فترة رياضة روحية، ومع أني نشأت في كنيسة مشيخية، إلا أنني لم أكن أدرك أن الخلاص لا يقوم على استحقاقي أو أدائي، إنما على الأيمان بعمل المسيح الكفاري [أي موت المسيح وقيامته]. وبعدها بدأت أندمج أكثر وأكثر مع هيئة Inter-Varsity [هيئة مسيحية]، وكان الناس

مِن حولي يندهشون مِن التغير الذي حدث في حياتي طالما أن هذا لم يصرفني بعيدًا عنهم.

"تعرفت على ريتشارد في هذه الهيئة المسيحية، وبدأنا نتواعد في السنة الثانية مِن الكلية، وأستمر ذلك حتى صيف تلك السنة، ورغم تقارب أرواحنا، أدركنا أننا لابد أن نضع لعلاقتنا بعض الحدود، ولذا توقفنا عن المواعدة في السنة الرابعة مِن الكلية.

"نحو ذلك الوقت تقريبًا، طلب أبي مني أن أُكثر مِن الخطابات التي أبعث بها إليهم، لأنه أحس أن أمي كانت تعاني من انهيار عصبي بسبب عدم وجودي في البيت، وكانت تراودني أحلامُ أرى فيها أمي وهي تدخل مصحة الأمراض العقلية التي في المدينة التي أدرس فيها!! جربت بعد ذلك طريقة جديدة لأرى ما إذا كانوا سيشبعون مني، بأن أكتب خطابًا لهم كل يوم لمدة فصل دراسي كامل [نصف سنة دراسية]، لكن لم يساعد هذا في شيء أكثر من خطاب شكر تسلمته منهم لأني أكتب لهم أكثر من ذي قبل.

"نحو ذلك الوقت أيضًا قرر أبي وأمي الانتقال ليعيشا في المدينة التي كانت فيها كُليتي، بحجة أن هذا التغيير كان لتجديد طلاء بيت قديم يقع أمام المعسكر وليؤجروه للطلبة، لكنني كنت أعلم أن هذه كانت محاولة أخرى للتشبث بي والتملك عليّ. وفي يوم التوقيع على عقد البيت [وقد أتوا بعربة كبيرة محملة بمستلزمات البيت]، تأخرت عن لقائي بهم في البيت لارتباطي بموعد هام، الأمر الذي أغضب أمي غضبًا بالغًا، وهي تقول: واضح أن ابنتنا لم تكن ترغب في انتقالنا للعيش في هذه المدينة، وإلا كانت قد حضرت في الموعد المحدد... حتى غادرت البيت وهما في نوبة غضب شديدة، ودموع أمي تنهال بغزارة، وكنت

أشعر بذنب شديد، لأنني بالفعل لم أكن أريد انتقالهما للعيش في هذه المدينة، ولم أكن أفكر أبدًا أن هذه كانت حركة ذكية منها، وسرعان ما أدركت أن ذلك كان مجرد عكاز مؤقت يستندان عليه.

"عندما تخرجت من الكلية، أعلنت لهما أني سأقضي الصيف في العمل في شرق البلاد مع هذه الهيئة المسيحية، ولأنني ادخرت بعض المال لأتمكن من الأنفاق على هذه الرحلة، وقد وافقا على ذهابي، توطدت علاقتي مع مجموعة العمل في هذه الهيئة بسبب تشجيع ريتشارد لي على ذلك. كان يتوجب عليّ التوقيع كتابة على ما يفيد التزامي باتباع نصائح القائد، وليس نصائح أسرتي لمدة عام، وقد نظرت إلى ذلك بأنه خطوة نحو التحرر من تملك أهلي عليّ، أو لعلها كانت أولى الخطوات في هذا الطريق.

"بدأتُ أُعلِّم في مدرسة تقع في المدينة التي أسكن فيها مع فتاتين من أبناء تلك الهيئة المسيحية، وسرعان ما عاود التوتر القديم لدى أبي وأمي في الظهور من جديد، كانا بعض الأحيان يرغبان في وجودي في البيت، في أوقاتٍ كنت فيها مرتبطة بالتزامات مسبقة مع الهيئة، كان أبي وأمي يتجادلان مع القائد في مجموعتنا، وسرعان ما أدركا أنهما لا يستطيعان أن يأمرانه كما يفعلان معي. حدث الكثير من المشاهد المؤسفة في تلك السنة، أدت إلى شعوري بالذنب بسبب الألم الذي سببته لأسرتي، وأدى أيضًا إلى غيظي منهما.

"تمت خطبتي على ريتشارد في تلك السنة، الأمر الذي أسعدني كثيرًا، لكنه زاد من مشكلاتي مع أهلي، لأنه أضاف نوعًا آخر من التوتر، [كان أبي وأمي — على حد معرفتي — يُفضلان أن أتزوج من شخص

يتميز بطابع الاستقرار المنزلي].

"كنت في علاقة حب مع ريتشارد دامت خمس سنوات، وقضيت معظم هذا الوقت بعيدًا عنه، لذلك كنت سعيدة جدًا لأن الله قد جمعنا أخيرًا، وساعدني هذا في التغلب على ما ظنه أبي وأمي مِن جهة زواجي.

"بعد مرور ثمانية أعوام على زواجي مِن ريتشارد، ولا أزال رأسًا على عقب، في حبي له، مازلت أشعر أني مرتبطة بأهلي ولنزواتهم ورغباتهم، وهذا ما جعلني آتي إليك، يا لِيني.

"لقد أخبرتك بمعظم القصة، وأشعر باهتمامك البالغ بها، وقد أراحني كثيرًا تأكيدك أني كنت محقة عندما قلت أني أشعر أني محصورة في علاقتي مع أبي وأمي وغير قادرة على التحرك فيها. صلينا بعد ذلك، وكنا نعرف أني سوف أتحرر مِن الحمل الذي حملته مدة واحد وثلاثين سنة.

"إحدى الذكريات التي خرجت في أول الأمر، والتي أدهشني كثيرًا، كانت حادثة أخبرني بها أهلي، وهي أني أشرفت على الموت عندما كنت أبلغ مِن العمر ستة أشهر، وقد دخلت المستشفى لعدة أسابيع. اتضح بعد ذلك أن هذه الذاكرة كانت تحتاج إلى شِفاء، وأنتِ قد دعوتِ يسوع إلى هذه الذاكرة، وهو قد شفاني مِن الخوف والألم.

"توجهنا بعد ذلك إلى الذاكرة التي أرتني أمي فيها كلبين يُمارسان الجنس، وصلينا مِن أجل المشكلة المتعلقة بظني أن الجنس أمر نجس، وأنتِ جعلتني أستمع لكلمات يسوع عما هو الجنس، ولا تزال هذه الكلمات التي أخذتها منه محفورة في ذاكرتي، وفي دفتر يومياتي، كنت أحتاج فقط إلى الفهم لأغير نظرتي عن العلاقة الجنسية.

"توجهنا بعد ذلك إلى المشكلة الأساسية، وهي صفة الامتلاك لدى أمي، سألتني أن أتصورها في مخيلتي، وعندما فعلتُ ذلك، طافت صورتها في خيالي وهي غاضبة وتتسم بالشراسة، وسألتني أيضًا أن أدعو الله أن يُسامحها. أخبرتني بعد ذلك أن هذه "الصورة الغير مستحبة" التي جاءت في مخيلتي عن أمي، كانت طريقة تصوّري "لحب الأم المريض"، الذي كنت أقاومه. بعد أن غفرت لأمي، صليتِ لأتمكن مِن فصل شخصيتي عن شخصيتها [لم تتحدث رينية عن هذه الصلاة بالتفصيل، فهي كانت الصلاة التي طلبنا فيها مِن الرب أن يُبين، وبعد ذلك أن يكسر أية حواجز قهرية فصلتها عاطفيًا وروحيًا عن أمها. صلينا مِن أجل شِفاء إرادتها، وفصلها التام عن إرادة أمها. لمزيد مِن التفاصيل عن هذه الصلاة، أقرأ قصة جوديث التالية. تكتب رينية، في الفقرات التالية، عن المنطقة الرئيسية المقيدة في حياتها، وعن تحررها منها].

"بعد أن صليتِ مِن أجلي، رأيتِ شبكة مِن الشر كانت تحيط بي حتى قبل أن يُحبل بي وقبل أن أولد، وقد قطعت هذه الشبكة التي كانت تحيطني، وذلك بقوة الروح القدس في الصلاة، وتمكنت بعد ذلك مِن رؤية أهلي بطريقة موضوعية بدلا مِن الذاتية، وقد تحررت بالتمام مِن هذه الشبكة. استطعتُ أن أرى نفسي أزحف مِن تحتها! لقد أخبرتني، أني لا أحتاج أبدًا أن أذهب إلى البيت إلا عندما أريد فعل ذلك، وقد أدت هذه الكلمات إلى سيل مِن الدموع تنهال مِن عيني، أي دموع الفرح، وقد ضحكنا معًا بسبب ما جلبته إليّ هذه الكلمات مِن راحة. بدأت أعرف لأول مرة في حياتي أني مستقلة عن أهلي. أخبرتني بعد ذلك أني لا أحتاج أبدًا أن أذهب لهما بدافع الشعور بالذنب، لكن فقط بدافع القوة، أي القوة التي تأتي كلما نظرت إلى الله. سيأتي الوقت

الذي لن أتفاعل فيه مع متطلباتهم مني بطريقة ذاتية، وأيضًا أتمكن مِن الكرازة لهما.

"صليتِ بعد ذلك لكي أتعمد بالروح القدس، وقد مسحتِ رأسي بالزيت، شعرت أني كنت أسبح. عندما صليتِ أن تسمع أذنيّ صوت الربِ، صرخت شاكرة إياه على ذلك. صليتِ أيضًا أن تتقوى إرادتي لأفعل دائمًا ما هو صالح، أي ما يقودني الله لأفعله، والذي هو صالح للكل، شاملا أهلي أيضًا.

"بينما كنا نُصلي، رأيتُ رؤيا حيث شاهدت نفسي أرقص مع الروح القدس في سلسلة مِن حلقات مستديرة، وأنتِ كنتِ تُشاهدين نفس هذه الرؤيا، وكنا مندهشين مِن غموض هذا الأمر.

"تركتُ شقتكِ في نشوة مِن الفرح والسلام. كان ريتشارد مندهشًا مِن التغيير الذي حدث في كل كياني، وكم كان سروره عندما علم بالصلاة التي اشتركنا فيها معًا. بدأت أشعر أخيرًا بذاتي، وذلك منذ أن صلينا صلاة الشفاء هذه، كنت قبل ذلك أشعر بعدم النضج عندما أكون في صحبة آخرين مِن نفس سني. أحسست لأول مرة أني مسئولة عن حياتي، وقد أزاح هذا حملا كبيرًا كان على عاتق ريتشارد، وبالتالي على زواجنا.

"أنال كل يوم ببصيرة جديدة عمن أكون في نظر الله، أستطيع الآن أن أجري مع إلهي حوارًا لم يكن متاحًا قبل الشفاء. أدرك الآن أن وجود الله هو مصدر دائم للقوة التي لا أتخيل الحياة بدونها.

"أشعر بحق أني ربنية الجديدة، ربنية القادرة على الاختيار بحرية، وليس الوقوع في قبضة الكبت والقمع.

"لقد قاوم أهلي استقلالي عنهما، لكن بينما أختار

أن أطيع الله وأن أفعل ما يُخبرني إياه، أجد أن حبه يُحررني.

"لقد أعاد هذا أيضًا تنظيم علاقتي مع أهلي، فأصبحت علاقتنا علاقة أقران بدلاً مِن علاقة سلطة ومرؤوس. لقد أخرجت عملية الشفاء الجانب الذكوري مِن كياني إلى الخارج، والذي كان غارقًا طيلة هذه السنوات، وتحديت نفسي أن أجعل نمو هذا الجانب قويًا. كانت تحاول رينية القديمة في بعض الأحيان أن تخرج إلى الأمان الزائف الذي ربطها فيه الجانب السلبي المعروف، لكن هذه الطريقة الزائفة مِن الحياة هي في الحقيقة موت".

تحرير المرأة لتحقق ما خلقت لأجله

لم يعد هناك عجز ناتج عن خلل جنسي في حياة رينية، فقد أصبحت حرة لتنظر بموضوعية إلى كل موقف يطرأ على حياتها، وأن تتشاور مع زوجها ومع الآخرين مِمن تُقدّر حكمتهم، وتفكر بحرصٍ في آرائهم في روح الصلاة، ومِن ثم تبدأ في التغييرات اللازمة. لم تعد تفعل ما يجبرها عليه والداها أو الآخرون مِن منطلق التبعية وعدم النضج، حتى إذا كان ذلك في طبيعتها كامرأة أن تستجيب لمتطلبات الآخرين. أصبحت الآن [بعد مرورِ عامين] حرة بالتمام لتكون المرأة التي تحقق ما خُلقت لأجله، وذلك بعد أن دخلت في علاقة مع الذكورة التي بداخلها. لم يستطع والدها أن يُحررها [ويُحرر نفسه كذلك] مِن سلطة أمها وبالتالي يُثبت شخصيتها كإنسانة ناضجة، لكنها وجدت حريتها في المسيح.

الفرق بين رينية والسيدات الأخريات الأكبر منها سنًا في عائلتها هو أنها سعت لتجد مساعدة، وإذا لم تكن قد

حصلت على هذه المساعدة، لكان انتهي بها الأمر إلى عدم معرفة الفرق بين محبة الأم التي تحرر والمحبة التي تبيد، ولكانت أيضًا قد استمرت في انفصالها عن الصلاح الذي يأتي مِن الجانب الذكوري الذي بداخلها، وأخيرًا ستكون قد استسلمت للذكورة المزيفة. وبالرغم مِن أنها كرهت ما كانت تفعله أمها لها، إلا أنها كانت ترى أمها تخرج منها في سلوكياتها مع أبنائها، لكن بعد أن حررت نفسها، تعرف كيف تُحرر أبناءها.

هناك احتياج شديد لخدمة الصلاة الشافية في الكنائس اليوم، وأن يملأ الكثيرون مِن أمثال رينية كنائسنا. أتساءل عن الشخصية التي كانت ستكون عليها أم ريتشارد أو أم زوجته، إذا كن قد حصلن على الشفاء اللازم لهما، فكلتاهما نشأتا في الكنائس وكانتا مواظبات على حضور الاجتماعات طول مدة حياتهما. مِن المدهش أن نرى سيدات عانوا مِن وجود عوائق تمنعهن مِن تحقيق ما خلقن ليكونوا عليه، أمثال هؤلاء، وأصبحن بعد حصولهن على الشفاء قادة اجتماعات. ينبغي أن تكون المهمة الأساسية والهدف الأول لقادة الاجتماعات في الكنائس هو أن يحرروا أمثال هؤلاء الأشخاص (١) ليحققوا ما خلقوا لأجله، و (٢) وليكونوا مثل أمهات إسرائيل اللائي كن يُعلمن ويُحررن الآخرين. بكلمات أخرى، ينبغي أن يكون هناك سيدات قائدات مؤثرات مثل القادة الرجال؛ وبهذا فقط سيكون الرجال والنساء أكفاء في الدعوة التي دعاهم الله لها، [لا يستطيع الرجال أن يُحققوا إرساليتهم في مملكة الله بدون النساء]، لكننا نحيا في عصر فيه معظم القساوسة والقادة العلمانيين [سواء أكانوا رجالًا أو سيدات] لا يعرفون كيف يشفوا ويحرروا أمثال هؤلاء النسوة، بل أنهم في الحقيقة خائفون جدًا مِن مواجهة هذه الاحتياجات الروحية

والشخصية. في كثير مِن الأحيان، عندما تطلب سيدة مِن أمثال هؤلاء المساعدة، يتحول بها الأمر إلى مذاهب روحية وفكرية مُلزِمة [أي الفلسفات الشائعة وأفكار علم النفس أو الأفكار اللاهوتية العصرية]، أو كمخرج سهل يتحول به الحديث إلى دورها في البيت أو في الكنيسة، بدلا مِن تأكيد هويتها في المسيح، الذي هو الطريق إلى الكمال.

قصة جودي

تتشابه قصة جودي مع قصة رينية في وجود أمّ تتصف بصفة التملك، لكنها تختلف عنها في أمر التوازن الجنسي، فكانت جودي في حاجة ماسة إلى علاج نفسي أكثر مِن رينية وذلك لأنها منفصلة عن شخصيتها الجنسية الرئيسية، أي عن أنوثتها.

كان عقل جودي الواعي، والتحليلي وكذلك عقلها الأستنتاجي، متطورًا جدًا، وكانت ناجحة جدًا فيما مضى، حتى إلى وقتٍ قريب، وكان هذا النجاح في مجال رجولي بحت. فقد طورت جودي مِن قوتها الجسمانية إلى حد يجعلها تُنافس الرجال في مجالهم، وفي العديد مِن المجالات الرياضية، وكانت تستمتع بإبراز مواهبها وقوة تحملها أمامهم. كانت المقولة الشهيرة في عالم الرجال التي تقول "أسعى نحو القوة" تعمل بشدةٍ بداخلها، وكذلك القوة الذكورية التي تُؤيد هذا. وإذا كان جانب الأنوثة متطورًا كذلك بداخلها، لكان الأمر جيدًا، لكن في حالة جودي، كان الأمر يُشير إلى وجود عدمِ توازن، ورغم تطور الجانب الذكوري عندها، كانت صغيرة الحجم في الجانب الأنثوي، لم تكن جودي في انسجام مع نفسها ومع عقلها الحدسي، وبعيدة كليًا عن نشاطها الجنسي الأنثوي، هذا النشاط

في المرأة، كما أشرنا مِن قبل، هو النشاط الذي يستجيب للذكر ويستقبل منه، إلا إذا كان هذا في وضع حرج، لكنه أمر طبيعي وحيوي للمرأة بيولوجيًا وماديًا ونفسيًا، وجودي لم تعرف هذا النشاط أبدًا.

ولأن جودي لم تكن في علاقة مع الجانب الحدسي الذي بداخلها، لم تكن مدركة باحتياجها لتغفر لأمها، كان هناك بداخلها غضب عميق الجذور، وكان هذا الغضب مكبوتًا ومُتجَاهلاً، لكنها في الحقيقة كانت واعية جدًا باحتياجها لتتحرر مِن قوة القهر القوية والغير طبيعية المتأصلة بداخلها، والمتعلقة بعلاقتها بأمها، والذي يصطحبها اختلال جنسي شديد، وكان هذا القهر سحاقيًا في طبيعته.

كان لجودي ماضي مِن خبرات جنسية شاذة، وكانت بعض النساء يثيرونها جنسيًا، كان احتياجها لعلاقات حميمة قويًا جدًا، ولم تكن حرة عند سن الحادي والثلاثين لتدخل في علاقات مع الرجال، فكانت تبكي وتقول، "هل سأعيش وأموت بدون أن يُلاحظ أحد هذا الشيء الذي بداخلي؟" أكَّدتُ لها أنه لن يحدث ذلك، وأكدت لها أيضًا أنه لم يوجد مثل ذلك الأمر الذي يُسمى اللوطية* والسحاقية، لكن هذه الأمور هي انفصال عن بعض المناطق الصالحة في النفس، هذه المناطق التي تكون غير مؤكدة، وأكدت لها أن الله سيساعدنا على إيجاد تلك المنطقة في ذلك اليوم.

سألتها بعد ذلك عن أية قصة بالتحديد في كتاب "الصورة المكسورة" لمست قلبها، وهنا جاءت العبارة التي تقول "عندما لا نكون في علاقة كافية مع أنفسنا الداخلية لنعرف إننا لم نُنس". أحست جودي أن حالتها لا تتشابه مع أية قصة مِن قصص السحاقية التي قرأتها في كتابي، لكن كان في الكتاب مثال عن فئة

معينة مِن الناس، هذه الفئة يكون فيها السلوك السحاقي متصلاً بصفة أولية باحتياج المرأة لتتحرر مِن تأثير أمها المسيطرة والمتملكة[١].

كانت أم جودي في أواخر الأربعينيات عندما وُلِدت جودي الابنة الوحيدة لأبويها، كان جوابها لسؤالي ماذا كان دور أمها في تقديم النموذج الأنثوي لها، هو، "أنا لا انظر لأمي باعتبارها امرأة"، أدركت عند سماعي لهذه العبارة أنها قد رفضت أنوثة أمها، وبفعلها هذا، قد رفضت أنوثتها.

تحتاج جودي أن تغفر لأمها لأنها كانت مثالاً أنثويًا ضعيفًا لتحتذي به [بل وأيضًا مثالاً منفرًا]، وكانت أيضًا تحتاج أن ترجع عن أي لفظ قسم يتعلق بذاتها تلفظت به في طفولتها، وذلك قبل أن تقوم بقبول أنوثتها. كان عليها أيضًا أن تسامح أمها على أمرٍ آخر، وهو، في حالتها هذه، كونها المتهم الأول في مشكلتها مع الشذوذ الجنسي [السحاقية]، فكانت تطلب أم جودي منها في فترة طفولتها، انتباهها الكامل لها، وكانت تحرص بصفة خاصة على فصل جودي عن أية علاقة مع الرجال والأولاد، كان هدفها النفسي مِن وراء ذلك هو أن تجعل جودي متمركزة حول أنوثتها، وبالتالي لم يكن هناك أية وسيلة لتطور مِن نشاطها الجنسي الأنثوي، كان ذلك أمرًا مفسدًا جدًا في حياة جودي، حتى أنها لم تكن تدرك مدى فساده أو أنها كانت تحتاج لتغفر لأمها على أفعالها هذه.

كانت تشعر فقط بالذنب لأنها كانت تبعد عن أمها بنصف قارة، ولأنها لم تستمر في تقديم الاهتمام الذي طالما كانت أمها في حاجة إليه. كان الغضب الشديد الذي كانت تكنه لأمها يسبب خرابًا في أعماق نفسها، ولم تكن تدرك ذلك.

قالت جودي أن أمها كانت مثل المكنسة الكهربائية؛ مستعدة دائمًا لتنقض عليها. لم تستطع أن تُدلي بذلك بدون اعتذار مسرف لأمها، [مِن المثير للاهتمام أن كِلا مِن جودي ورينية يستخدمان نفس التشبيهات]. سألتني وهي ترتعش لماذا أثّر فيها كثيرًا قول أمها الذي كانت تزيد تعيد في قوله، "أنتِ المحور الذي تدور حياتي حوله، بل أنتِ حياتي نفسها"، وطلبت في الحال مِن الرب أن يغفر لأمها هذا القول، وبدأت تُخبرني كم كانت أمها صالحة داخليًا وحسنة النية. اندهشت عندما سمعتني أقول أنه بدلاً مِن الاعتذار لأمها، عليها أن تعترف بمشكلتها أمام الرب وتغفر لها أفعالها وكلماتها.

كانت تحتاج جودي أيضًا لأن تغفر لأبيها، بالرغم مِن أن مشكلتها النفسية الأساسية كانت تتعلق بأمها، والشفاء الذي كانت تحتاج إليه يأتي عندما تغفر لأمها وعندما تنفصل شخصيتها الجنسية عن مصدر الأمومة الذي أتى منه كيانها، فأبوها، بعكس أبي رينية الذي كان محبًا ومصدر تأكيد لشخصيتها ومخففًا بقدر معين مِن تأثير تَحَكُم أمها عليها، كان أبو جودي، مغشي البصر في البيت، وتتحكم أم جودي فيه كليًا، ولأنه كان ضعيفًا وغير متحيّز، كان تواجده في علاقته مع جودي وأمها نكرة. فهو لا يعمل أبدًا على تخفيف الصدمات بين زوجته وابنته.

الصلاة والفهم اللذان جلبا الشفاء لجودي

سألتُ جودي أولًا ما إذا كانت ترغب في التوبة عن حياة الشهوة السحاقية، وكان رد فعلها أنها ترغب جدًا في فعل ذلك، لأنها كانت تعلم أن السلوكيات السحاقية العلنية تقود فقط إلى تعاسة أكثر ولا تحل مشكلاتها، هذا بجانب رغبتها في إرضاء الله. فتَحَت هذه الصلاة وقبول الغفران الطريق أمام شفائها النفسي.

بينما كنا نتحدث ونصلي، بدأت جودي تدرك التشويش الجنسي الذي لديها، وأنه المصدر الذي أتى منه القهر السحاقي الشديد الذي كانت تعاني منه. الفقرة التالية من الأسئلة التي وجهتها إليها جعلتها تدرك الطبيعة الرمزية للمشكلة، فسألتها عما يميز السيدات اللائي يثرن غرائزها، وعرفت من وصفها لهؤلاء السيدات، أنهن كن مثلها تمامًا، أي ناجحات، ومهتمات بالجانب الفكري، ويمتلكن قوة المبادرة، لكن كان هناك استثناء واحد واضح، فكل من السيدات اللائي ذكرتهن فاتنات الأنوثة. نرى هنا مرة أخرى القهر لأكل لحوم البشر، فكان دافع جودي الغريب والقهري لتكون معهن وفيهن علامة مذهلة على احتياجها للاندماج مع صفاتها الأنثوية. كانت ترى فيهن أنوثتها البعيدة، فهي كانت، في الواقع، تُسقط أنوثتها الغير مُدركة لها عليهن، وبالتالي تعاني من تجارب قوية لتندمج معهن بسلوكيات جسدية. لقد اندهشتْ كثيرًا عندما رأتْ ذلك الأمر، وقد أدرك قلبها أن هذا هو الحق.

كانت تحتاج أيضًا لصلاة لفصل شخصيتها عن شخصية أمها، وأيضًا صلاة من أجل التحرر الداخلي من قيود تملك الأمومة وسيطرتها اللذين كانا يعملان بداخلها. لم يكن الاحتياج النفسي في هذه الحالة احتياجًا

صغيرًا.

لتتم عملية شفاء كهذه، ندعو حضور الله ونسأل قوته ومحبته أن يبينا لنا ما نحتاج أن نفهمه، ومِن ثم نستطيع أن نكسر القيود القهرية التي أبقت المرء مقيدًا روحيًا وعاطفيًا لإنسان آخر. تتفاوت بالطبع درجات هذه المشكلة، لكن في بعض الحالات يكون الأمر كما لو كانت نفس الإنسان مربوطة بنفس أمه، وتكون الصلاة مشابهه لصلوات التحرر مِن الأرواح الشريرة، لكنها صلاة للتخلص مِن سيطرة الأم وانتهاكها لنفس وروح ابنتها. أخبرني أحدهم ذات مرة وقال، "لقد اغتصبت أمي ذهني"، وقال آخر، "لا أستطيع أن أبعد عن محضر أمي، حتى إذا كنتُ بعيدًا عنها آلاف الأميال". فهذه بحقٍ قيود شديدة.

في مثل هذه الحالات، لابد وأن نعالج أولا الشعور بالذنب، وبغير ذلك قد ترفض المرأة الشِفاء [وإن كان ذلك بدون وعي]، وقد توبخ وتتهم نفسها بسبب المشاكل التي تواجهها مع أمها، وذلك لأنها تعاني مِن شعور بالذنب المبهم واللامنطقي والنابع مِن عدم قدرتها على إرضاء أمها وتحقيق ما توقعته منها، وأيضًا عدم قدرتها على محبتها بطريقة كافية. سيكون الشعور بالشفقة والحزن بسبب الفراغ الذي في حياة أمها، بمثابة عواطف مشلولة بداخل هذا الشعور بالذنب، وتحتاج المرأة أن تتحرر مِن المخاوف التي تنتابها بشأن كونها غير مؤمنة وغير محبوبة، وذلك لأنها لا تسمح بتدخلات أمها النفسية في حياتها. هذه التدخلات النفسية، فوق كل شيء، هو ما اعتادت أن تُسميه بـ "المحبة". لابد أن نؤكّد لها انه فقط

بعد أن نالت حريتها [أي فصل شخصيتها عن شخصية أمها] تستطيع أن تحب وأن ترتبط بأمها بطريقة صحيحة — أي كإنسانة كاملة. وحتى يحدث هذا الأمر، هناك جزء ما بداخلها يتسم بعدم النضج، ولا يزال تحت سلطة أمها، ولا يزال معرضًا للانتهاك. لكن إذا كانت شخصيتها ثابتة، ستكون مُعدّة لتقبل حريتها من الذاتية التي تمنعها من النضج في بعض المناطق الحيوية في شخصيتها، أن لم يكن في شخصيتها كلها.

عادة ما أسأل المرضى في الصلاة من أجل التحرير أن يروا يسوع بعيون قلوبهم، أي أن يروه معلقًا على الصليب آخذا على نفسه نفس الآلام والقيود التي يعانون منها، وكذلك كل عدم غفران أو خطية في قلوبهم. وبينما أصلي من أجل فصلهم عن سلطة أمهاتهم، أسألهم أن يمدوا أياديهم إليه وأن يروا الألم والظلمة ينتقلون إلى يديه المسمرتين على عود الصليب. غالبًا أسألهم، بدون أن أقطع عليهم سير الصلاة، وأقول، "ماذا تروا بعيون قلوبكم؟" وتجد أنه أمر رائع أن ترى الظلمة تنتقل منهم وتتجه إلى المسيح، وكثيرًا ما أرى عين ما يراه المريض بينما يقود الروح القدس الصلاة.

أسأله بعد ذلك، أن يتصور أمه، وهذه الخطوة هامة جدًا لأن الروح القدس يتحكم في سير الأمور، وتحدث قوة الشفاء بطريقة قوية جدًا، وتكون الصورة التي تأتي إليه عن أمه واضحة جدًا، فهي صورة تجعله يراها بطريقة موضوعية لأول مرة في حياته، وبهذه الطريقة يتمكن من مسامحتها. أسأله بعد ذلك أن يرى ما إذا كانت هناك أي قيود بينهما مازالت موجودة، وتجده

يرى هذه القيود ويدعوها بإسمها. أطلب منه كما لو كان يمسك مقصًا في يديه، أن يقطع القيود التي يراها. ويكونِ الشعور بالراحة التي تنتج عن هذا الفعل هائلا جدًا، ويُعبّر عن هذه الراحة في بعض الأحيان ببعض العواطف والأفعال الجسدية، نرى هذه القيود بعض الأحيان متمثلة في أمراض شديدة في الحبل السري، وغيرها الكثير، وعندما يتم قطع هذه القيود، نرى صورة رمزية حقيقية عن التحرير الذي حدث[٢].

صلينا جودي وأنا، بنفس هذه الطريقة، فبعد أن غفرت لأمها، خرج كل غضب وعداء مِن قلبها تجاه أمها ودخل في يد المسيح الممدودة لها، وقدمت لله اعتذارًا لأنها عرفت حقيقة أن أمها قد تكون تُعاني مِن مشكلة ما، وتابعتْ ذلك بصرخة قائلة فيها، "أمي... كل مشكلة سبق وعانيتُ منها ستعود إليك، فأنتِ قد جرحتني بشدةٍ"، وغيرها مِن الكلمات.

لقد صدق قلبها كل هذه الأمور، لكن بعد أن واجهت الموقف واعترفت به، تحررت جودي مِن الغضب المكبوت بداخلها واستطاعت أن تغفر لأمها بالتمام، وأصبحت أيضًا تستطيع أن تأخذ مسئولية كاملة عن أفعالها، وأن تعترف بها للرب. وفي الصلاة التي فيها قطعت كل القيود بينها وبين أمها، صرخت جودي قائلة، "لقد أخذتُ روح أمي بداخلي، وليس روح الله!" كانت جودي ترى شيئًا لزجًا رمادي اللون يخرج مِن أمها ويطير في الهواء متجهًا إلى جسدها. كانت هذه بالطبع الطريقة التي صوّر بها قلبها حب الأم المريض التي عرفته، تابعتْ الصلاة مِن أجلها إلى أن تمكنَت مِن رؤية هذا الشيء اللزج يخرج منها ويدخل جسد المسيح المُعَلق على الصليبُ، صليت بعد ذلك أن يدخل نور المسيح وحبه جسدها ويغمر كل الأماكن

التي كان تملأها القيود.

بعد أن تم فصل شخصيتها عن شخصية أمها، كانت لا تزال في حاجة إلى عملية شفاء أخرى، فسألت الله أن يدخل بداخلها وأن يجد ويؤكد شخصية المرأة الجميلة التي بداخلها، واصلنا الصلاة بوضع الأيادي، بينما لمس يسوع أنوثتها وشفاها. لم تستطع أن تؤمن جودي أن هذا حدث بالفعل، لكننا كخدام نؤمن بأنه قد حدث.

صليتُ أخيرًا مِن أجل عطية الطهارة والحفاظ على بتوليتها حتى أن تتزوج، وهذه الصلاة أدهشتها جدًا. أعتدت أن أصلي هذه الصلاة لمن كانوا يُعانون مِن كبت جنسي، وذلك لأنهم بعد أن تحرروا، سيحاولون أن يعوضوا عما فاتهم. تحدثت جودي إليّ بعد ذلك بوقت ليس بقليل وهي في حالة مِن الدهشة، وأخبرتني أنها بينما كانت في لقاء عمل مع رجل أرمل صغير السن، اختبرتْ لأول مرة نشاطًا جنسيًا أنثويًا، قالت، "لقد انتظرت طيلة حياتي مِن أجل ذلك، بالطبع أنا سعيدة جدًا لأنكِ صليتِ مِن أجل عطية الطهارة". اليوم أصبحت هذه الشابة كاملة، ويعكس مظهرها الخارجي توازنًا بين جانبي الذكورة والأنوثة الملائم لها كامرأة.

عندما تكون المرأة خانعة لزوجها

رغبت كلٌ مِن جودي ورينية، راغبات في التخلي عن أية أصنام في حياتهما، وأن تقبلا مركزهما في المسيح، وأن يستمعا لله ويُطيعانه. وليس كذلك كل النساء، فيحتاج عدد كبير مِنهن إلى شفاء في أمر الخنوع أمام أزواجهن وليس أمام أمهاتهن وأسرهن. هؤلاء، بنسب ثابتة، ليسوا في علاقة مع الذكورة التي بداخلهن، وفي خطر أن يصبحن نكرة أو يتلاعب بهن.

فهم مالوا نحو "الوثن الذي في حياتهن" ويطلبن أن يجدن ذواتهن فيه، وذلك بسبب بعدهن عما هو صحي وسليم، أي العلاقة مع الله والاستماع لصوته. وتحتاج هذه النساء إلى صلاة مِن أجل توازن جنسي.

المرأة التي تعمل على التخلص مِن هذا القيد

قد ينحرف نشاط المرأة الجنسي الطبيعي الذي تستقبل به مِن الذكر وتستجيب له، ويصبح في حالة مِن الخنوع لزوجها، وهذا بدوره يعمل ضد التكامل اللازم وجوده في الزواج، فتعمل استجابتها الأنثوية مِن زوجها وزواجها صنمًا، بدلًا مِن أن تكون هذه الاستجابة الأنثوية وسيلة لخلق التكامل في الزواج. فأية أيقونة أو سر مقدس يُساء استخدامه أو فهمه، يصبح وثنًا، بدل أن يكون وسيلة لانهمار نعمة الله، ويصبح أيضًا شيئًا نتنفس فيه عن مخاوفنا وأفكارنا، وبالتالي تتأكد داخلنا هذه المخاوف. فنحن أخذنا مِن الله أمورًا رائعة، لكن بسوء استخدامنا لها نجعلها أمورًا سيئة لقلوبنا وعقولنا، ونجلب بها على أنفسنا موتًا وظلامًا وليس نورًا وحياة، وهكذا الحال مع سماتنا الخاصة كذكور وإناث، وخاصة في الزواج. وعندما نسقط في الخطية، تصبح هذه الأمور الصالحة في خطر أن نتمسك بها كأنها الوجود الأعظم، وبالتالي ينتج عنها الوثنية. كان يسعى الرجال الذين كتبت عنهم سابقًا، لتأكيد ذكورتهم بالمواهب التي يتمتعون بها كرجال، وليس في الله الذي هو أعظم وجود في حياتهم، وإنما في قدرتهم الفائقة على إدراك البيئة المحيطة بهم وتشكيلها والتحكّم فيها. والشابات صغيرات السن، كن في خطر محاولة وجود وتأكيد شخصياتهن في حب الرجل وليس في حب الخالق، وذلك بالمواهب التي يتمتعن بها كنساء وبنشاطهن الجنسي الطبيعي للرجال

ويستقبلن منهم.

بدأت أدرك عن خبرة شخصية، وذلك في بداية حياتي المسيحية الناضجة، لماذا تواجه النساء أوقاتًا عصيبة في علاقتهن مع أزواجهن، رأيت بكل وضوح أن المرأة تخنع للرجل بسبب السقوط، وتريد أن تجد شخصيتها وهويتها فيه، فمكتوب:

> وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: "تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَداً. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" ــــالتكوين ٣:١٦

أنار الله هذا الشاهد أمامي، وتعلمت منه أن أسلك في الطريق الصحيح الذي أجد تأكيد شخصيتي فيه — أي الله. بتحرير المرأة تشفي مِن هذا الخنوع، فيهبها هذا التحرير وهذا الفداء إمكانية طاعة الله وتأكيد شخصيتها فيه، وبالتالي اكتشاف ما هو الخضوع المسيحي الحقيقي، للزوج وللجار وكذلك للكنيسة.

فأن تُعلِّم، مثلما أفعلُ في إرساليتي، عن حقيقة التجسّد، وعن عمل الروح القدس في حياتنا، هو أن تُعلِّم عن الحرية المسيحية. رأيتُ مِن بداية خدمتي، العديد مِن السيدات يمتنعن عن الدخول في هذه الحرية، وذلك بسبب أفكار مغلوطة عن الخضوع المسيحي. كانت بعض السيدات يخشين طاعة الله، ظنًا منهن أن هذا يعني عدم الخضوع لأزواجهن وللقس راعي كنيستهن وغيرهم. لم يكن هؤلاء أحرارًا ليفعلن الصواب، وغير مدركات أنهن [وأنهن فقط] مسئولات عن فشلهن في التسليم لله.

لا تقتصر هذه المشكلة على النساء وحدهن، فقد تجد رجالاً يعانون مِن نفس الشيء، وذلك لأن ذكورتهم مكبوتة بسبب أفكار مغلوطة عن الطاعة المسيحية للآباء ولقادة العمل وأيضًا لقادة الكنيسة.

رأيتُ العديد مِن الرجال والنساء في أماكن مسيحية يُميتون الذات الحقيقية التي بداخلهم، ويُسمون هذا طاعة لله ومسميات أخرى كثيرة تتبع التواضع والخضوع المسيحي. لا يستطيع الرجل والمرأة أو أي مجموعة مسيحية الاستماع لصوت الله بينما يتبعون أفكارًا مغلوطة عن طبيعة الخضوع المسيحي، ولا يستطيعون أن يُطيعوا الله بفاعلية. وللأسف، النساء هم أكثر مَن يتأذى.

شِفاء المرأة

مع أنه ليس مِن اختصاص هذا الكتاب التحدث عن الأبعاد الاجتماعية لخضوع المرأة [أو تحرير المرأة]، لكننا نحتاج أن نتناول القليل عن هذا الأمر، لأننا سنتناول أفكارًا نفسية لدى العديد مِن النساء، وبالطبع تتعلق هذه الأفكار بالصعوبات التي مرت بها رينية وأمها وحماتها، فكان العالم الذي يعيشون فيه محاصرًا ومحدودًا بأفكار عن مكانة المرأة.

هناك عوائق تقف أمام رغبتنا لنكون ما خلقنا الله لأجله مثل تلك التي في أسرة ريتشارد، مِن سوء فهم الكنيسة لكِلٍ مِن مكانة المرأة والخضوع المسيحي الحقيقي. فمثلاً، كان التأكيد على دور المرأة، قبل وقت قريب، ذائع الصيت حتى أنه منع فكرة النظر إليها كشخص. فكل مِن رينية وأمها وكذلك أم ريتشارد، تربوا في ثقافة أكدت على دور المرأة، بينما كانت ترى هذه الثقافة المرأة فقط في الرسومات الكاريكاتورية.

بدأت أتقابل في ذروة تعليمي عن خنوع المرأة مع حالة تلو الأخرى مِن سيدات جُرحن كثيرًا بينما كن يطلبن المساعدة، ووجد الكثيرات منهن لأول مرة حريتهن في المسيح أثناء النهضات التي كانت تُقام في

الكنيسة. بدأت هذه السيدات في الخروج للنور عندما بدأت تُقدم التعاليم عن الخنوع. كانت هذه السيدات المعذبات تقف في صفوف طويلة تنتظرن دورهن في الحصول على المساعدة التي كانت تُقدَم، وذلك في نهاية حلقات الصلاة مِن أجل الشِفاء

قالت إحدى السيدات في تلك الاجتماعات بعد أن طال انتظارها في ليلة الصلاة تلك، "إذا لم احصل على مساعدة الليلة، سأقتل نفسي"، وكانت تعني ما تقوله. أتضح الأمر بعد ذلك أنها كانت تعاني مِن مشكلة نفسية عسيرة مع الرجال، ولم تكن تدرك ذلك. قال لها القس راعي الكنيسة، أنها ستتحسن إذا ذهبت للبيت وخضعت لزوجها، وذكّرها أن زوجها رجل صالح. لكن في المقام الأول، لم يكن لدى هذه الزوجة والأم الصغيرة إحساسًا بوجود نفس حقيقية بداخلها لتخضعها لزوجها، وكانت مدركة لصلاح زوجها وبما أنجزه. فأبوها لم يؤكد شخصيتها كامرأة وكإنسان، وبالتالي كانت تُكافح لتجد ذاتها، ولذلك، فهي تُسيء فهم ما قاله القس راعي كنيستها، وتفقد شعلة المحاولة الضعيفة التي تجعلها تكون ما خلقها الله، ظنًا منها أنها بهذه الطريقة خاضعة.

بعد أن صليت معها تلك الليلة، وسألت الله أن يُخرج أية ذاكرة جذرية لها علاقة بخوفها مِن الرجال، ظهرت الذاكرة المدفونة بداخلها ــــ وهي الذاكرة التي كانت مكبوتة جدًا، كانت هذه ذاكرة قديمة ومتعلقة بسِفاح القربى، فهي قد تعرضت لانتهاك جنسي بوالدها، الذي يعمل أستاذ جامعي وهو رجل محبوب جد مِن المجتمع. لم يكن والدها هذا قادرًا على حمايتها وتأكيد شخصيتها وهي بعد طفلة صغيرة، فقد فشل في احترامها كإنسان. لم يكن انتهاكها الجنسي هذا اغتصابًا، لكنه كان إساءة لأعضائها التناسلية، فكانت

تُعامل بلا محبة كأنها شيء. لم تستطع أن تدخل في علاقة ايجابية مع زوجها قبل أن يتم الكشف عن هذه الذاكرة، ولم تستطع أيضًا أن تغفر لأبيها وأن تقبل نفسها، هذه النفس التي أسيء استخدامها عن طريق والدها.

كان احتياجها شديدًا، ونستطيع أن نُدرك الإحباط الذي كان ينتابها تجاه نفسها وتجاه المشكلة التي كانت تظن أنها تسببها لزوجها. لكن لماذا أدى تكرار نصائح القس راعي كنيستها لها إلى التفكير الجاد في الانتحار؟ في تقديري الخاص، أعتقد أن حالتها هذه نادرة. ولماذا ينتاب غيرها من السيدات ممن أقل حاجة منها إلى المساعدة، شعور بالإحباط عندما يقوم راعي كنيستهن أو غيره ممن في سلطة بتقديم نصائح لهن أو الصلاة من أجلهن ليكونوا زوجات وأمهات صالحات؟

لا تستطيع المرأة التي تُعاني بهذه الطريقة التعبير عن مشكلتها، فمشكلة هذه المرأة هي أن القس راعي كنيستها ينظر إليها على أنها تنتمي إلى فئة معينة، وليس كإنسان، وبالتالي يدفعها، وإن كان لا يرغب في ذلك، إلى حالة السقوط، أي الحالة التي تحاول فيها العثور على شخصيتها في مخلوق [زوجها] وليس في المسيح، وهي تُدرك استحالة ذلك. كان من المفترض أن يُصلي القس بهذه الطريقة، "أشكرك يا رب لأنك توجّه محبتك لزوجها ولأبنائها من خلالها"، فهذه الصلوة لا تمس شخصيتها بأي شكل من الأشكال.

تكتب دوروثي سايرس، عن احتياجنا أن نرى أنفسنا كأشخاص وليس كفئات وطبقات:

> إذا تعاملنا مع كل الفئات والطبقات على أنهم كذلك، وتغاضينا عن الهدف الذي يسعون إليه، سيتولد عن هذا خصومات وتعطل في الدولة،

وهذا هو السبب لماذا تُشكّل هذه الفئات خطرًا... لقد حان الوقت الذي ينبغي فيه أن نصر على متطلبات كل رجل وكل امرأة كشخص مستقل... فأن نتحيّز طوال الوقت لفئة دون الأخرى، مثل التحيّز للصغار ضد الكبار، والعمال اليدويين ضد العمال في أعمال دقيقة، والأغنياء ضد الفقراء، والرجال ضد النساء، هو أن نمزّق أساسيات الدولة، وإذا تمادى اتساع هذا الشق، لن يفلح العلاج لكن سيكون هناك قسر وإكراه وديكتاتورية[٢].

تابعت هذه السيدة كلامها وتساءلت قائلة، "هل الهدف مِن كل الخليقة هو القيام بنفس العمل؟ كلا، بالطبع لا، فكل الرجال والنساء متساوون في خلقتهم ـــ ونحن خُلقنا لنؤدي أدوارًا مختلفة"، لكنه أمر غير صحي أن "أمتحن دوري كامرأة"، و"دور المرأة في المجتمع المعاصر" قبل أن نمتحن دورنا كأشخاص.

يُدرك الكثيرون منا الحق الذي في كلام دوروثي، ويستطيع البعض التعبير عنه جيدًا، لكن هناك حرب مستمرة في قلوب معظم النساء ــــ حرب هادئة لا ندركها. لقرون عديدة مِن هرب الرجل مِن المرأة، والأفكار الخاطئة عن وضع المرأة المؤمنة، تجد لها موطيء قدم في مخيلتنا وفي أعماق قلوبنا. لدينا مراقبون يتبعون القانون في هذا النضال، وليس مراقبون النعمة والحرية. لا يزال لدينا أفكار خاطئة بأن الموت عن الذات يعني الموت عن قوتنا لنفعل ولنكون [أي الإرادة الذكورية الخلاقة] وذلك بالرغم مِن إننا قرأنا عن الدور الحيوي الذي لعبته المرأة في الكنيسة الأولى، لذلك، نحن دائمًا في خطر قتل الذات الحقيقية، وعلى الأقل جدًا، قد نُخاطر بعدم التوازن بين الذكورة والأنوثة اللذين بداخل أنفسنا وفي علاقاتنا

مع الرجال، ونفشل في رؤية أنفسنا كما يرانا يسوع.

ليس عجيبًا أن النسوة كن أولًا عند مهد الطفل يسوع وأخيرًا عند الصليب، فلم يعرفن رجلًا كهذا الإنسان—ولن يكون هناك مثله، فهو النبي والمعلم الذي لم يُضايقهن أبدًا، ولم يتملق عليهن أو ينل منهن ولم يتحيّز لهن، ولم يقل كلامًا سافهًا عليهن، ولم يذكرهن بأساليب وقحة. بل وبخهن بدون عتاب، ومدحهن دون تقليل من مستواهن، وجاوب أسألتهن بجدية، ولم يتجادل معهن لكونهن سيدات ولم يتهكم عليهن لكونهن إناث، ولم يكن له ثور ليحرث له أو كرامة ليُدافع عنها، لكنه تعامل معهن كما وجدهن وكان واعيًا بنفسه. ليس هناك فعل أو عظة أو مثل في كل الكتاب المقدس مدفوعًا بأفعال امرأة منحرفة، ولا يستطيع أحد أن يقول أن هناك ما يسخر بطبيعة المرأة في كلمات يسوع وأفعاله.

نستطيع أن نستنتج مِن معاصريه ومِن الأنبياء الذين سبقوه، ومِن الكنيسة الأولى وحتى كنيسة اليوم. أن المرأة ليست بشرًا، لا يستطيع أحد أن يقتنع أنها بشر، دعهم يقولون ما يشاءوا، فلن نصدق أي مما يقولوه، حتى ولو قام واحد مِن الأموات[٤].

هناك بالطبع مخاطر نفسية تجدها على النقيض— أي مِن خنوع متزمت للرجل إلى أنوثة مفرطة. المشاكل النفسية والروحية للمرأة المحصورة في حدود التركيبات العاطفية والفكرية بأية درجة، تُشكل خطورة متساوية، لكن كليهما يفتقدان إلى الحرية بالرغم مِن أنِ نوعية الحياة التي تكون في كل بيئة تختلف اختلافًا كبيرًا عن الآخر، وكِلاهما يضعان

المرأة في قيود، وتنجح المرأة في أية نقيضين في قتل نفسها الحقيقية.

كم كانت دوروثي سايرس رائعة إلى حد كبير عندما توغلت في دراستها عن الأنوثة كمذهب فكري. ودوروثي هذه واحدة مِن أوائل السيدات اللائي تخرجن في جامعة أوكسفورد، وهي عالمة لاهوت وكاتبة روائية وكاتبة مقالات، وهي أيضًا صاحبة كتاب "هل النساء كائنات بشرية؟ *Are Women Human?*" كانت تعلم دوروثي الطبيعة الحصرية لهذا المذهب، وقوتها التي تحدث انقسامًا ليس فقط في الثقافة لكن أيضًا في البشر الذين يتبنونها. قد يكون عدم التوازن الجنسي في الأنوثة المفرطة ظاهرة نفسية مرعبة، يظن الذين يعانون منها أنها الكمال [وحتى إذا كان ذلك مع الكثير مِن الآلام النفسية].

تفهم المرأة الكاملة أن رأس الرجل هو المسيح، ورأس المرأة هو الرجل، وهي لا تغتصب سلطة الرجل هذه، [والرجال أيضًا لم يغتصبوا هذه السلطة]، لكن الزوج الحكيم والكنيسة الحكيمة يدعوان الزوجة التي افتداها المسيح والناضجة روحيًا لتشارك في القيادة. قال ديفيد ماينس في هذا الصدد، في حديث له عن التعاليم المفرطة عن الخنوع، وهو قس يعمل في قناة Chapel of the Air [أي كنيسة الهواء]، قال، "يقول العقل القانوني أن الرجل مسئول إذا لم يدع المرأة لتشاركه في القيادة، وما هي المرأة إلا مخلوق مجهول بالتمام خلقه الله بالعديد مِن المواهب. الحرية والخنوع مبدأان كتابيان في كلمة الله، لكن الحرية هي المبدأ الأسمى.

يبدو التعيين السابق والإرادة الحرة وكأنهما مبدأان كتابيان متناقضان، ويبدو أن أحدهما يُبطل الآخر.

ترتبط مسئولية الإنسان بسيادة الله، وهكذا الحال مع الإيمان والأعمال، وأيضًا، وهذا ما ندرسه هنا، مع الحرية والخضوع بالنسبة لدور المرأة.

يكتب القديس بولس عن كِلا مِن الحرية والخضوع. تسير الأصحاحات التي تتحدث عن خضوع المرأة في خط واحد، ومِن السهل تتبعها في سياق القرينة. ولكي نفهم حرية المرأة، وهي الحق الأكثر سموًا وأهمية، وبالتالي يكون تعريفها أكثر صعوبة، لابد أن نقرأ الرسالة إلى أهل غلاطية بأكملها ــ بل بالحري كل العهد الجديد. ولكي نكون حذرين بألا نفسّر جزءًا مِن الكتاب المقدس بحيث يتعارض مع غيره مِن الأجزاء، سنُقارن الأجزاء التي تتحدث عن الخضوع مع غلاطية ٣: ٢٦-٢٨ وغلاطية ٥، فهناك خمسة أوامر في الكتاب المقدّس بالخضوع لله (يع ٤: ٧)، ولبعضنا البعض (أف ٥: ٢١) ولكل ترتيب بشري (١بط٢: ١٣-١٤؛ رو ١٣: ١-٧)؛ كذلك خضوع الصغار للكبار (١بط ٥: ٥)، وخضوع الزوجة لزوجها (أف ٥: ٢٢؛ كو ٣: ١٨؛ ١بط ٣: ١-٦).

إذا عملنا بوصية الخضوع إحدانا للآخر، ولكل ترتيب بشري، وخضوع الصغار للكبار والزوجة لزوجها، سنكون، كجسد المسيح، في مشاكل أكثر مما نحن فيه الآن. الحقيقة هي أنه يوجد شرائع ومباديء عليا لنطيعها، وهذه بعض الأحيان تنسخ الشرائع والمباديء الأدنى منها، فعندما يقوم قائد سياسي أو قائد ديني أو موظف أو أب/ أم أو زوج بعمل ما أنهي عنه الله ومنع ما أمر به الله، فإننا بهذا لا نقدم خضوعًا لله.

تعلم المرأة الكاملة أن هناك سلطات خارجية ينبغي أن تخضع لها. لكن كما رأي النازي الألماني ديتريش

بونوفر اغتصابًا للسلطة، هكذا المرأة، ينبغي أن تكون حذرة مِن اغتصاب السلطة التي تنتمي فقط للذكورة التي بداخلها وتلك التي بداخل الله، تعلم المرأة الكاملة أن هناك حدودًا للسلطة، وأن الشرائع العليا تنسخ الشرائع الأدنى منها. تنظر هذه المرأة إلى الله لتستمد منه شخصيتها الحقيقية والقوة التي تتفوَّق بها على محدوديتها، بدلاً مِن رؤية نفسها مِن خلال أعين مِن بالكنيسة الذين ينظرون إليها باعتبارها تنتمي إلى فئة معينة، وأيضًا بدلاً مِن إخضاع نفسها لمذهب أنثوي يعتبرها هو أيضًا جزءًا مِن هذه الفئة. تفعل كل ذلك لتكون الابنة المخلصة لله والتلميذ الأنثوي الذي خلقه الله ليكون ما أراده.

هناك شيء بداخل المرأة يُريد بشدة أن يأخذ الرجل الدور القيادي—كما يحتاج الرجل أن تشاركه المرأة هذه القيادة، وينبغي أن يفتح كلا منهما المجال لمواهب الله المُعطاة لهما في القيادة. وإذا لم يكن هناك رجل ليتولى القيادة، فهناك إذًا شيئ ما خطأ في رجال المجتمع، وهناك أزمة في الرجولة. يحتاج الرجل إلى الحكمة وإلى مواهب المرأة لكي يحقق قيادة ناجحة ومتوازنة، والمرأة تكون امرأة عندما يكون هناك رجل يتحلى بصفة الكمال يستجيب لها كما توجهه.

وبالتالي لكي تجد المرأة الكمال، عليها أن تختار أن تطيع الله، فهي بذلك تتخلى عن أي مركز فيه خنوع قادها إليه ميول نشاطها الأنثوي، ولا تنتظر بعد الآن أن تجد كيانها في ومِن خلال الرجل الذي أحبته. تفهم المرأة أن الفشل في قبول نفسها، والفشل في أخذ خطوة نحو التطور بسبب عدم تأكيد ذاتها كامرأة وأيضًا عدم تأكيد شخصيتها، سيتركها في حالة مِن عدم النضج الروحي والنفسي، هذه الحالة ستقودها إلى الحياة مِن خلال زوجها أو مِن خلال شخص آخر. ينبغي عليها

لكي تصل إلى كمالِ نضجها في المسيح، أن تختار الأنوثة الكاملة التي، تُكمّل ذكورة زوجها في زواجهما.

عندما يكون الرجل والمرأة في حالة توازن داخلي، سيجدان أن "الفارق بين الجنسين" قد أزيل، وسيكتشفان أنهما قد شُفيا، ليسِ ليعيشا متفرقين بدون حاجة أحداهما للآخر، لكن شُفيا بحيث يتمكنا من العمل والحب والعبادة معًا — في اكتمال.

هناك فارق بين الجنسين، سواء أكان ذلك مخفيًا أو واضحًا، ويستمر ذلك إلى أن يتصالحا عن طريق الزواج. من الكبرياء أن ندعو الصراحة والعدالة والشهامة بأنها أمور ذكورية عندما نجدها في امرأة، ومن الكبرياء أيضًا أن ندعو حساسية الرجال أو ذوقهم أو طيبتهم بأنها أمور أنثوية. يستطيع الزواج أن يشفي هذا الأمر، فيصبح الاثنان بالتصاقهما معًا إذ- بانًا كاملاً، على الصورة التي خلقهما الله عليها، وبالتالي تقودنا الحياة الجنسية إلى الخارج بعيدًا عن أنواعنا الجنسية(٥).

الملحق
الذكورة والأنوثة الحقيقيان

هل هذا نفس أمر الأنيما والأنيموس التي تحدث عنهما يانج؟

جيفري ساتينوفير، إم. دي. *Jeffrey Satinover, M.D.*

الذكورة والأنوثة

كتب كل مِن سي. أس. لويس وليني باين الكثير مِن الكلمات المؤثرة عن الذكورة والأنوثة، وذكرا أنهما صفات أساسية في عملية الخلق ويعكسا طبيعة الله نفسه، وأنهما — أي الأنوثة والذكورة — كانا متواجدين قبل الذكورة والأنوثة البشرية اللذين يُحددان النوع — لكنهما لا يتحددان بِه، كما تعتقد ذلك. على أن العلاقة بين الذكر والأنثى في كل المخلوقات تحدد، طبيعة هذا المخلوق وشخصيته، ويتضح هذا بشدة في المخلوقات [التي هي عناصر خليقة الله] التي تتكون مِن كائنين فرديين ماديين — مثل زوجين على سبيل المثال. وهكذا الحال مع الشخص، أي كائن فردي — إنسان.

عندما كتب ماريو بيرجنير كتابًا بعنوان "تنظيم الحب *setting love in order*"، يتكلم فيه ببساطة وبلباقة

عن العلاقة بين الذكورة والأنوثة على أنها الصلة المرتبة بين هذين الجوهرين الموجودين قبل وجود البشر، والتي تحدد نوعية وشخصية العلاقة، وأيضًا نوعية وشخصية الأشخاص الذين تتألف منهم العلاقة. نستطيع أن نفهم المزيد عن الرجل عندما نتمكن مِن وصف دور الذكورة في حياته، أي كيف يُجسدها أو كيف يفشل في تجسيدها، وكيف تكون علاقتها بالصفات الأنثوية في شخصيته: سواء كان يقدرها أم لا، أو سواء كان يقبلها بمعايير لائقة، أو يقذف بها بعيدًا عنه على الآخرين، وسواء كان يحبها أو يكرهها، وسواء كانت الذكورة والأنوثة اللذان بداخله يخدمان أحدهما الآخر أو في حالة حرب.

يخبرنا تي. أس. أليوت في سلسلة قصائده، الأربع رباعيات التالي:

في هذا الحقل المتسع

إذا لم تقترب، إذا لم تقترب

في منتصف ليلة مِن ليالي الصيف، ستسمع صوت الموسيقى

صوت المزمار الخافت، والقليل مِن الطبل

وتراهما يرقصان حول المشعلة

إنه اتحاد رجل وامرأة

اتحاد يدل على تزاوجهما

أنه سر إلهي مقدّس وجليل

اثنان واثنان، اقتران لازم

لكن الله نفسه الذي هو المحبة الحقيقية، هو الذي حدد أن تكون هذه الرقصة النظام اللائق لحياتنا، لكن بسبب انكسارنا، فشلنا في عدة طرق وعدة مرات وبعدة

مقاييس أن نرقص أمامه في فرح كما أراد وبالطريقة التي تُرضيه، وبالتالي جاء الله لينقذنا مِن أنفسنا. يقول إليوت، مرة أخرى، ومِن نفس المجموعة الشعرية:

يكسر هبوط الحمامة الهواء

بشعلة مِن خوفٍ متوهج

كالذي تستطيع أن تُعبر عنها الألسن

خوف مصدره الخطية والخطأ

الأمل الوحيد، وإلا بعده يأس

يكمن في اختيار مَحرقة أو مَحرَقة

أي أن تُفتدى مِن النار بالنار

مَن، إذا، الذي اخترع الألم؟ إنه الحب

الحب كلمة غير مألوفة

خلف الأيادي التي تنسج

قميص الوهج الذي لا يُطاق

والذي لا تستطيع أن تزيله الأيادي البشرية

نحن فقط نعيش، فقط نتنفس

ونحترق أما بالنار أو بالنار

جعل الله في إرادته المُحبة لحياتنا أن يكون، الرقص بيننا كبشر وبداخل كل منا أيضًا، وعندما نتوقف عنه بداخلنا، بسبب حدوث كسر ما في حياتنا، يتوقف — أي الرقص — بيننا وبين غيرنا مِن البشر. لنكون بحق رجالًا ونساءًا — أي رجال ذكورة ونساء أنثويات — لابد أن نستعيد الرقص الذي أمر الله به، مهما بلغت تكلفة ذلك.

الذكورة الحقيقية، ليست فقط جوهرًا فائقًا، لكنها صفة ملازمة، واضحة في الشخصية الرجال، وهي دائمًا ما تكون مرتبطة بأنوثة حقيقية: فصفة الذكورة الأساسية للقيادة قد لانت باشتياقها للخضوع لاحتياجات الآخرين. وهكذا يفعل الرجل المنكسر، الذي يكون تجسيدًا كاريكاتوريًا لتصميم الله، فيصبح رجلًا حقيقيًا.

الأنوثة الحقيقية، ليست فقط جوهرًا فائقًا، لكنها صفة ملازمة واضحة في لشخصية النساء، وهي دائمًا ما تكون مرتبطة برجولة حقيقية: فصفة الأنوثة الأساسية للخضوع قد تقوّت بالمقدرة على تسديد الأهداف النبيلة، وهكذا تفعل المرأة المكسورة، التي تكون تجسيدًا كاريكاتوريًا لتصميم الله، فتصبح امرأة حقيقية.

بالطبع ليس هناك مخلوقًا كاملا ــــ ولن يصبح كاملا في هذه الحياة ــــ لكن في علم النفس الأساسي والصحة الروحية [مرة أخرى يكون هذا داخل الأفراد وبين بعضهم البعض]، هناك الاتصال السهل للرقص ومع ذلك يخيم عليه النقص والقصور وعدم الكمال، لكن ليس ذات الأشخاص الراقصين. واحدة من الصفات الأساسية للأمراض النفسية والروحية، على وجه التحديد، هو انفصال الرجل والمرأة ــــ أي الانفصال الداخلي والانفصال بيناهما وبين بعض: أي أن تجمع الذكورة نفسها في نفس ومجتمع، وأن تجمع الأنوثة ذاتها في نفس ومجتمع، مثل جماعة أحادي الجنس وأضداده التي تكلمت عنها رؤية أورويل البغيضة عام ١٩٨٤. والنتيجة هي رجل ذو ذكورة مزيفة [أو أنوثة]؛ وامرأة ذات أنوثة [أو ذكورة] مزيفة، في كل مكان، داخليًا وخارجيًا، وعهود وخطوبات محطمة.

الأنيما والأنيموس *Anima* and *Animus*

تُسمى الأنوثة التي تكون بداخل الرجل أنيما، والذكورة التي تكون بداخل المرأة أنيموس، وهذه هي النظرية النفسية لسي جي يانج. بالنسبة ليانج، الأنيما والأنيموس هما الطراز الأصلي: أي التشكيل المحدد سلفًا ومنذ الأزل للشخصية التي لها استقلالا بديهيًا وحكم ذاتي على الشخصية بكاملها. مِن هذه الرؤية، تكون الأنيما والأنيموس شخصيات فرعية مميزة في الروح، منفصلة جوهريًا عن الشخصية الواعية والمعروفة لدى الشخص، وقادرة على السيادة على الجسد [والواقع على المخ] مِن وقتٍ لآخر، وينتج عن ذلك سلوكيات، ومشاعر وأعمال غريبة بطريقة مفاجئة عن الشخصية اليومية "الواعية" وعن الشعور بالهوية. يستخدم الأدب التابع ليانج، التعبير "مسكون" ليعبر عن تطفل الأنيما أو الأنيموس، وهو قد أخذ هذا التعبير مِن الديانو ووضعه في قالب نفسي بدلا مِن روحي.

وبالتالي، يصف يانج الرجل المفتول العضلات الذي يكون على خلاف العقلانية ويتصف بالتخطيط، الذي يقع في نوبة عاطفية أو في حالة حزن [وإن كان بطريقة بسيطة أو غارقًا]، يصفه يانج بأنه أصبح بدون وعي "مسكونًا بالأنيما". أي مسكونًا "بنفس أنثوية" بدائية وغير متطورة. وبنفس الأمر، يصف يانج المرأة التي تكون على خلاف الإذعان، وخانعة، والتي تخلق مجموعة مِن الآراء العنيفة والغير مرنة والتي تكون بِلا أسس، يصفها يانج بأنها أصبحت عن دون وعي "مسكونة بالأنيموس"، أي مسكونة بنفس ذكورية بدائية وغير متطورة.

إن تعليقات يانج عن الأنشطة اللوطية ثابتة على هذا النموذج، فيُعرّف "العديد" مِن الرجال اللوطيين بـ "الأنيما" [حالة سكنى دائمة]، ويقصد بهذا أنهم قد رفضوا الهوية الذكورية وتبنوا بدلا منها هوية أنثوية [وينطبق الأنيموس على العديد مِن السيدات اللوطيات]. يأتي الشفاء مِن اللوطية، في رأيه، عن طريق تأسيس علاقة مع الأنيما أو الأنيموس، بدلا مِن التعريف بها[2]. يُذكر أن هناك العديد مِن التحليلات الناجحة ليانج التي تُعالج اللوطية.

وهكذا يتكون التطوّر النفسي، في رأي يانج، مِن الخطوات التالية، آخذا في الاعتبار الذكورة والأنوثة، سواء كان ذلك في سياق اللوطية أم لا:

١. أن يكون المرء واعيًا أنه يوجد في سماته العامة "كيان" أو "نفس" مستقلة، وهذه تكون مِن الجنس الآخر، وتُجسّد مجموعة كاملة مِن سلوكيات ومشاعر وأفعال. يعي المرء بذلك عن طريق ملاحظة نفسه، وسلوكياته وخيالاته وأحواله المزاجية وأحلامه [بمساعده الآخرين] وبالتالي يُلاحظ أن سلوكياته وحالته العقلية عبر الوقت ليسا منسجمين مع صورته عن نفسه، كما يريد هو.

٢. أن يتعلم المرء أن يتصوّر، في خيالاته، هذا الكيان المنفصل الذي بداخله. هذا التجسد، في رأي يانج، ليس مجرد أمر شعري، لكنه واقعي [نفسيًا]. فهناك بحق كائن منفصل بداخل كل منا، وعلى المرء أن يتعلم أن يدرك وجوده [أو وجودها].

٣. بعد أن يتم معاملة هذا الكائن الذي تعرّف عليه المرء وأدركه على أنه "الآخر" الواقعي، يبدأ المرء في إجراء محادثة في مخيلته،

وذلك بمساعدات تقنية أو بدونها [مثل الرسم والتلوين والكتابة]. لقد أخذ العديد مِن سيرة يانج الذاتية مِن كتابات أحاديثه مع "الأنيما" خاصته [وأيضًا مع العديد مِن الكائنات الأخرى التي اكتشفها بداخله].

٤. سيجلب هذا الإدراك والعلاقة مع الكائن الداخلي للإنسان—بوعي وبتعمد—ثروة مِن بصيرة جديدة وسلوكيات لم تكن متاحة له قبل ذلك[3]، وبالتالي يزداد ثراء الشخصية. في الحقيقة، اختار يانج التعبيرات أنيما وأنيموس مِن الكلمة اللاتينية للنفس، أنيما، لأنه كان يعتقد أن الأنيما في الرجل والأنيموس في المرأة هما النفس، وبالتالي يحل الثراء الذي يجلبانه عن طريق الحديث المستمر ["فهما يربطان الأنا باللاوعي"] محل التطوّر الروحي. لقد مارس يانج طريقة الأحاديث الداخلية هذه [والذي يدعوها هو "الخيال النشط"] منذ طفولته واستمرت إلى ما بعد ذلك. لكنه مِن الواضح أنه توقف عنها في أواخر حياته، معلقًا على ذلك باختصار وبطريقة خفية بأنه لم يعد يحتاج أن يُجري حديثًا مع الأنيما خاصته، وأنها قد أنهكته بما فيه الكفاية.

لكن هناك مشكلات رئيسية في صياغة يانج، إن لم يكن في بعض ملاحظاته الإكلينيكية:

- إن وجود مجموع صفات أنثوية [معقدة] تتصف بالانفصام والاستقلال في رجلٍ [أو صِفات ذكورية في امرأة] أمر مَرَضي وغير طبيعي.
- بالطبع يوجد هذا الانفصام في الروح، لكن فقط لدى البعض مِن الناس.

- ينتج هذا عن صدمة عصبية، وتكون كوسيلة دفاع ضد آلام يكون الإنسان على وعي بها[٤].
- مِن الممكن بل ومِن اللازم أن تُشفي الأنيما [أو الأنيموس] المنفصمة، بحيث تختفي بداخل الشخصية بكاملها [وأن تندمج مع صفات أخرى في الشخصية]، ولابد أن يحدث هذا في أسرع وقت، ولا ينبغي أن ينتظر الإنسان للحظة الأخيرة، مثلما يبدو ما فعله يانج، لأن هذا الانفصام يدمر بشكل مأسوي للعلاقات البشرية.
- يتطلب الشفاء مِن الأنيما أو الأنيموس—دعنا نستخدم المصطلحات بدقة، أي بكونها تشير إلى مرض يحتاج إلى شفاء، وليس إلى أمرٍ ما طبيعيًا، وبالطبع ليس به فائدة[٥]—يتطلبُ، [بالإضافة إلى العديد مِن الأمور الأخرى] إخفاءًا عميقًا للألم الذي أدى إلى الانقسام [أو الانقسامات] وهذا يكون في المقام الأول. فأن تُحافظ على الانقسام، هو أن تتجنب المعاناة التعويضية. إن الرقص السلس بين الصفات الذكورية والأنثوية في الإنسان، ليس فقط أمرًا مطلوبًا بشدة، لكنه أيضًا أمر ممكن إلى حد ما ولا يحتاج المرء إلى بذل مجهود لمدة حياته ليحققه. فتُشكل فترة ممتدة مِن هذا الأمر الصحي أسس الزواج الناضج والثابت، على سبيل المثال.
- تحت شروط الرفاهية النسبية وتجسيد الأنوثة التي في الرجل والذكورة[٦] التي في المرأة، والتشخيصات الشعرية، والأساليب المجازية [كما في شعر إليوت السابق]، يساعدنا هذا على إدراك وفهم أفضل للحقيقة المطلقة. لكن

تحتاج هذه التشخيصات تحت شروط غاية في الحزن أن تحيا حياتها الخاصة.

- وعندما يحدث هذا تتحول الشخصية التي يتكونوا منها إلى زيف ـــ أي نفس مزيفة، تحتوي بداخلها على العديد مِن الشقوق والتصدعات المريضة.
- الخيال الخصب ليس صلاة، وليس مرتبطًا بها بأي شكل مِن الأشكال [بعكس ادعاءات أهل كنيسة يانج: راجع كيلسي]، لكن مِن السهل دمجها مع الصلاة [خاصة عند تعلم الخيال الخصب لأول مرة]، وخاصة في صلاة الاستماع، وتسبب الكثير مِن الارتباك. [أن يبدأ المرء في ممارسة خيال نشط، عليه أن يتمسك بصورة ما في مخيلته وينتظر بصبرٍ ليرى التغيير العفوي الذي تحدثه. قد يتعلم المرء لاحقًا أن يُمارس حديثًا نشطًا مع هذه الصور، ولكن ذلك ليس الخطوة التالية]. يُظهر الخيال الخصب الانقسامات التي توجد في الروح، وبالتالي قد يصبح نافعًا تشخيصيًا، كما كان مِن قبل. الناس أمثال يانج، يأخذ التشخيص الداخلي بالنسبة لهم مظهر الهلوسة [وبعض الأحيان بالنسبة له هو فقط] لمدة مِن الوقت، لديهم انقسامات [انفصامات] في أرواحهم. العديد مِن الناس الذين لا تصل جراحهم إلى درجة هذه الانقسامات العميقة، لن يستطيعوا أن يتبنوا بتعمد هذه "المخيلة الخصبة" المستقلة والمفعمة بالحيوية، والتي تكون مخيفة في بعض الأحيان، مهما بلغ جهد محاولاتهم[٧].
- مِن الممكن أن يصبح الخيال النشط سريعًا طريقة ممارسة، وبالتالي يُعمّق الانقسامات

التي في الروح، فهي وسيلة ممارسة حضور النفس الزائفة، وبهذه الطريقة، يحصد المرء حياة مِن خيالات مريضة التي تنشأ قوة إغرائِها مِن استقلالها الرائع وقدرتها على وضع جدارًا للآلام الشخصية.

- ولأن حياة الخيالات هذه ليس لها دعامات أخلاقية، لأنها تُساعد في تقوية خبرة "الكائن" الداخلي المستقل، والذي يأتي عن طريق الخيالات، ولأن هذا يكون دفاعًا ضد ألم تعويضي، فهو يسهل اتحاده ويصبح بسرعة مظهرًا مِن مظاهر الغنوسية الروحية بقوة تتبع السحر وبالتالي تمكنه مِن الغلبة(٨).
- ليست الأنيما أو الأنيموس هما النفس، لكنهما شظايا مِن نفس مهشمة. وبالتالي يكون تطور علم النفس الخاص بيانج ["وسيلة التميز"] ليس مثل الخلاص والتقديس المستمر، رغم محاولات يانج في رسم هذه الوسائل على تراكيب مسيحية. يقصد يانج بـ "التمييز" بأنها وسيلة تطوّر نفسي أولي [فيعني التميز، بالنسبة لماهلير، أن يصبح الطفل شخصًا منفردًا]، لكنه أدخلها في إطار "الدين" [خاصة الغنوسية والسحر]، ولأنها مُدخله، فهي بالتالي تُختبر [في الخيالات]، ويتم تجنبها بشدة [في الواقع].
- أخيرًا، إن صياغة يانج للوطية ليست صحيحة، رغم أنه كان صحيحًا إكلينيكيًا في تشخيص اللوطيين بأنهم الأشخاص الذين يكون لديهم عادةً "أنيما" معينة ـــ أي تجمّع أجزاء منقسمة ومضادة للجنس في شخصياتهم [ولهذا السبب يربط السحرة شعائرهم بسلوكيات

لوطية، وذلك بسبب افتتانهم بـ "الشخصيات الروحية"].

الصيغة الأكثر صحة هي كالتالي [سأتحدث عن الرجال]: الذكر اللوطي لم يؤسس شخصية ذكورية أساسية وصحية، والتي يكون مرتاحًا معها [فهو لديه شخصية ذكورية مِن نوع ليس أنثوي]. جزء مِن الشخصية الذكورية الصحية التي لم يحصل عليها بعد ــــفي الواقع إحدى صفاتهاــــهو أنها تتوق إلى، بل وتحترم، وتسعى إلى الاتحاد مع الأنثى. وبذلك تجذب السيدات الأنثويات الرجل ذي الشخصية الذكورية الصحية والمؤسسة جيدًا [هذا ينطبق على القضايا التي تكون بين البشر]، لكن يهرب الذكر اللوطي مِن الأنوثة، ويهرب منها علنيًا وداخليًا.

فهو يهرب منها لأنه ليس لديه نوع الشخصية الذكورية التي ترتاح مع المرأة كامرأة [شاملا، بصفة خاصة، حياتها الجنسية النسائية]، ولا حتى مع صفاته الأنثوية. وكنتيجة لذلك، يقوم "بالتخلص منها" كما لو كانت الأنوثة التي بداخله، وذلك عن خوفــــوهذه هي الأنيما التي تبقي منقسمة.

لكن، ما الذي يحدث لهذه الأنيما؟ إنها بحق توجد الآن في روحه كانفصام "معقد"، وتضع تأثيرها عليه، لكن بطريقة غير معدّلة بالاحتكاكات الفعلية والاختلاط الجنسي، وأيضًا بالاتصال الحقيقي مع قوة الله المُهذِبة. ويكون غير متاح للنضج وبالتالي يبقى بدائيًا وطفوليًا. لكنه لا يراها بأنها تُحدد سلوكياته، وتجعله يبدو للآخرين كما لو كان رسمًا كاريكاتوريًا أنثويًا، أنه يختبر بطريق ذاتية إحساسه بشخصيته كذكر، لكنه يبدو للعالم على أنه امرأة مزيفة.

ليست هذه حالة "تحديد الهوية"، كما تدعي نظرية يانج، ففكرة أن الروح التي في حالة انفصام طبيعية [أي الروح المكونة مِن العديد مِن النفوس الفرعية]، تقود نفسها إلى فكرة أن المرء قد يُعرّف نفسه بهذا الجزء أو بتلك، بعض الأحيان يستمر هذا لوقت طويل، وفي أحيان أخرى لوقت قصير، وبالطبع يتغيّر هذا بسرعة [كما في الشخصية المضطربة مِن النوع المتأرجح]، أو قد يتعاقب [كما في العديد مِن الشخصيات المضطربة]. وتقود أيضًا إلى فكرة يانج الخاطئة بأن "الصحة النفسية" تتأتي مِن التعرّف القوي بجزء لانق مِن الروح [بتملك "أنا" قوية] بينما الحصول على "إتاحة" متزايدة للأجزاء الأخرى المنفصلة "الغير واعية". أدت هذه الفكرة، بدورها، بسرعة وليس بطريقة مثيرة للدهشة، إلى الفكرة الأكثر صحة مِن الجهة السياسية، وهي تلك السائدة الآن في الفكر اليانجي منذ أيام يانج نفسه، وهي أن التعرّف بأي جزء مفضل في الروح أمر صحي: وهذا كما جاء في إحدى كتب يانج الشهيرة، وهو *The Plurality of the Psyche* [أي تعدد الأرواح] [للكاتب أندرو صموئيل].

في الحقيقة، النموذج الأفضل لوصف الذي يحدث عندما يوجد أنيما في رجلٍ [أو أنيموس في امرأة]، هو ما قدمته المحللة النفسية الإنجليزية، ميلاني كلين، فهي تستخدم المصطلح [بعض الأحيان يكون غير ملائم]، "إسقاط الهوية"، لتصف هذا الأمر والانقسامات المتعلقة.

في هذا التعريف، يكون الجزء المنفصم والمخيف والغير معترف به الذي في النفس [مثل الأنيما] قد تم التخلص منه عن طريق إسقاطه على الآخرين ــــ وبالتالي تصبح النساء غير مرغوب فيهن، بل ويُخاف منهن [فيُخاف منهن كنساء؛ أي أشخاص محايدين،

وليس هناك مشكلة في ذلك]. لكن هذه الكيفية مِن التخلص وهْم ذاتي، فتبقى الأنيما نشطة في الشخصية، لكنها لا تعود الآن تحت أي درجة مِن درجات التحكم الاختياري، لكن بدلا مِن ذلك تصبح إكراهًا غير مقصود، فتظهر خصائصها بدون وعي. وبالتالي تُمثل الصفات المشاكسة لسلوكيات الذكر اللوطي، والفكاهات الشائكة، الصورة المخيفة والمشوهة للمرأة والتي مِن اللازم إبعادها؟، حيث تُرى النساء الواقعيات في النمط المشوه بهذه الطريقة أيضًا، ويتم إبعادهن أيضًا، وبالتالي يُسقط الرجل اللوطي الأنيما خاصته ويُسكن بما أسقطه—ومِن هنا جاء التعبير إسقاط الهوية.

رغم أن تأسيس شخصية ذكورية صحية وقوية ولها أسس أمر خطير في عملية شفاءه الذكر اللوطي، إلا أن تأسيس صفات أنثوية متكاملة ومتضامنة وناضجة —أي أنوثة حقيقية—أمر مساو في الأهمية في عملية شفاءه. فعندما يُقدّر الرجل ويراعي الأنوثة الحقيقية التي بداخله، يكون هذا هو الوقت الذي يصبح فيه ذكرًا بما تعنيه الكلمة.

بالطبع، هذا البعد في عمليات الشفاء يبدو فريدًا للوطيين، لأن الحقيقة هي أن في شفاء كل أشكال التحطم [مهما كانت الحالة الإكلينيكية التي فيها انقسمت الشخصية إلى عدة أنفس] تصرخ الذكورة الحقيقية مُدعمة الأنوثة الحقيقية—داخليًا وخارجيًا؛ وتقوم الأنوثة الحقيقية برعاية الذكورة الحقيقية وشفائها —داخليًا وخارجيًا. إن الشخص الكامل، مثل الزواج الصالح، "جسد واحد". يستطيع الرجل الحقيقي أن يكون امرأة، عندما يتطلب الأمر ذلك، بدون الخوف مِن أن تقل بهذه الطريقة ذكورته؛ وتستطيع المرأة الحقيقية أن تكون ذكرًا، عندما يتطلب الأمر ذلك،

بدون الخوف مِن أن تقل بهذه الطريقة أنوثتها. ولا يطلب المرء أن يجد راحة في نفس مزيفة، بإسقاط هوية قهرية في صورة الجنس الآخر.

كان الرقص على أنغام الموسيقى ...

انطلاقة مِن الأفعال والآلام، انطلاقة مِما في الداخل

لكن كان القهر الخارجي محاطًا

لكن بنعمة الإدراك، لا يزال هناك ضوء أبيض...

ملاحظات

تمهيد

١. كلما فَقدَ الرجال القدرة على اللمَس بشكل ملائم والذعوة (لتأكيد) حياةِ الأنثى في بناتِهم، زادت حوادثِ النكاح المحرم. بطريقة أو بأخرى، بشكل ملائم أو على نحو غيرَ ملائم، نَمسُّ الحياةَ حولنا. فإمّ يؤكد الرجال إيجابياً الذكورَة والأنوثة بداخل أبنائهم وبناتِهم، أو بفشلهم أو عدم قابليتهم للقيام بذلك، فإنهم يحققون نفس النتيجة السلبية.

١ . عندما يسير الإنسان جنبًا إلى جنب مع ذاته

1. Karl Stern, *The Flight from Woman* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 1965), 39.

٢ . رجل في أزمة: قصة رينشارد

1. See Leanne Payne, *The Broken Image: Restoring Personal Wholeness through Healing Prayer* (Westchester, Ill.: Crossway Books, 1981), 76–79 ("Homosexuality Related to Traumatic Experiences in Childhood").
2. Ibid., 46, 47, 66ff.
3. Agnes Sanford, *The Healing Gifts of the Spirit* (Philadelphia: Lippincott, n.d.), 126–27.

٤ . للضَغط من خلال حاجز عدم قبول ذواتنا،

بعيداً عِنْ كلِ الأشياءِ العديدة الهائلة التي قد يتصور أن تَكونَ، هو أنْ يَبْدأوا الجزءَ المثيرَ مِنْ رحلتِنا الروحيةِ، لِكي يُشفي هذا الفشلِ هو أنْ تَتعلَّم السلوكَ في الروحِ. انظر Payne,
The Broken Image, 48- 58

5. George Ritchie, *Return from Tomorrow* (Lincoln, Va.: Chosen Books, 1978), 49–50.
6. Payne, *The Broken Image*, 15–32 ("Lisa's Story").

٣. أزمات في الذكورة بدون اضطرابات عصبية جنسية

1. W. H. Lewis, ed., *The Letters of C.S. Lewis* (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1975), 210.
2. C. S. Lewis, *The Problem of Pain* (New York: Macmillan, 1962), 61.

٣. لمزيد من الفهم عن صلاة الغفران، أو صلاة التكفير، ادرس الإشارات الكتابية عن التكفير. حيث صلوات التكفير في العهد القديم تتطلع للمسيح. إن صلوات التكفير التي ننصليها الآن تقوم بالإقرار بأن كفارة المسيح المثالية والكافية لكل الخطايا— الماضية، والمستقبلية. انظر أيضًا Agnes Sanford, *The Healing Light* (St. Paul, Minn.: Macalester, n.d.), chapter 15 ("For the Healing of the World").

4. Leanne Payne, *Real Presence* (Grand Rapids: Baker Book House, 1995), 127.

٤ . ما هي الذكورة؟

1. Stern, *The Flight from Woman*, 39.
2. C. S. Lewis, *That Hideous Strength* (New York: Collier, 1962), 315.

3. C. S. Lewis, "Notes on the Way," *Time and Tide*, vol. XXIX (August 14, 1948).
4. Ibid. (italics mine).
5. Ibid.
6. C. S. Lewis, *The Four Loves* (New York: Harcourt, Brace and Co., 1960), 139–40.
7. See Payne, *Real Presence*, chapter 4 for a fuller consideration of this subject.
8. Ibid., chapter 11.
9. Lewis, *That Hideous Strength*, 315.
10. Stern, *The Flight from Woman*, 68.
11. Ibid.
12. Elisabeth Elliot, *New Covenant*, February 1982.
13. Dr. Elizabeth Moberly, in conversation with Doug Houck, as reported by Robbi Kenney, *Desert Stream Newsletter*, vol. 2 (March/April 1984).
14. Oswald Chambers, *My Utmost for His Highest* (New York: Dodd, Mead and Co., n.d.), June 6.
15. C. S. Lewis, *The Screwtape Letters* (New York: Macmillan, 1962), 31.
16. Ibid., 39.
17. See Payne, *Real Presence*, 89, quoting C. S. Lewis, *Letters to Malcolm: Chiefly on Prayer* (New York: Harcourt, Brace and World, 1963), 49.
18. See Payne, *Real Presence*, 82, quoting Lewis, *Letters of C. S. Lewis*, 210.
19. *The Denver Post*, 24 January 1982.
20. Ibid.

٥. تناقض الجنسين وتكاملهما

1. Stern, *The Flight from Woman*, 10.
2. John Gaynor Banks, *The Master and the*

Disciple (St. Paul, Minn.: Macalester, n.d.), 133.
3. Payne, *The Broken Image,* chapter 6 ("Listening for the Healing Word").
4. Stern, *The Flight from Woman,* 23.
5. Ibid.
6. Ibid., 21.
7. Ibid., 26.
8. Ibid., 9.
9. Ibid., 9–11.
10. Ibid., 203.

٦. امرأة في أزمة: قصة زوجة ريتشارد وآخرين

1. Payne, *The Broken Image,* 102–6.
2. Ibid., 104–6.
3. Dorothy Sayers, *Are Women Human?* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1971), n.p.
4. Ibid.
5. C. S. Lewis, *A Grief Observed* (New York: Bantam, 1961), 57–58.

الملحق: الذكورة والأنوثة الحقيقيان

١. في نظريةِ جانجيان، "العقل الباطنِ" لا يَعْني المكبوت (المَنْسي)، بينما هو يَعملَ في التحليل النفسي الكلاسيكيَ. في السياقِ فوق، هو ببساطة يعني " بشكلٍ غير متعمّد"، بشكل مُحدّد أكثرِ لأن "المركّب" الكاملَ (أو النموذج الأصليَ) يَقسّم مِنْ وما سَبَقَ أنْ كَانَ جزءَ الوعي الواعيَ.

2. Jungians since Jung have become so completely politically correct that Jung's rather more critical—and sometimes helpful—ideas on the subject are conveniently ignored by them. For example,

in his recent *Sacrament of Sexuality: The Spirituality and Psychology of Sex* (Element: Rockport, Mass. [1991]), Morton Kelsey, a Jungian analyst and Episcopal priest, uncritically adopts and promotes the fraudulent data on homosexuality of Alfred Kinsey, states badly and incorrectly that homosexual change is "extremely rare," and enthusiastically adopts and promotes the position of Dr. Blanche Baker of the Mattachine Society (one of the oldest gay activist organizations):

> Just as some people prefer blondes and other brunettes, I think that the fact that a given person may prefer the love of his own sex is his personal business. Now this does not mean that homosexuals may not become neurotic—I think that they often do because society is so hostile to them and their own families do not understand them, so they are subject to a great many pressures and a great deal of unhappiness (192).

3. Often, though not always, these become available supernaturally, through "meaningful coincidences" ("synchronicity"), precognitive dreams, divination, or simply direct conversation. Examples of all these may be found in Jung's own autobiography, *Memories, Dreams and Reflections.*
4. More precisely: trauma prevents the normal synthesis of the psyche into an integrated whole and allows the unhealthy persistence of natural, underlying divisions. These

divisions are based on the differences in mental, emotional, and behavioral states produced by the various instinctive drives, as well as on the tendency to separate in memory painful from pleasurable experiences. Sharp psychic divisions are readily apparent in the dramatic and rapid shifts in mood and behavior seen in infants. As the child matures, these divisions become far less sharp and memory synthesizes *all* experience (painful and pleasurable) into a single, coherent, continuous whole.

5. This manner of speaking—*an anima, an animus*—has a number of advantages. It not only allows us to speak correctly of a fragmented psyche as metaphorically ill ("What do you think he is suffering from?" "Oh, he has *an anima,*" as in "Oh, he returned from Mexico with *a parasite*"), it actually restores to Jung's concept the correct tone. For he himself amplifies the notion of "the anima" by reference to such mythological creatures as nixies or sprites. By their seducing illusions, these creatures draw men to their deaths. Or to succubi, fantasy women who drain the life out of the men possessed by them. In spite of these references, Jung obscures their pathology by the normalizing forms, "*the* anima" or "*the* animus," as though these were normal organs of the psyche, present in everyone.
6. The use here of "the," and the non-personified, adjectival form, reinforces the normality of non-split-off qualities of

character.

7. A cruel irony is generated within many Jungian communities (analysands, trainees, analysts) by the cachet attached to active imagination. Everyone scrambles to imitate Jung. Those who can't often feel inferior and inadequately "conscious." In the seventies, especially in the United States, many thus turned to hallucinogenic drugs to enhance their hallucinatory experiences.
8. Chief characteristics of historical Gnosticism, including Gnostic Christianity (now wildly popular in many seminaries and divinity schools), are: (1) amorality (the synthesis of good and evil in the godhead); (2) a hierarchy of "spiritual" creatures that impart "gnosis," or wisdom; (3) the belief that this "gnosis" is sufficient for salvation; and (4) the rejection, therefore, as unnecessary, of atoning sacrifice—by Christ, or anyone else, for that matter.
9. This powerful image also exerts a compulsive attraction, in the same way that any frightening fantasy will, so long as it is kept at a distance: hence the "perverse," almost universal pleasure associated with "horror" stories; likewise the gay fascination with "drag."

أيضًا للكاتبة: ليني باين

الصورة المكسورة



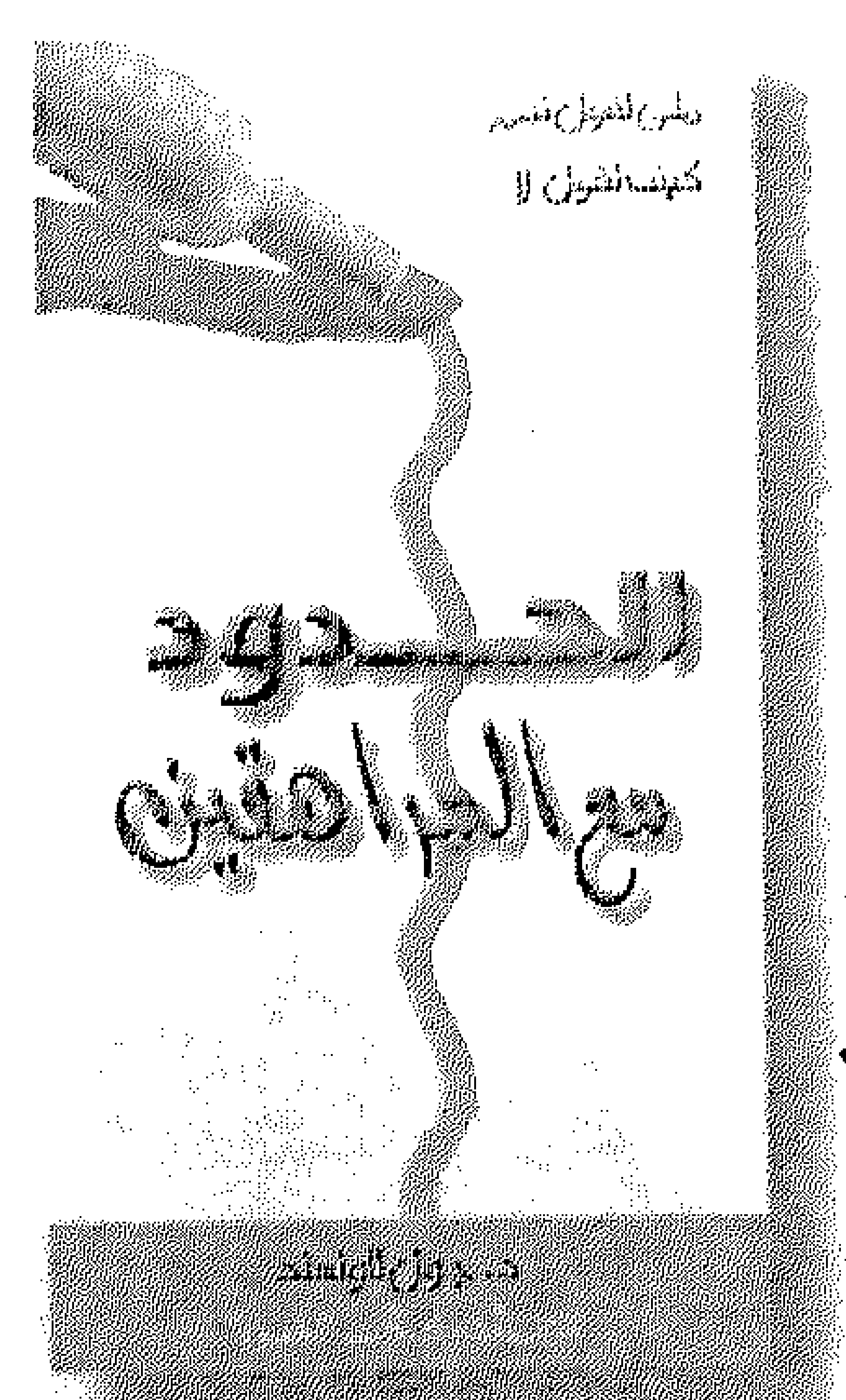
سارع بحجز نسختك اليوم من هذا الكتاب

أيضًا .. للكاتبة: إيدث شيفر

الرجاء في وسط البوتقة



سارع بحجز نسختك اليوم من هذا الكتاب



استرخي ! ستحافظ على عقلك سليمًا في سنين المراهقة الصعبة هذه ، وكذلك أبنائك المراهقين – على أن تمنحهم مجموعة صحية من الحدود التي تعمل لمصلحتهم ومصلحتك .

سيريك الحدود مع المراهقين كيف تقوم بهذا .

مؤلف الكتاب الأكثر مبيعًا والمستشار د .جون تاونسند ، يُقدّم إليك في هذا الكتاب البصيرة الخبيرة والإرشاد الذي تحتاجه ليساعدك على جعل أبنائك المراهقين يتحملون مسئولية أفعالهم وتوجهاتهم ومشاعرهم ويحرزرن تقديرًا واحترامًا أعمق لك ولأنفسهم .

بالحكمة والتعاطف، د . تاونسند ، الأب لاثنين من المراهقين ، يطبق مبادىء كتابية الهدف المتحدي لإرشاد ابنائك خلال سنوات مراهقتهم . فيريك كيف:

* تتعامل مع توجهات عدم الاحترام والسلوكيات الغير محتملة في المراهق الموجود في بيتك .
* وضع حدود صحية وعواقب واقعية .
* تكون محبا ومراعيا وأنت تؤسس قوانين .
* تحدد استراتيجيات محددة للتعامل مع المشاكل الكبيرة والصغيرة .

اكتشف كيف يفكر ابنك/ابنتك المراهقة . وتعلم كيف تطبق مبادئ كتابية على مشاكل محددة , فالحدود مع المراهقين يمكن أن يساعدك على تأسيس حدود حكيمة ومحبة تحدث اختلافا إيجابيًا في من هم في سن المراهقة سواء معك ، أو في أسرتك ، أو باقي العائلة .

سارع بحجز نسختك اليوم من هذا الكتاب

أيضًا من المكتبة النفسية



اكتشف كيف...

تتخلص من تأثيرات الماضي

تقول "لا" لماما دون أن تشعر بالذنب

تبني علاقة صحية مع ماما

تحسن كل علاقاتك!

ترجمة: د. إيفيت صليب

د. هنري كلاود   د. جون تاونسند

سارع بحجز نسختك اليوم من هذا الكتاب




سن المراهقة
تفهم الشباب
www.el-kalema.com
info@el-kalema.com

أيضًا الكتاب الهام في موضوع الصلاة

فهم غرض وقوة الصلاة



سارع بحجز نسختك اليوم من هذا الكتاب

نُرحب بآرائك ومقترحاتك . . رجاءً لا تتردد في الكتابة إلينا . . فهذا يُسعدنا



١٦ شارع محمود بسيوني - من ميدان الشهيد عبد المنعم رياض- الدور السابع- شقة ٢١- وسط البلد - القاهرة - مصر

٠٢٠٢٥٧٩٨٤١٤ ٠٢٠١٦١٣٧٣٢٩٨
٠٢٠١٨٦٥٤٨٣٨٨ ٠٢٠١٨٢٤٥٦٦٤٤

www.el-kalema.com
info@el-kalema.com
sales@el-kalema.com

إنَّ الدافع الحقيقي وراء كتابة هذا الكتاب هو اكتشافي أنه يوجد أعداد كبيرة من الرجال غير واثقين في ذكورتهم، بدرجة أو بأخرى. وقد كتبت في كتاب "الصورة المكسورة: استعادة اكتمال الشخصية خلال الصلاة الشافية" عن موضوع الذكورة المكبوتة أو غير المُؤَكَّدة كما يَظْهرُ في الإضطراب العصبي لدى المثليين. لكن الإضراب العصبي لدى المثليين هو فقط أحد الطرق التي تظهر بهَا هذه المشكلة المتعددة الوجوه والمنتشرة على نطاق واسع وهي مشكلة في الهوية الذكورية. وهدفي في هذا الكتاب هو إظهار المشكلة كما تظهر في الأشكال الأخرى وكيف أن معاناة هؤلاء الأشخاص من الممكن أن تُشفي خلال الصلاة من أجل الاكتمال الشخصي. وهذا هو الغرض الرئيسي من هذا الكتاب، وهو الحاجة لأن نتعلم كيف نصلي من أجل هذا الشفاء المؤكد، والنتائج الإيجابية لمثل هذه الصلوات عظيمة جدًا.

بالإضافة لذلك، سأشير إلى بعض الأسباب- النفسية، والتاريخية، والفلسفية- لهذا الداءِ الثقافيَ المُتزايدِ، الوباء المتعدد الأبعاد، والذى أدعوه "الأزمة في الذكورة". وفي النهاية سأفحص طبيعة الذكورة نفسها، من خلال بعض جذورها النفسية والفلسفية واللاهوتية. وبالطبع سوف أضع في الإعتبار، الأنوثة أيضًا، لأنه من المستحيل إعتبار إحداهما دون الأخرى. كما جاء في الأسطورة التي ذكر[illegible] أفلاطون، أن الذكر والانثى مرتبطان ببعضه[illegible] وهما متلازمين حتى النهاية.

ليني باين— من مُق[illegible]

علم نفس / مشورة

٠١٦١٣٧٣٢٩٨
www.el-kalema.com
info@el-kalema.com
I.S.B.N:977-384-071-9



مكتبة دار الكلمة
LOGOS
نشر - توزيع
لدينا حلم